

ة تراثية فصلية محكمة
درها دار الشؤون الثقافية العامة ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ جمهورية العراق
د الثامن والعشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

رئيس التحرير
الدكتور محمد عبد المطلب البكاء

الهيأة الاستشارية
الاستاذ هلال ناجي
أ . د . سامي مكي العاني
أ . د . محمود عبد الله الجادر
أ . د . عماد عبد السلام رؤوف
الاستاذ اسامة النقشبندي

مدير التحرير
د . هدى شوكت بهنام

سكرتير التحرير
د . مي فاضل الجبوري

التصميم والاخراج الفني
جنان عدنان

التصحيح اللغوي
نجلة محمد

□ عنوان المراسلة
□ دار الشؤون الثقافية العامة ـ الاعظمية
ص . ب ـ ٤٠٣٢ ـ بغداد
جمهورية العراق

في هذا العدد

اندلعت ثورة العشرين ، الثورة القومية ، العربية ، الشعبية إثر إعلان بريطانيا عن نيتها فرض الانتداب تنفيذاً لمقررات مؤتمر سان ريمو ، فقد نشبت الثورة ضد الاحتلال البريطاني ، وضد سياسة التجزئة التي عمدت القوى الاستعمارية الكبرى الى تنفيذها ، وبذا تعد هذه الثورة واحدة من

سلسلة الثورات التي شهدها الوطن العربي ابتداء من عام ١٩١٩ تعبيراً عن رفض الامة العربية للاستعمار والتجزئة البغيضة والتي شكلت بمجملها انعكاسات استراتيجية واضحة على الصعيدين العربي والعالمي بعد أن أثرت في الموقف العام للاستعمار البريطاني البغيض في المنطقة ، وفي وضعه السياسي والعسكري في العالم ..

إن احدى أهم نتائج الثورة ، هو ماظهر من وحدة صف وطني في الدفاع عن حرية العراق واستقلاله على الرغم من كل المحاولات البريطانية الخبيثة التي كانت تعمل جاهدة على تغذية ما من شأنه إحداث شرخ في صفوف أبناء الشعب الواحد الموحد .

وفي مواجهة الثورة ، حشد المحتلون البريطانيون أعداداً ضخمة من الجنود المجهزين بأحدث الاسلحة ، إلا أن ذلك لم يحل دون وقوع خسائر بشرية ومادية فادحة في صفوف المحتلين ، فقد ذهبت بعض التقديرات

الغربية الى أن ثورة العشرين كلفت بريطانيا عشرات آلاف من القتلى والجرحى في حين قدر جورج انطونيوس في كتابه (يقظة العرب) أنها كلفت بريطانيا ، فضلاً عن الاصابات أربعين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية .

ملف العدد : ثورة العشرين ص٢٧ ـ ٦١ .

الاسعار: العراق ٢٥٠ديناراً، الاردن: ديناران، الامارات: ٣٠درهماً، اليمن: ٣٠ريالاً، مصر: ٣جنيهات، ليبيا: ثلاثة دنانير،
الجزائر: ٦٠ديناراً، تونس: ديناران، المغرب: ٣٠درهماً.
المشاركة السنوية: ٥٥ دولاراً في الدول العربية، ٨٠ دولاراً في دول العالم الاخرى

المورد

نصرنا ... حصة الامة
ومهماز صحوتها القومية

د. محمد البكاء

قبل اكثر من ثمانين عاماً ، وفي الحادي عشر من آذار ١٩١٧ ، دخل جيش الاحتلال البريطاني بغداد ، بعد ان بدأت بريطانيا عملياتها الحربية ضد الدولة العثمانية ، واحتلالها البصرة في (٥ ت٢ ١٩١٤) بمساعدة اذنابها وعملائها الذين قاموا بمهمة حصار مراكز القوات التركية في (سفوان) و (ام قصر) والقوات التركية التي كانت في الجنوب من جزيرة (بوبيان) . كما كان مقرراً لهؤلاء العملاء تهديد البصرة من جهة الارض ، او الاستيلاء عليها للمحافظة على ارواح الاجانب الموجودين فيها وممتلكاتهم الخاصة .

وهذا ما اوضحته رسالة المعتمد البريطاني السياسي وقنصلها العام في الخليج العربي (سي . اج . نوكس) الى مبارك الصباح في ٣ ت٢ ١٩١٤ التي جاء فيها : (امرتني الحكومة البريطانية ان انقل شكرها على اخلاصكم وما بذلتموه من مساعدة ... وان اطلب اليكم ان تهاجموا (ام قصر) و (سفوان) و (بوبيان) وتحتلوها ، وان تسعوا بعد ذلك بمعاونة عبد العزيز بن سعود والشيوخ المخلصين الاخرين في تحرير البصرة من الحكم التركي) .

وعلى الرغم من ان مبارك الصباح لم يفلح في الاستيلاء على البصرة ، الا ان حضوره اليها مع عدد من ازلامه كان عاملًا مساعداً للجنرال ارثر بارت وجنوده في التقدم باتجاه احتلال البصرة ، بعد ان تكبدت القوات البريطانية خسائر فادحة في الانفس والاموال نتيجة المقاومة الباسلة التي ابداها البصريون في الدفاع عن مدينتهم ومن قبلها معركة (الشعيبة) التي تطوع للجهاد فيها اكثر من عشرة الاف مقاتل عراقي .

وغداة احتلال بغداد نظمت الدوائر السياسية البريطانية في الهند ولندن بياناً يذاع باسم الجنرال (ستانلي مود) على اهل بغداد ، جاء فيه : (يا اهالي بغداد : تذكروا با ثم تألمتم مدة ستة وعشرين جيلًا ، آذاكم الظَلَمة (الغرباء) الذين سعوا دائماً وابداً الى الايقاع بين البيت والبيت كي يستفيدوا من انشقاقكم ، فهذه السياسة مكروهة عند بريطانيا وحلفائها) .

لقد اثار احتلال بغداد ، ومن قبلها محافظات الجنوب العراقي من قبل الجيش البريطاني بهجة وسرور خَدَمةِ بريطانيا من آل صباح ، فقد بعث سالم بن مبارك الصباح الذي تسلم ادارة شؤون (الكويت) بعد وفاة اخيه (جابر بن مبارك) برقية تهنئة الى الحاكم السياسي البريطاني (برسي كوكس) جاء فيها : (بشرتنا الاخبار بتقدم الجيوش البريطانية بالعراق ، فصرنا جداً مسرورين ومستبشرين بهذه الموفقية السارة ، فاني من صميم قلبي اقدم لسعادتكم فائق التهاني والتبريك) .

وبعد وفاة (مود) اثر اصابته بالهيضة ... اجتمع اهل بغداد ليستمعوا الى خطاب جديد من (مارشال) الذي تولى القيادة العامة للجيوش البريطانية بعد وفاة (مود) وفي هذا الخطاب كرر

مارشال ما ذكره سلفه ، ومن ثم ليختمه بالقول : (اطلب منكم ان تشاركوني بتحية هذا العلم البريطاني المرفوع امامكم ، وان تهتفوا ثلاثاً لجلالة الملك الشفوق المحبوب جورج الخامس) .

وما بين الخطابين ، وبعدهما كان العراقيون يعرفون جيداً اية لعبة قذرة تدبرها بريطانيا لاحكام سيطرتها لا على العراق فحسب ، وانما على المنطقة باكملها بمعاونة ازلامها ، واستنزاف خيراتها ، ونهب ثرواتها ، وما تضمه ارضها من كنوز اثارية ، ومعالم حضارية ، ولم تخدعهم عبارات المجاملة الرنانة التي تضمنتها خطبتا (مود) و (مارشال) ولم يقدموا فروض الطاعة والتحية للعلم الذي رفعته بريطانيا في غزوها فوق ارضهم ، بل كبد العراقيون بريطانيا خسائر تقدر بمئة الف اصابة في الانفس وبمئتي مليون باون استرليني . فاذا كان الاتراك (غرباء) فرقوا بين البيت والبيت ، فان البريطانيين (غرباء) جدد لم ترضهم الا فرقة (البيت الواحد) ودق اسفين العداوة بين اهله ، وان السياسة القائمة على زرع الفرقة والتناحر ليست مكروهة عند البريطانيين ـ كما اشار مود ـ لانهم هم الذين ابتدعوها من خلال شعارهم سيىء الذكر (فرق تسد) ... ثم جاء الرد العراقي الذي عبر عن وعي وطني متجذر في النفوس التي تحمل ارث حضارة عمرها اكثر من ثمانية الاف سنة ، اذ هبت جماهير شعبنا العراقي في ثورة العشرين مكبدة البريطانيين خسائر فادحة قدرت بنحو الفين وخمس مائة قتيل وجريح وبما يزيد على اربعين مليون باون استرليني ... ولتكون هذه الثورة الدليل الساطع على وحدة العراقيين ورفضهم المطلق لاي شكل من اشكال السيطرة ، بعد ان ابى البريطانيون ان يصغوا جيداً لصوت العراق الموحد الرافض لاحتلالهم ، فكان الجواب الفصل لما اسموه بالسلاح الاسود : (الفالة) و (المكوار) اللذين اجبرا بريطانيا على الاذعان لارادة العراقيين .

واليوم ، وبعد مرور اثنين وثلاثين عاماً على امتلاك شعب العراق المجاهد ، الصبور ارادته الوطنية الحرة ، بقيام ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ المجيدة ، وبناء صرح حضارته التي ضحى من اجلها (عرقاً دماً) ، واصبح سيد نفسه بات يدرك اكثر من اي وقت مضى ، ان الاتراك اذا فرقوا بين البيت والبيت ، وان بريطانيا قد فرقت بين اهل البيت الواحد ، فان امريكا تسعى جاهدة لنسف هذا البيت من اساسه ، واحالته الى ركام . وهذا ما سعت اليه عندما جيشت جيوش اكثر من ثمانية وعشرين دولة تحت ذريعة واهية ، وحجج اوهن من بيت العنكبوت ، ارادت من خلالها هدم البيت العراقي ، واعادته الى القرون الوسطى ، وحرمانه من ايسر حقوقه المشروعة في الحياة الحرة الكريمة واختيار نهجه السياسي والاقتصادي الذي آمن به .

وحين وقف العراق صامداً ، مجاهداً لحماية بيته ، وامنه ، وإعادة اعمار ما دمره الاشرار في عدوانهم الغادر ، كان (الحصار) السلاح الذي استغلته امريكا لتدمير العراق وايذاء شعبه ، وذلك بالعمل على اطالة أمده من خلال عناصرها المخابراتية التي زادت نسبتها على الثلث من مجموع اعضاء لجان التفتيش المكلفة بتطبيق قرارات مجلس الامن المتعلقة بنزع الاسلحة ، والتي بدأت تأخذ طابعاً آخر بضغط امريكي وتاييد بريطاني ، لم يعد خافياً على أحد .

لقد ادرك العراقيون منذ زمن مدى الحقد الذي تكنه امريكا على بلدهم وشعبهم ، وانها لم تدخر جهداً للنيل منه ، ومن قيادته التاريخية ، وانها في ظل الاوضاع التي يعيشها عالم اليوم ... والسطوة التي تمارسها على مجلس الامن . فان الحصار لن يرفع ما دامت امريكا متحكمة بقراراته برغم ان العراق قد اوفى بجميع التزاماته التي نص عليها القرار ٦٨٧ واصبح من حقه المشروع تطبيق الفقرة (٢٢) من القرار المذكور بدون اي نقصان ، بعد التضحية والمعاناة التي قدمها شعبه ، ومن دون اية

شروط اضافية .

ان تصرف امبركا طوال السنوات المنصرمة من فرض الحصار يؤكد عدم وجود نية امبركية او دليل يشعر ان رفع الحصار بات قريباً بل ان ما حصل كان على العكس من ذلك تماماً ، وفي هذا يقول السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله ورعاه : (لقد تصرفوا مع العراق باقصى ما يحصل من التصرف مع بلد محتل ومستعمر ... في حين ان العراق بلد غير محتل وغير مستعمر ، وحر الارادة ، وحر في سيادته ، ويجب ان يفهم العالم هذه الحقائق ، ويجب ان يفهم تفاصيل الظلم الذي وقع على العراق) .

ان امبركا وتابعها الذليل بريطانيا يجب ان يدركا ، ان ارادة العراقيين لم تقهر يوم كانوا عزلًا الا من حرارة الايمان بوطنيتهم ، وعدالة نضالهم ومشروعيته ، ولم يكن لهم من سلاح غير (الفالة) [illegible]) . فكيف اليوم ، والعراقيون يمتلكون ارادتهم ، واعدوا عدتهم لقهر عدوهم وسوروا بيتهم العراقي [illegible] بسور المحبة والالفة خلف القيادة التاريخية للسيد الرئيس القائد صدام حسين ، قائد جمع المجاهدين ، الصابرين ، وان ارادتهم الحرة ، المستقلة قادرة على كبح جماح عدوهم الذي يسعى اليوم جاهداً لفرض عقوبات جديدة على العراق من خلال القرار « ١٢٨٤ » السيء الذكر ، في الوقت الذي تتعالى فيه اصوات المجتمع الدولي بضرورة سماع صوت الحق المنطلق من عراق القائد صدام حسين ورفع الحصار الجائر عن شعبه . ودفع مجلس الامن الى تنفيذ الالتزامات المتقابلة المتعلقة بعمله ، وخصوصاً تنفيذ الفقرة (٢٢) من القرار (٦٨٧) وتطبيقها (تطبيقاً [illegible]) من دون زيادة ومن دون تلاعب او تسويف .

وفي غياب ذلك ، وعجز مجلس الامن في ان ينتصر لنفسه ، وهذا ما [illegible] وقت ليس بقليل ، وعمل في ضوئه لتفتيت الحصار ، وخلق آلية عمل ـ على مختلف المستويات ـ [illegible] وطأته ، والحد من اثاره الخطيرة ، يبقى السؤال قائماً ، ما الذي يمكن ان يفعله الاخوة العرب لدفع الاذى عن العراق وشعبه ، وماذا ينتظر منهم لايقاف نزف المعاناة التي اضرت بأخوتهم ؟ بعد ان تأكدت حقيقة : ان استهداف العراق (عدواناً وحصاراً) هو استهداف للامة في ماضيها ، وحاضرها ، ومستقبلها ، ودفعها الى نفق مظلم بعد ان تغدو حصص وغنائم في ظل الهيمنة الاميركية التي اعدت امبركا مسرحها منذ ان بشرت بـ (نظامها الدولي الجديد) .

ان رفع الحصار عربياً الان ، بقدر ما اضحى مهمة قومية عاجلة ، فإنه في الوقت ذاته يمثل انتصار الامة لنفسها ، بعد ان انتصر العراق لها عبر تاريخه المجيد ، وقدم من التضحيات السخية التي لا ينكرها جاحدُ او متآمر ، بعد ان اختار العراق امته ، ووظف طاقاته المادية والبشرية من اجل نصرة قضاياها ، والدفاع عنها ، وعن حريتها وسيادتها ، وكرامتها في ضوء انتمائه المصيري ، وبعد ان ـ كما قال السيد الرئيس القائد صدام حسين ـ : « غاب قرار الاغلبية الوطنية والقومية الشريفة ، وتاثيرها القيادي عن الحياة العربية ، وحل محله قرار الاقلية المدنسة الفاسدة التابعة للاجنبي ، فأصيبت الامة في الصميم ، ولحق بها سوء ، ليس اقل من حيث نتائجه من الحكم الاجنبي المباشر » .

ان الحقائق التي اسفر عنها العدوان الذي ما زال مستمراً ، ومن ثم الحصار ، بقدر ما كشفت حقيقة العراق الذي تجلى بابنائه صوراً مشرقة في الصبر الجميل ، وفي الصمود والمطاولة التي قل نظيرها ، وفي الايمان بعدالة قضيته التي هي قضية امته ، بل والانسانية جمعاء ، تتطلب بالقدر ذاته وقفة عربية جادة في كسر طوق الحصار الجائر ، فالتضحية التي قدمها العراقيون ليست (عراقية) فحسب ، لانها (عربية) اولًا واخيراً ، كما ان (النصر) الذي حققوه هو حصة الامة ، ومهماز صحوتها القومية ورسالتها الجهادية .

المرقبة في الشعر الجاهلي

د . عبد الرزاق خليفة محمود الدليمي
كلية اللغات - جامعة بغداد

■ المقدمة :

المرقبة : الموضع المُشرفُ ، يرتفع عليه الرقيبُ وما أوفيت عليه من علم أو رابية لتَنْظُرَ من بُعد . وهي المَنْظَرة في رأس جبل أو حصن وجمعه مَرَاقِبُ . والترقب : توقع شيء وتنظُره[1] . ومما يتصل بالمرقبة صلة وثيقة ما نجده تحت مادة « ربأ » فالربيء والربيئة : الطليعة ، والجمع الرّبايا ولا يكون الا على جبل أو شرف ينظر منه . ومن المجاز رَبأ فلان على شرف اذا « علا وارتفع » لينظر للقوم كيلا يدهمهم عَدُو[2] .

وربات الارض : رَبت وارتفعت ، قال تعالى « فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وَرَبت »[3] . اي ارتفعت . وقد ارتبطت المرقبة بالجبل وللجبل صفات طبيعية معروفة هذا الى جانب ما يستوحيه منه الانسان من صفات معنوية تدل كلها على الشموخ والعظمة والعلو والسيادة ، فضلاً عن ارتباطه بالعز والمنعة والحصانة ، يقول دثار بن سنان :

كأني اذا حللت به طريداً
حللت على الممنع من أبان[4]

والصلة بين الشعر والبيئة صلة وثيقة لا ينكرها منكر ومن هنا كان للجبال وما يتصل بها وما تكتنفه من تفاصيل سفوحها وكهوفها وقممها موضع في شعر الجاهليين الذين تناولوا ذلك كله في حديث وصفهم ومغامراتهم وغزواتهم وسلمهم وحربهم فضلا عن اتخاذهم الجبال رموزا للشموخ والعظمة والخلود ، والذي يعنينا من ذلك كله أن المرقبة احتلت قدرا صالحا من شعر الشعراء على اختلاف شرائحهم وكان لها في شعر كل شريحة موضع ودلالة مما لم تفصل فيه دراسات سابقة ولم تستبطن مضامينه نظرات تحليلية ، وذلك ما يطمح هذا البحث الى تحقيقه متابعا صور المراقب في شعر كل شريحة محللا طبيعة تناولها ودلالات توظيفها وصولا الى تقديم تصور شمولي لظاهرة مهمة من الظواهر التي عالجها الشعر الجاهلي .

المرقبة في شعر الصعاليك :

لقد شغلت المرقبة جانباً كبيراً من شعر الصعاليك خاصة ، ومن هؤلاء الصعاليك ، صعاليك هذيل الذين جعلوا من الاماكن العالية حصناً وممتنعاً لهم ، فقد اشتهر جبل هذيل بمرقباته[5] ، حتى ارتبطت المرقبة بهذا الجبل ، يقول الزبيدي « والمرقبة جبل كان فيه رقباء هذيل »[6] يجدون فيه مامنهم وينجزون مهماتهم في الترصد ومراقبة الاعداء « فالوقوف على المرقبة يزدوج فيه معنى الهرب والمواجهة »[7] . ولقد تحدث الشعراء الصعاليك عن مغامراتهم ، وتحدثوا عن تربصهم بضحاياهم ، وارتقابهم الفرصة

الملائمة لمهاجمتهم ، فوق المرتفعات العالية التي يشرفون منها على الطريق بحيث يرون الناس ولا يرونهم .

ومن اشهر مناطق تربصهم - فضلا عما سبق - منطقة جبال السراة فيما بين مكة والطائف ، ولعلها المنطقة التي شهدت وجود اكبر عدد من صعاليك العرب ، فيذكر الاصمعي أن بالحجاز والسراة من هؤلاء العدائين الذين يعدون على ارجلهم ويختلسون اكثر من ثلاثين[٨] ، وان في هذيل وحدها منهم أربعين[٩] وهذه المنطقة بحكم طبيعتها الجبلية تيسر وسائل المراقبة والترصد فضلا عن وسائل الهرب والاختفاء والنجاة ، فما أيسر ما يجدون في دروبها الملتوية [illegible] وطرقها الصاعدة الهابطة فرصاً طيبة تساعدهم على الهرب [illegible] أكثر ما يجدون في كهوفها المتعددة ، وثناياها الغامضة المحجوبة وصخورها العالية المتناثرة اماكن صالحة للاختفاء والمراقبة[١٠] . ففي اخبار تابط شراً أنه اغار ومعه ابن براقة على بجيلة ، فلما خرجت في آثارهما « مضيا هاربين في جبال السراة ، وركبا الحزن »[١١] .

وأشهر الصعاليك الذين انتشروا في هذه المنطقة الجبلية صعاليك فهم وصعاليك هذيل ، فضلا عمن انضم الى اولئك وهؤلاء من خلعاء القبائل وشذاذها .

لقد احتشد كثير من صعاليك هذيل وذؤبانهم يراقبون ويسطون على الآمنين الوادعين او يُروعون القوافل التي كانت تقطع الطريق بين مكة والطائف ، متربصين بمن يريد العمرة او الوافدين على الحرم ، والخارجين منه في تجارة ، يشجعهم على الفرار طبيعة الاقليم ذي الشعاب والاخاديد العميقة واشهر الاماكن هنا جبل غزوان[١٢] . ان طبيعة الجبل والحياة فيه اضفت على الهذلي شيئاً كبيراً من التوجس والحذر ومن هنا كان يقظا جريئاً لا يهاب شيئاً ، وهو ما يفسر الكثرة الملحوظة من الشذاذ فيهم ، والذين يكثر بينهم الفُرّار العداؤون ، تشد أزرهم طبيعة صلبة وعرة تمنح سوقهم عضلات قوية[١٣] نتيجة لطبيعة الارض وما تستلزمه من صعود وهبوط دائمين ، وتسلق للمرتفعات ومنها مراقب الرصد .

لقد اتخذ هؤلاء الغزو والسطو « مهنة » حين حيل بينهم وبين ما يريدون على ان هذه الطبقة المتمردة لم تستقل بنفسها عن الطبقة الفقيرة كلها ، ولم تخلعها القبيلة بدورها وانما اكتفت بخلع بعضها ممن كانت وطأتهم شديدة كصخر الغي وأبي جندب ..

ان اصحاب هذا النوع من الغزو - اعني الصعاليك - يجمعهم وجدان طبقي واحد عمل على تكاتفهم فاذا هم طبقة ظاهرة مستقلة لها شخصيتها واسلوبها المعين في الحياة وان كثيراً من شعراء هذيل كانوا من المتمردين الذين يعيشون مع الصعاليك الاخرين في توافق اجتماعي في اكثر الاحيان ، وبعض هؤلاء طلبتهم القبائل الاخرى فانطلقوا يختبئون في الصحراء ، او في شعاب الجبال ومراقبها ، يعيشون بها مشردين متوجسين مطلوبين للثار والقصاص ممن آذوهم واغاروا عليهم ونهبوهم ، ومن هؤلاء - مثلا - ابو جندب[١٤] .

وطبيعي أن ترتبط حياة بعض هذيل بهذه الناحية ، يتعرضون من أجلها لانواع شتى من المشقة حيث يتربص بهم الناس ، وهم يتربصون بهم وهو ما نجده في غزوات تابط شراً المستديمة لاحد جبال بني لحيان المفردة[١٤] . وفي اخبار بعض الصعاليك الهذليين انهم كانوا يغيرون على خزاعة[١٥] ، وكانت خزاعة تقيم بمكة[١٦] ، وكان بين هذيل وفهم ثارات[١٧] ، فكان صعاليك كل من القبيلتين يغيرون على الاخرى ، فيتربص بهم صعاليكها ، وهكذا يبدو أن للمسالة جانباً اقتصادياً آخر هو سر المسالة والذي يرجع الى الصراع بين الطائفتين على أهداف واحدة هو السيطرة المطلقة على هذه المنطقة الخصبة[١٩] .

لقد وقف الصعاليك موقفاً اجتماعياً رافضاً واعتمدوا على القوة في كسب رزقهم ووجدوا في القوافل التجارية المارة سبيلا لكسب هذا الرزق ، ففي مرور هذه القوافل في المناطق المقفرة الموحشة فرصة صالحة للغارة والغزو ، وصيد مواتٍ للسلب والنهب فاجتمعوا في عصابات ، وانضم اليهم خلعاء القبائل وشذاذ الاحياء ، يتربصون مترصدين لينتهبوا ما يقدرون على انتهابه[٢٠] .

والمرقبة التي يتربص فوقها الشاعر الصعلوك دائماً منيعة ابية على سواه [illegible] ما يتحدثون عن تربصهم فوقها والليل مقبل يغشى الكون بدياجيه [illegible] ليكون هذا اممن في التخفي ، وأقرب الى مواتاة [illegible] رصة وابل [illegible] أتهم وقوة قلوبهم ، « والليل اخفى للويل »[٢١] [illegible] امثالهم . و « الصعاليك نومهم قليل » كما يقول الشا[illegible] عمرو بن براقة[٢٢] .

ويرسم الشنفري في [illegible] شعره لوحة رائعة لمرقبته ، فهي منيعة عالية يعجز دونها [illegible] الماهر الخفيف الذي يخرج بكلابه المضْراة للصيد ، ويصف [illegible] كيف صعد اليها وقد اقبل الليل بظلامه الحالك الشديد الذي يلف الكون ، وكيف قضى الليل فوقها متربصاً ، محدبا على ذراعيه مبالغة في تخفيه كما يتطوى الافعوان المتكسر ، ولا شيء معه سوى نعلين باليتين مفتخراً بذلك وباصحابه الذين لا يبارقونه ، سيفه وقوسه وسهامه[٢٣] :

ومَــرقبــةٍ عيطــاءَ يقصرُ دونهــا
أخــو الضروة الرجــلُ الخفيف المشفّفُ
نميتُ إلى أعــلى ذُراهــا وقــددنــا
من الليــل ملتفّ الحــديقــة أســدفُ
فبت عــلى حــد الــذاعين مُحــدبــا
كمــا يتطــوّى الارقشُ المتقصّفُ
قليــلٌ جهــازي غــير نعلــين أسحقت
صــدورُهمــا مخصــورةٌ لا تخصّفُ
وملحفــة بزّس وجُــرد صــلاءة
إذا أنجمتْ من جانب لا تكفّفُ[٢٤]

وهذا ما نجده في مرقبة تابط شراً التي تعلو سائر المراقب وهي الى جانب هذا معقدة ذات اخاديد كانها عجوز شمطاء بثياب خلقة ، ولكنه مع ذلك كله ما ان ينتصف الليل حتى ينهض اليها :

ومــرقبــة يــاأمَّ عمــرو طمــرّة
مــذبــذبــة فــوق المــراقب عيطَــلِ
نهضت إليهــا من جثــوم كــانهــا
عجــوزٌ عليها هِــدمِلٌ ذات خيعــلِ[٢٥]

صَفُودا بنعلٍ بالية ممزقة قد شدها بسيور بعد ان جعل تحتها نعلا اخرى :

بشــرتــةٍ خَلَقٍ ، يُــوقى البنــان بهــا
شَــدَدتُ فيهــا سريحــاً بَعْــدَ اطــراقِ[٢٦]

وتبدو مرقبة ابي خراش قليلة الارتفاع في الليل لانها في الواقع اعلام شامخة يتقطع عند صعودها النعل فيصير اشلاء تشبه اشلاء طائر السماني :

ونعــلٍ كــأشــلاءِ السُّمــانَي نبــذْتهــا
خــلافَ نَــدىً من آخــرِ الليــل أورهِمِ
إذا لم ينــازعْ جــاهلُ القــوم ذا النُّهى
وَبلّــت الاعــلامُ بــالليــلِ كــالأكمِ
تــراهــا صِفــارا يَحْسِر الطَّــرْفُ دونَهــا
ولـو كـان طَـوْداً فـوقـه فِـرقُ العُصمِ[٢٧]

وفي صورة اخرى لمرقبة يرسمها بشكل اشمل واكثر تفصيلاً ويضع نفسه امام شرط قاس وهو الانسلاخ من قبيلة « مرة » إنْ اخفق في ارتقاء هذهِ المرقبة التي هي نتوء مشرف من الجبل كانه حد الفاس ، يشرف على طريق ضيق كانه النفق ، يتسرب فيه الناس ، وقد اقيم فوق هذا النتوء عرش يستظل المتربص تحته ويختفي فيه ، ولكن هذا العرش قديم متهدم لم يبق منه الا عودان أحدهما قائم والاخر ملقي على الارض :

لستُ لُمــرةَ إن لم أوفِ مَــرقبــةً
يبــدو لِيَ الحــرث منهــا والمقــاضيبُ
في ذاتِ ريــدٍ كــزلّقِ الفــاس مشرفــةٍ
طــريقهــا سَــرَبٌ بــالنــاس دعبــوبُ
لم يبق من عــرشهــا الا بعــامُتهــا
جــذلان مُنهــدمٌ منهــا ومنصــوبُ[٢٨]

ولم يكن ابو خراش وحيدا فوق مرقبته وانما كان معه صاحب عزيز قوي النفس لم يرض بحياة الدعة وأبى أن يكون عبداً او خادماً للناس ، انما آثر ان يكون صعلوكاً عاملاً يرصد فريسته من فوق المراقب والدنيا ظلام والليل موغل ، فهو يرفض الراحة والدفء اللذين ينعم بهما الضعاف الذين لا خير فيهم :

بصاحب لا تُنالُ الدهر غِرّتُهُ
إذا افتلى الهدفَ القِنُّ المعازيبُ
بعثته بسواد الليل يرقبني
إذْ آثر النومَ والدفء المناجيبُ[٣٠]

ويمضي ابو خراش « بعد تلك مضيفاً الى صورة صاحبه خطين آخرين فهو قائم فوق هذه المرقبة كانه السهم ، او قدحُ كثير الفوز قد جعل صاحبه فيه علامة لشدة اعتزازه به وحرصه عليه ثم هو سَفْعُ النفس على نحافته وقلة لحمه »[٣١] .

يظلُّ في رأسها كانه زلَمٌ
من القداح به ضرسٌ وتعقيبُ
سَفْعٌ من القوم عريان اشاجعه
خَفٌ النواشر منه والظنابيبُ[٣٢]

إن ظاهر الصورة التي رسمها ابو خراش لمرقبته والتي بدت مهترئة توشك على السقوط يختلف عن باطنها الذي يشكل رمزاً للقوة فالارتقاء اليها ومراقبة السابلة منها يحتاج الى بطولة منقطعة النظير لهذا تَراه يحشد الوان صورته الصادقة البارعة محدداً ابعادها في ابراز صفات صاحبه من نحول ونواشر بارزة . وهو ما نجده في الصعلوك العامل الذي يمدحه عروة ، والذي يظل مصدر تهديد لاعدائه مطلا عليهم وهم يزجرونه كما يزجر المقامرون بعض قداحهم الخاسرة اذا ضربوا بها وهو بذلك يتحدى اعداءه ويقهرهم :

مُطلّا على اعدائه يزجرونه
بساحتهم زجر المنيح المشهرِ[٣٣]

لقد كان الذعبان لا يقرون ابداً ، لان الحياة عندهم عمل مستديم ، وكانوا حذرين في كل خطوة يخطونها ، ولقد وجدوا في المناطق الجبلية ومرتفعاتها ما يعينهم على اتمام مغامراتهم ، ففي قممها العالية مراقبهم منها يرصدون اعداءهم ، حتى يستطيعوا أن يوجهوا اليهم ضربتهم في الفرصة الملائمة ، ولا يقتصر الرصد فيها على الليل بل يشمل النهار ايضاً فهذا عمرو ذو الكلب يفتخر بالمرقبة التي يتربص فوقها ، فهي بعيدة واسعة عالية ملساء ، منحدرة الحرف ، وقد أمن في موضعه ذاك طوال يومه مُخفيا شخصه ، حتى اذا حانت الفرصة تحدر من فوقها وهو ما يزال متخفياً كما يتحدر الماء الصافي الذي يهتدي لمنحدره :

ومرقبةٍ يحار الطرف فيها
تُزل الطير مشرفة القذالِ
ولم يشخص بها شرفي ولكن
دنوت تحدُرَ الماء الزُلالِ
اقمت برَيْدها يوماً طويلاً
ولم أشرف بها مِثلَ الخيالِ
ومقعدِ كُربةٍ قد كنتُ فيها
مكان الإصْبَعين من القِبالِ[٣٤]

فالشاعر بطل علينا في هذه الابيات مصوراً حاذقاً لهذه المرقبة ولحالته فيها فهو قد عرفها جيداً بعد أن اقام فيها طويلاً . وهو ما نجده في ابيات تابط شراً الذي يفخر بنفسه وبقوته وصبره لانه سبق اصحابه الذين يرتقون معه اعلى القمم وادقها ، لا يمنعهم من ذلك حر الصيف وشمسه المحرقة ، ولان في الوصول اليها الامن والعلو والمنعة :

وَقُلّة كسنانِ الرُمح بارزةٍ
ضَحيانةٍ في شهور الصَّيف مِخراقِ
بادَرْتُ قُلّتها صحبي وما كسلوا
حتى نميتُ اليها بعد إشراقِ
لا شيء في رَيْدها ، إلّا نعامَتُها
مِنها هَزيمٌ ، ومنها قائم باقِ[٣٥]

فالصعاليك يتربصون فوق المراقب ينفقون فيها كل يومهم وهم راقدون على الارض كالخيال حتى لا يراهم احد ، ففي رصد حركات الاعداء وفي الدفاع عن المجموع يلقون العنت والمشقة

فضلاً عن ذلك انهم يجدون في هذه المراقب اماكن آمنة ، فيها يدفعون الاخطار ومن خلالها يترقبون الاعداء ، وهو ما يبدو في مجمل النصوص الشعرية السابقة ، فاذا مات احد الذوبان ، يكون مما يرثى به صعوده في المرقبة ويقاؤه عليها ليمنع الشر عن اخوانه ، قال ابو المثلّم في رثاء صخر الغي .

لوكان للدّهر مالٌ عند مُتلدهِ
لكان للدهر صخرٌ مالَ قُنيانِ

....

رَبّاءُ مَرْقَبةٍ مَنّاعُ مغلبةٍ
رَكّابُ سلهبةٍ قَطّاعُ اقرانِ[٣٦]

فارتقاء هذه المراقب يُعد من المفاخر التي تمدحوا بها ، وهذا ما نجده – ايضاً – في رثاء تابط شراً لصاحبه الشنفرى الذي لم ينس بطولته في ارتقاء تلك المراقب الشماء التي طالما ربص فوقها في انتظار فرائسه ، فرائس الغزو وفرائس الثار : منبهاً اصحابه على احوالهم من غفلة عنهم اودراية بهم ، فيقول فيه :

ومرْقبةٍ شماءَ أقعيتَ فوقها
لينعمَ غازٍ او ليدْرك ثائرُ

وأمرٍ كسدِّ المنخرين اعتَلَيتَهُ
فَنفَّستَ مِنهُ والمنايا خَواضرٌ[٣٧]

ويتحدث عروة كثيراً عن اصحابه ولكن حديث القائد لا حديث الرفيق ، فهو يدعوهم للغزو والغارة[٣٨] ، حتى اذا ما انتهت الغارة ، واخذوا طريق العودة ، ونزلوا عند بعض المياه لينحروا مما نهبوه ، تحول القائد الهمام الى قائد حذر ، لا تفارقه صفة الزعامة ، « فهو لا يقف ربيئاً لاصحابه ، وانما يبعث احدهم ليرقب لهم الطريق فوق المرتفعات ، وهو يرسم في بعض شعره صورة لهذا الربيء ، وقد وقف فوق مرقبته ثابتاً لا يتحرك كانما غُرس فوقها ، ولكن عينيه لا تستقران ، فهو يقلبهما دائماً في الفضاء الذي يحيط بهم ، حيث اناخوا ابلهم ، واوقدوا مواقدهم يهيئون لا نفسهم طعاماً »[٣٩] فيقول :

لعلَّ انطلاقي في البلاد ورحلتي
وشدي حيازيم المطية بالرُحلِ

سيدفعني يوماً إلى ربِّ هَجْمة
يدافع عنها بالعقوق وبالبخلِ

قليل تواليها وطالِب وتْرها
إذا صحتُ فيها بالفوارس والرجلِ

يقلّب في الأرض الفضاء بطرفه
وهنَّ مناخاتٌ ، ومرجلنا يغلي[٤٠]

وبعد .. فلقد عبر الشعراء الصعاليك عن قوتهم وشجاعتهم الفردية من خلال صورة المفازات التي اجتازوها او المراقب الشم التي ارتقوها ، وقد طال الحديث عن هذه المراقب التي لم يجرؤ غيرهم على ارتقائها . لما في ذينك المسرحين المفاوز والمراقب من الاخطار والمخاوف ولا سيما المخاطر الطبيعية ، فضلاً عن المفاجآت المجهولة التي تحملها الطبيعة مما يجعل ارتياد تلك الاماكن مبعثاً على الفخر والشجاعة ، هذا الى جانب صفتي الارتفاع والمنعة ، التي وجدوها في ارتقاء المراقب والتي تحول التربص فيها والرصد منها الى موقع آمن من الاعداء كافة .

وعزز امانهم في هذه المراقب ، السلاح الذي رافقهم في رحلتي الصعود والهبوط ، وفي الليل الشديد الظلام ، او في حر الظهيرة اللافح وفي المراقب المكشوفة لشمس الصيف القاسية والهجير الحارق اللاهب .

وحفل شعر الصعاليك بقصص واحاديث عن تشردهم وفقرهم وابائهم امام تجبر الموسرين ، واحاديث عن مغامراتهم الجرئية فرادي وجماعات بما فيها من صراع وفرار وعدو وتربص فوق المراقب في انتظار الضحايا من الاغنياء والموسوين ، عارضين كل ذلك باسلوب قصصي فيه الكثير من الاثارة والتشويق وتسلسل الاحداث حتى الغاية الطبيعية المحتومة . وكان للمرقبة في هذه القصص الشعرية واحداثها دور مؤثر وبارز لما لها من مكانة في نفوس الشعراء الجاهليين عامة والشعراء الصعاليك خاصة .

المرقبة عند شعراء القبائل :

يكاد يتفق شعراء القبائل في وصفهم للمراقب التي ارتقوها مع ما وجدناه عند الشعراء الصعاليك فياتي الحديث عن المراقب عندهم تجسيداً للبطولة الفردية والجماعة مقرونة بحديثهم عن التربص لاعدائهم ، والترصد فوق المرتفعات العالية والجبال ، التي هي رمز للشموخ والمظمة والعلو والتمنع ، فضلاً عن الخلود الذي يعلو على مستوى الحياة الاعتيادية ، فبما انه شامخ فهو خالد ، وقد اقترن الجبل بذكر العظماء ، وبافعالهم ومن هذه الافعال ارتقاء الجبال العالية والوصول الى مراقبها الصعبة ، قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه ابا المغوار :

كان أبا المغوار لم يُوف مرقباً
إذا ربأ القوم الغُزاةَ رقيبُ[٤١]

وجمع امرؤ القيس بين الجبل والشمس ، في وصفه لمرقبته العالية الصعبة الارتقاء ، التي اشرف فوقها نهاره كله يقلب الطرف ويرقب العدو من كل ناحية حتى الغروب :

ومرقبةٍ كالزُجِّ اشرفتُ فَوْقَها
أقلِّبُ طرفي في فضاء عَريضِ

فظِلْتَ وظَلَّ الجَوْنُ عندي بلِبْدهِ
كأنّي أُعْدي عن جناح مَهيضِ

فلما أجنَّ الشَّمسَ عنّي غِيارُها
نَزَلْتُ إليه قائماً بالحضيضِ[٤٢]

ومن الغريب أن تذكر المرقبة في شعر امرىء القيس[٤٢] د الذي تحدث عن ترصده فوقها حتى غروب الشمس وهو ابن ملك ، ويوضح هذا الامر نص للاصمعي يرويه ابن دريد عن ابي حاتم عنه ، يقول فيه « ويقال ان كثيراً من شعر امرىء القيس لصعاليك كانوا معه »[٤٣] . فان لم نوافق الاصمعي على : ان كثيراً من شعر امرىء القيس لصعاليك كانوا معه ، فاننا نستطيع ان نقول ان هناك اثراً للصعاليك في شعر امرىء القيس من هذا الجانب حيث

بدت المرقبة واضحة جداً في شعر الصعاليك ، ومن المعروف ان امرأ القيس في بعض مراحل شبابه كان يتبع صعاليك العرب « ومن الطبيعي ان النفس الفنية في هذه السن المبكرة تكون قابلة للتاثير لان نضجها الفني لم يكتمل »[٤٤] بعد . واذن فليس من البعيد أن يكون امرؤ القيس قد تاثر بهم في هذا الجانب .

وتبدو الصورة نفسها والاتجاه ، ذاته الذي وجدناه عند امرىء القيس – الجبل والشمس – عند لبيد ، فهو يعلو المرقبة ويظل فيها حتى غروب الشمس ، وكان المرقبة لا يصلح المكوث فيها الا للرقابة والنظر فهي مرتبطة – على نحو ما – بالشمس[٤٥] .

وقد يرتبط الجبل بالليل ، وبمظاهر الطبيعة الاخرى ، فهو موطن الريبة ، وعلى الريبة يحاول الشاعر التغلب على الخوف الذي سببته وحشة الصحراء في بهيم الليل وما يسمعه من اصوات وغيرها بان يجعل هذا المجهول الخوف مما يستانس به فيلبسه ثوب الانسان في شكله وكلامه ، بل في معلوماته ولغته ، فهذا الاستئناس يخفف بلا شك من حدة الخوف لدى الشاعر العربي طارق الدياجي ، فيجد في المرقبة وعلوها موقع أمان ، قال زهير :

وَمَـــرقَبـــة عَـــزفـــاءَ أوفيتُ مُقْصِـــراً
لاستأنِس الاشباحَ منها وأنظُرا[٤٦]

فالاصوات الغريبة والاشباح المختلفة والجان الجوال وسط الظلام ، مما يتغلب الشاعر عليها في شعره لا بالهروب منها بل بالاستئناس بها ، وهذا التقرب والاستئناس يتم بالمراقبة والترصد من موقع الامان الذي وصل اليه في حضن المرقبة بقمة الجبل ، ونجد ذلك ايضاً في ابيات لكعب بن زهير يذكر فيها القفر الموحش والجبل والمرقبة التي ارتقاها فيقول :

ومرقبةٍ عيطاء بادرتُ مُقْصراً
لاستأنِس الأشباحَ أو أتَنَوَّرا
على عَجَلٍ مني غشاشاً وقد بَدَا
ذُرا النُّخْلِ وأحْمَرُ النهارِ فاذبَرَا[٤٦]

فهو يصف المرقبة وقد اتاها على خوف اخر النهار ، وذلك كما يقول الشارح « اشد لخوفه ، لان البصر لا يَصْدقه في آخر النهار كما يَصْدقه في اوله وفي وسطه ، وانما يَخمَرُ عند سقوط الشمس ومغيبها »[٤٧] . وهو ما يقرره الاسود بن يعفر الذي يفخر بالصعود الى مرقبته المرتفعه جداً التي لا تبلغها الا الصقور وقد استقر فوقها مترصداً مع غروب الشمس :

ومَربأ كالزُّج أشرفتُهُ
والشمسُ قد كادت ولم تَغْرُبِ
تلفُني الريحُ على رأسهِ
كانني صَقْرٌ على مَرْقَبِ[٤٨]

وتجد الارتفاع والمنعة واضحين في مرقبة امرىء القيس فهي مرقبة عالية صعبة الارتقاء لا تصل اليها الا الطيور[٤٩] ،

وهذا ما يؤكده المتنخل الهذلي الذي يفخر بمرقبته التي ارتقاها ، والتي لا تستتر عليها الا الطيور القوية لشدة ارتفاعها ومنعتها وصعوبة الوصول اليها :

ومرقبة نميت الى ذُرَاها
تُزِلُّ نوارجَ الحجلِ القواطي[٥٠]

مما تقدم نجد ان المادة الشعرية للمرقبة قد استقت صورها مما وفرته الطبيعة – الجامدة والمتحركة – للشاعر معبراً من خلالها عن قوته في الصمود امامها وفخره الذاتي في ارتقاء مراقبها الخطرة المسالك ، التي تتوافق مع صفات الشاعر المتمثلة بالفتوة والشجاعة وتحدي الصعاب . وهذا ما رسمه ابو كبير الهذلي لمرقبته التي خالط الوانها فخر الشاعر بنفسه لانه ارتقى مرقبته حين احجم الرجال « عن صعودها خوفاً وتقاعسا لانها في رأس جبل شاهق تحيط به الاخطار لا نبت حولها ، ولا انيس فيها »[٥١] ، الا الحمام الاخضر الذي لا ياكله احد لانه ابعد من ان يصل اليه انسان :

ولقد ربأت اذا الرِّجالُ تواكَلُوا
حَمَّ الظهيرةِ في اليفاعِ الاطولِ
في رأس مشرفة القذالِ كانما
اطرُ السحاب بها بياضُ المجدلِ
وعلوتُ مرتبئاً على مَرْهوبة
حصباء ليس رقيُبها في مَثْمَلِ
عيطاء مُعنقةٍ يكون انيسُها
وُرْقَ الحمام جميعها لم يؤكلِ[٥٢]

والمرقبة عند ابي ذوءيب تاخذ حيزاً كبيراً وتقدم معنى جديداً فهي للمراقبة ولحماية الديار من مباغتة الاعداء ، وليست للسطو والاستلاب ، انها مرصد القبيلة لذلك فهي مرتفعة ومشرفة ، ويتحمل الراصد فيها الحر الشديد لان مهمة حماية القبيلة تتطلب هذه التضحية منه :

هذا وَمَرْقَبةٍ عَيْطاءَ قلتها
شَمَّاءُ ضاحية للشمس قِرْواحُ
قد ظِلْتُ فيها معي شُعْثٌ كأنهُمُ
إذا يُشَبُّ سعيرُ الحَرْبِ أرْماحُ
لا يَستظِلُّ أخوها وهو مُفتَجِرٌ
لِرَيدِها من سَمومِ الصَّيفِ مُلْتاحُ[٥٣]

وهو ما يتحمله لبيد بن ربيعة الذي يحمي قومه ويكون في المظنة والخوف ، يرقب لهم عند ثغور الاعداء ، وهو بكامل عدته متهاهباً للنزال حتى اذا أجنه الظلام نزل من مرقبته الى السهل ، وامتطى جواده القوى السريع :

ولقد حميتُ الحيَّ تحمل شِكَّتي
فُرُطٌ وشاحي إذْ غدوتُ لجامها
فعلَوتُ مرتقباً على ذي هَبوةٍ
حَرِجٍ الى أعلامهنَّ قتامها
حتى إذا ألْقَتْ يداً في كافرٍ ·
وأجَنَّ عَوْراتِ الثغُورِ ظلامها

أسهلْتُ وانتصبت كجذع منيفة
جَرْداءَ يَحْصَرُ دونها جُرّامُها[٥٤]

وهو ما يؤكده في موضع آخر وموقعة اخرى يكون فيها على رأس حامية من قومه بني جعفر يحميهم ويربأ لهم ويرقب عدوهم ، بجنان ثابت وقلب قوي ، يفخر من خلاله بشجاعته وهمته بالارتقاء الى المرقب العالي الذي فيه المنعة والسمو والارتفاع :

وَلَقَدْ يَعْلَمُ صَحْبِي كُلُّهُمْ
بِعِدَانِ السَّيْفِ صَبْرِي وَنَقَلْ
رابطُ الجاشِ على فَرْجِهِمُ
أَعْطِفُ الجَوْنَ بِمَرْبُوعٍ مِتَلْ

....

فتدلَّيْتُ عليه قافلاً
وعلى الارضِ غَيَاباتِ الطَّفَلْ
وتأبَّيْتُ عليه ثانياً
يَتقيني بتَليل ذي خُصَلْ
لم أقِلْ إلّا عَلَيْهِ أَوْ على
مِرْقَبٍ يَفْرَعُ أطرافَ الجبلْ
ومعي حاميةٌ من جَعْفَرٍ
كُلَّ يوم تَبْتَلى ما في الخَلَلْ[٥٥]

وهذا ما نجده في المرقب الذي وصفه كعب بن زهير والذي يفخر بالوصول اليه ، فهو مرقب شامخ قاهر الارتفاع لا يسلك طرقه الا القوي الشجاع ، حيث يجد فيه الامان والمنعة له ولمن يحميه من الاصحاب ، فضلاً عن انذاره المبكر لقبيلته من أي اعتداء خارجي :

ونار قُبَيْلَ الصُّبح بادرتُ قَدْحَها
حَيَا النّار قَدْ أوقَدْتُها لِمُسافِرِ
فَلَوَّحَ فيها زانَهُ وَرِباتُهُ
على مَرْقَبٍ يَعْلُو الأحزَّةَ قاهِرِ
وَلمَّا أجَنَّ اللَّيلُ نقباً وَلَم أخَفْ
على أثرٍ منّي ولا عَيْنَ ناظرٍ
اخذتُ سلاحي وانحدرتُ الى امرىءٍ
قليلٍ أذاه صَدْرُهُ غيرُ واغِرِ[٥٦]

وهذا ما يقرره ابو ذوءيب الهذلي الذي يمعن في رسم الصورة القاسية الموحشة لهذه المراقب فطرقها ملتوية لا يسلكها الا القوي الذي لا يخاف الوحدة ، ولا يخشى لظى الشمس ، ويقرن هذه الصورة بذاته التي تمجد البطولة الفردية المسخرة لخدمة القبيلة ، وهو يجازف بنفسه في اختراق المسالك الموحشة منفردا من اجلها[٥٧] . وكما يتحرك ويترصد منفرداً نجده يترصد الاعداء مع المجموع ، بشكل نفيضة يبحثون في الارض والمرتفعات لينظروا اعداءهم ، فهم رجال استطلاع متقدم في ربايا تراقب العدو وترسل اشارات التحذير بطريقة يتفقون عليها ، وهذا ما نستشفه من قوله :

على طُرُقٍ كنحور الرِّكا
بِ تَحْسِبُ ارامَهُنَّ الصُّروحا
بِهِنَّ نَعامٌ بناها الرِّجا
لُ تُبْقى النَّفائضُ فيها السَّرِيحا[٥٨]

وهو ما نجده عند خفاف بن ندبه الذي يربأ لقومه مفتخراً :

ومرقبة طَيَّرْتُ عنها حَمامها
نعامُتها منها بضاحٍ مُزَلَّقِ
تبيت عِتاقُ الطير في رقباتها
كَطُرةِ بيتِ الفارسيِّ المعلَّقِ[٥٩]

وهذه الخنساء تمدح آخاها صخراً ، بانه يحمي ديارهم من مباغتة الاعداء ويرقب ثغور تقريبهم :

إنّك راعٍ لجميع فإنْ
أوفَيْتَ أعلى مَرْقَبٍ فانْظرِ[٦٠]

وهذه من واجبات سيد القوم الذي يكون حافظاً لاهله ورعيته لكي لا تتفشاهم خيل اعدائهم بغتة ، او ترقبهم عيون جواسيسهم[٦١] ، فكما كانوا يراقبون الاعداء ويتربصون بهم ، كان الاعداء يقابلونهم بالمثل ، وهو ما تكشفه لنا دورية الاستطلاع التي يتقدمها ابو ذوءيب الهذلي حين يقول :

واصبحت أمشي في ديار كانها
خلاف ديار الكاهلية عُورُ
أنادى إذا أُوفي من الارض مَرْقَباً
وإني سميعٌ لو أجاب بصيرُ[٦٢]

وهذا ما نستشفه ايضاً من قول امرىء القيس الذي ابصر اعداءه متحصنين في مراقب عالية منيعة[٦٣] ، وذلك في اثناء غارته عليهم ، واكد ذلك مالك بن خالد الهذلي الذي رأى الرجال مستمكنين لهم في المراقب ، فيقول :

كأن ببطن الشِّعب غِرْبانَ غيلةٍ
ومن فوقنا منهم رجالٌ عصائبُ
وكان لهم في رأس شِعْبٍ رقيبهم
وهل تُوحِشَنْ مِنَ الرِّجال المَراقبُ[٦٤]

وكما قدم لنا الشعر الجاهلي صورة البطولة الفردية والجماعية في ارتقاء هذه المراقب والفخر بالتغلب على الاخطار والمخاوف ان كانت طبيعية او غيرها ، من أجل حماية القبيلة من الاعداء ، قدم لنا صورة اخرى هي في رثاء ابطال هذه المراقب من الذين منعوا الشر عن اخوانهم وقبيلتهم ، ومن ذلك رثاء المتنخل الهذلي لابنه اثيلة ، الذي يمدحه بانه كان يرتقي الربايا ويرصد الاعداء منها ، يقول :

أقول لما اتاني الناعيان به
لا يبعد الرمحُ ذو النصلين والرَّجلُ
دُمْخٌ لنا كان لم يُغْلَلْ تنوءُبه
تُوفى به الحربُ والعَزّاءُ والجُلَلُ
رَبّاءُ شمّاءُ لا يأوي لقُلّتِها
إلّا السَّحابُ وإلّا الأوْبُ السَّبَلُ[٦٥]

وهذا ما نجده في رثاء مالك بن خالد لابنائه[٦٦] ، ورثاء الخنساء لاخيها صخر[٦٧] . وبعد ..

فالمرقبة اذن عند شعراء القبائل رمز للقوة الجسدية والمنعة

والبطولة ، وقد تاتى ذلك كله من كونها تربض في قلب الجبل الازلي الشموخ . وقد امعنوا في وصف علوها فذهبوا الى ان الصقور وحدها من يستطيع بلوغها . فجسدوا بذلك شجاعتهم وبسالتهم وجلدهم وتحديهم للموت . وشاعر القبيلة يذكر المرقبة بوصفها مكاناً تبدأ منه حماية القبيلة وحفظ امنها وسلامة ابنائها ومقدراتها ، هذا الى جانب ذكرها مكاناً يستكشف منه المقاتلون شؤون اعدائهم واستعداداتهم لمواجهة الاخطار فيضعون في ضوئها خططهم القتالية .

وقد رأينا ان صورة المرقبة تسللت الى موضوعاتهم الشعرية المختلفة من فخر ومديح وحماسة وتهديد ورثاء بيد انها – في كل الاحوال – كانت مفردة من مفردات القوة والشموخ يوظفها الشعراء في الموضع الملائم الذي يرون توظيفها فيه يمنح الموضوع الشعري قدرة الاداء الفني المطلوب .

مرقبة الصيد – للانسان : –

لقد عرف العربي الصيد والطرد ، وعرف كيف يطارد الحيوان ويقنصه ، فهو يراقبه طويلاً ويصبر عليه في مرقبته[68] ، متربصاً به طوال الليل منتظراً اول خيوط الفجر حين ينساب القطيع الى موارد الماء ليروى ظماه ، وهو ما ينتظره الصياد الذي غارت عيناه وهناً وهزالاً ، وشققت سموم الصيف جلده ، فاستحال اسود جافاً ، وبرزت عظامه وغلظت انامله لشدة جهده وطول مراقبته[69] .

لقد سن امرؤ القيس اوقات الخروج الى الصيد ، فتبعه الشعراء وتخاطفوها جيلاً بعد جيل[70] ، حتى امست لازمة لا تكاد تفارق مطلع اي شعر يتناول وصف الحيوان ، ومراقبته واصطياده :

وقد اغتدي ومعي القانصان
وكُلٌّ بمرباة مُقتفر[71]

لقد استقى الشعراء صور الصياد المراقب من الطبيعة ، وهو ما نجده عند بشر بن ابي حازم الذي تقترب هياة الصياد في ذهنه بهياة الذئب فكلاهما سريع ، يبغي فريسته ، فينطلق باحثاً عنها مع الشروق وقد علته غبرة ، وواضح أن غبرة الذئب حقيقية ، اما غبرة الصياد فطارئة ، اكتسبها من القفار ومراقبة الوحش :

وباكره عند الشروق مكلِّبٌ
أزلُّ كسرحان القصيمة أغبرُ[72]

ولا يختلف الاعشى بتشبيهه الصائد بالذئب ، وقد قعد في مرقبته يرصد منها الوحش صبيحة كل يوم[73] ، وكأن الوحش قد ادركت ما يضمره الرماة لها فباتت تحذرهم وتتحاشى مواطنهم ، وفطن الصياد لذلك لذا وجدناه يستتر عن الوحش ويخفي رائحته[74] مختبئاً في ربيئته ، يراقب مورد الماء قال زهير :

وعلى الشريعة رابيء متحلس
رأم بعينيه الحظيرة شيزبُ[75]

ويسهر الصائد في تلك المرقبة ، طاوياً ليله أملاً في أن يظفر بصيد[76] ، وربما يترك الصياد مرقبته ، فيدب رويداً رويداً ولا سيما حين يدنو لصيده ، فيحني قامته ، ويمشي ببطء وحذر ، ليخفي نفسه ، وبهذا الصياد شبه عدي بن زيد نفسه ، وهو يخطو نحو الشيخوخة ، وقد حنت الايام ظهره :

حنتني حانيات الدهر حتى
كاني خاتل يدنو لصيد[77]

واحياناً يرسلون غلاماً ، يتشوف لهم من مكان مرتفع مسالك الوحش كما فعل امرؤ القيس ، اذ استتر رقيبه في مرقبته باوراق الشجر لئلا يراه الصيد فيذعر ، وكان الرقيب حاذقاً في مهمته ، فهو يمشي على اربعته كالخشف ، لاصقاً بالارض ليحمل لامرىء القيس وصحبه بشرى صيد وفير :

بعثنا ربيئاً قبل ذاك مخملاً
كذئب الغضى يمشي الضَّراء ويتّقي
فظلّ كمثل الخِشفِ يَرفَعُ رأسَهُ
وسائرُهُ مثل التُّرابِ المدَقّقِ
وجاء خفياً يسفن الارض بطنه
ترى الترب منه لاصقاً كل ملصق
وخيطُ نعامٍ يرتعي متفرق[78]
فقال الاهذا صُوارٌ وعانةٌ

وتتخذ الوعول مثالاً للقوة ، وموضوعاً للتاسي ، ولكنها على قوتها لا تنجو من الدهر ونكباته ، فهي تجعل شوامخ الجبال مساكن لها ، ومراقبها مواضع امان الا ان هذه المراقب لا تعصمها من الموت[79] ، فصائد هذه الوعول يختبىء في مكان ، يراقب منه الوحش ، واسهمه في كفه ، حريص ان ينال منه بها مقتلاً ، فيرسله فيصيب نواهق الوعل والفم :

اتاح له الدهر ذا وفضة
يقلّبُ في كفهِ أسهما
يراقبهُ وهو في قترةٍ
وما كان يرهبُ أن يُكلَما
فارسل سهما له اهزعا
فشكَّ نواهقهُ والفما[80]

وقد يطول ترقب الصياد مختفياً ، يطوي نهاره حتى يقترب الظلام :

فظلّ يرقبُهُ حتى إذا دمست
ذات العشاء بأسداف من الغسمِ
ثم ينوش إذا آد النهار له
بعد الترقب من نيم ومن كتم[81]

ويرسم ابو خراش في قصيدة له صورة طبيعية صادقة لحمار الوحش وقد امتلات نفسه ذعراً وهما ، خشية من الصيادين ، فقد اعتلى مرتفعاً من الارض يشرف على الافاق خائفاً يترقب[82] ، واليوم شديد الحر ، وعندما تؤذن الشمس بالمغيب ، ويحين موعد الاوبة الى المنازل ، يترك حمار الوحش مرقبته ، ويهيج اتنه التي تسرع امامه مثيرة غباراً كانه الخيوط التي لم تبرم :

أرى الدهر لا يبقي على حدثانه
أقبُّ تباريه جدائد حولُ

....

يضل على البرز اليفاع كأنه
من الغار والخوف المُجمّ وبيلُ

....

فلما رأين الشمس صارت كأنها
فويق البضيع في الشعاع خميلُ
فهيجها وانشام نقعاً كأنه
اذا لفها ثم استمر سحيلُ[٨٣]

وتحسُ الاتن الخطر المتربص بها من الصياد فتسرع الخطوه بعيدة عن الخطر، ويرسل الصياد سهامه فتنجو الاتن لتقدمها، ويسقط حمار الوحش بسهم عريض النصل[٨٤].

مرقبة الصيد - للحيوان :

مرقبة الطير :

لم يقف الشعر الجاهلي من الطيور المترقبة للصيد موقفاً يفصح عن نواحي العناية والتدريب والتضرية، فاكثر ما ورد كانت صوراً اوحت بها المشاهدات العابرة[٨٥] ولم نجد محاولة شعرية تسجل اسلوب استخدامهم لهذه الطيور غير ان عينهم الفاحصة لم تغفلها، فقد عدوها في جملة عناصر الطبيعة المختلفة التي اثارت اهتمامهم فوجب عليهم تسجيلها ضمن ما سجلوا[٨٦].

وينطلق حديثهم عنها في العادة من « مرقبة » يترصد فيها الجارح فريسته فاذا ابصرها انقض عليها وأنشب فيها مخالبه، وقد يستمر الصراع بين المطارِد والمطارَد زمناً، تختلف فيه النهايات، فقد يكون الموت مصير الفريسة، وقد يلوذ الطير الهلوع بالصخر منتظراً ظلام الليل وزوال الخطر[٨٧].

ومن هذه الجوارح العقاب الذي يعد من جوارح الطير المعمرة، ان شاءت كانت فوق كل شيء وان شاءت تقرب كل شيء، وهي اسمع الحيوانات لذلك قالوا في المثل اسمع من عقاب[٨٨]. ويقال للعقاب صومعة لانها ابداً مرتفعة على اشرف مكان تقدر عليه، ولا تراها ابداً إلا منتصبة ولا تكاد تراوغ صيداً، ولا تزال على مرقب عال فاذا رأت بعض سباع الطير صاد شيئاً انقضت عليه فحين يبصرها يهرب ويترك لها الصيدفان جاعت لم يمتنع عليها الذئب فما دونه[٨٩]. لهذا كان مسكنها مضرباً للمثل في العلو والاشراف والمنعة قال امرؤ القيس :

ومرقب تسكن العقبان قلّته
اشرفته مسفراً والنفس مهتابه
عمداً لارقب مابالجو من نعم
فناظر رانحاً منه وعزابه[٩٠]

وشأن الشعراء في اوصافهم لها شأنهم في اوصاف غيرها من الحيوانات فهم يذكرونها من خلال حديثهم عن خيولهم ثم ينتقلون الى وصفها وتصوير ما يريدون تصويره منها، وتدهش الانسان - احيانا - الدقة في الوصف المتأتية من المراقبة الطويلة، والاحاطة بطبائع الطيور فالفرس المندفع الى القتال كانه العقاب الهاوى من مرقبه العالي، قال الاعشى :

على كُلّ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ كأنَّهُ
عُقابٌ هَوَتْ مِنْ مَرْقَبٍ إذ تَعَلَّتِ[٩١]

ونرى امرأ القيس المعجب بفرسه يشبهه بعقاب قد لاح لها في ارض قفرة ذئب، كانت تشرف عليه وتترصده من مرقبة في قمة جبل عال، فطارت اليه وعندما قربت منه، وصارت فوقه انقضت عليه من علو شاهق، بكل ثقل وقوة، وكان العقاب الشقاء قد حل بالذئب :

كأنها حين فاض الماء واحتفلت
صَقْعَاءُ لاح لها بالسَّرْحَةِ الذِّيبُ
فابصرت شخْصَهُ مِن راسِ مرقبةٍ
وَدُونَ موقِعِها مِنهُ شناخيبُ
صُبَّتْ عليه وما تنْصبُّ مِن أمَمٍ
إن الشقاء على الاشقَيْنَ مَصبوبُ[٩٢]

ثم نراه يتتبع الصراع حتى يدرك نهايته، فالعقاب قد انقضت من السماء والذئب في الارض يقصد النجاء بنفسه، ولكن العقاب تدركه فتنشب مخالبها فيه، ويتخلص منها لائذا بالصخور، مختبئاً يومه والرعب يملأ قلبه، يترقب الليل عساه ان ينجو منها :

فادركته فنالتهُ مخالبُها
فانسلَّ من تحتها والدَّفُّ منقوبُ
يَلُوذ بالصخر منها بعدما فَترتْ
مِنْهَا وَمِنهُ على العَقْبِ الشآبيبُ
فظلَّ مُنْجَحِراً منها يُراقِبُها
ويرْقبُ الليلَ إن العيش محبُوبُ[٩٣]

ويحدثنا عبيد بن الابرص عن عقاب كثيرة الصيد، تجمعت في وكرها قلوب طرائدها وجفت، مشبها هذه العقاب فوق مرقبتها على الجبل المرتفع بعجوز ثكلت ابناءها :

كأنها لِقْوَةٌ طَلوبُ
تَحِنُّ في وكْرِها القُلُوبُ
باتت على إرم رابئةً
كأنها شيخةٌ رَقُوبُ

واذا كنا قد رأينا العقاب في الشعر الجاهلي تمثل رمزاً للقوة والمنعة، فان صورتها في شعر الهذليين اتخذت دلالة اخرى تمثلت في عجزها ونفاد قوتها أمام حوادث الدهر وتلك طبيعة رؤية الهذليين للموت وايمانهم بسطوته وجبروته، وقد كشف عن هذا صخر الغي عندما شبه اخاه بالعقاب في رثائه له حيث قال :

ولِلّهِ فتخاءُ الجناحين لِقْوَةٌ
تُوسِّد فَرْخَيْها لُحومَ الأرانبِ
كأن قلوب الطير في جوف وكرِها
نوى القَسْبِ يُلقى عند بعض المآدبِ
فخاتَتْ غزالاً جاثماً بَصرتْ به
لَدَى سَمُراتٍ عند أدماء ساربِ

فمـرت علـى زيْـدٍ فـأعنَتْ بـعضهـا
فخَـرت علـى الـرُّجلين أخيَبَ خـائبِ

....

فـذلـك ممـا يحـدث الـدهـر إنـه
لـه كـلُّ مطلـوبٍ حثيـثٍ وطـالـبِ

فالشاعر صور لنا العقاب في موقفين متناقضين تمثل الاول في القوة والحياة الهانئة التي عاشتها العقاب وفرخاها في توسدهم للحوم الارانب وتناثر قلوب الطير حول وكرها ومرقبتها فيه ، وتمثل الثاني في عجزها وضعفها امام القدر الذي ادى الى هلاكها ، عندما ارتطمت بصخرة صماء وصرعها القدر قبل ان تصرع فريستها وبذلك سيطر على القصيدة باكملها شعور واحد هو حتمية الفناء لكل شيء .

ويبدع ابو خراش الهذلي بتصوير نفسه – حين رأى جماعة ظنهم اعداءه – وتشبيهها بعقاب :

كـأنـيَ إذا عـدَوا ضَمَّنتُ بَـزِّي
مـن الـعِقْبـان خـائـتـةً طلـوبـا
جَـريمـةُ نـاهِضٍ فـي رأس نيـقٍ
تـرى الـعظـام مـا جمـعـت صليبـا

....

فـلاقتْـهُ ببلْقَـعـه بـرازٍ
فصـادَمَ بيـن عينيـهـا الجَبُـوبـا[14]

كانت تترصد وتراقب من اجل فراخها من مرقبة في شمراخ جبل شاهق الارتفاع فترى من بعيد صيداً ، فتجمع عزمها وتنطلق خلفه ، فصورها الشاعر منطلقة وراقبها في حركتها وتعقبها مجدةً في المضي وراءه ، حتى تلتقي به في فضاء بارز ليس حوله شيء ، ولكنها لا تصل اليه ، فقد اخطأته وصكت برأسها الارض .

ومن الجوارح الاخرى الصقر : التي سجل الشعراء عادتها في ملاحقة القوافل وكتائب الجيش ، تراقب من بعيد طمعاً في صيد يتخلف عنها ، صابرة في ترقبها ، متأملة لحظات القتال ساكنة في مكانها سكون الشيوخ الذين أضرَّبهم البرد :

إذا مـا غـزوا بـالجيش حلَّق فـوقَهُـمْ
عصـائـبُ طيـرٍ تـهتـدي بـعصـائـبِ

....

يصـانعـهـم حتـى يُغِـرْنَ مغـارهـم
من الضـاريـات بـالـدمـاء الـدواربِ
تـراهـن خلـف القـوم زوراً عيـونـهـا
جلـوسَ الشيـوخ في مسـوح الارانبِ[15]

وينقل لنا ابو خراش الهذلي ذلك الصراع المستمر من اجل البقاء في صورة حية نابضة بالصدق لصقر فوق مرتفع مشرف على الافاق ، يراقب في البعيد والقريب ، وفجاة يلمح من بعيد ارنباً يتوارى بين شقوق الارض فيتهيأ لها ثم يشرع يطاردها ، فتسرع حين تحس به لتنجو من الموت ، ولكنها اعجز ما تكون عن الهرب ، امام طير جارح اصاب منها القلب :

ولا امْـعَـرُ السـاقيـن ظـلَّ كـأنـهُ
علـى مُحْـزَئِـلات الإكـام نَصيـلُ
رأى ارنبـاً مـن دونهـا غـول أشـرُجٍ
بَـعيـدٌ عليـهـنَّ السَّـرابُ يـزولُ
فضَمَّ جنـاحَيـه ومـن دون مـا يَـرى
بـلادٌ وحـوشٌ امْـرُعٌ ومحـولُ
تـوائـل منـه بـالضـراء كـأنـهـا
سَفـاةٌ لـهـا فـوق التـراب زَليـلُ

....

فـاهوى لها في الجوِّ فـآختـلَّ قَلْبَها
صَيُـودٌ لحبـاتِ القلـوب قتـولُ[16]

وبعد ... فتلك هي صورة المرقبة وطبيعة توظيفها في الشعر الجاهلي ، حيث وجدناها شاخصة في شعر الصعاليك ، وشعر فرسان القبيلة وشعرائها المبرزين في حالتي الحرب والسلم وتتمثل هذه الاخيرة في شعر الطرد والصيد بكل خصوصياته .

والمتامل في هذا الشعر يراه شعراً حياً خالداً يمزج بين الصورة الحقيقية المعيشة والفن الاصيل المنبثق عن نفس متأثرة منفعلة بالحدث ، ذلك ان المرقبة ذات اهمية كبيرة في حياة الصعلوك ، بحيث لا نغلو اذا قلنا انها من أهم مقومات استمرار حياته الشاقة المعقدة ، مثلما هي مهمة لعيون القبيلة وحماتها الساهرين على امنها وحرماتها وفرسانها في مباغتة اعدائهم ، فان ولينا وجوهنا صوب الصيد وجدنا ان لا مناص للصياد – في كثير من الاحيان ان لم يكن دائماً – من ان يلوذ بها مختبئاً متربصاً بفريسته لينقض عليها حيث يرى ذلك مناسباً مستفيداً من عنصر المباغتة التي توفرها له ، ولا فرق في ذلك سواء أكان الصياد انساناً أم حيواناً .

ولقد اجاد الشاعر الجاهلي في وصف مرقبته مجسماً حالها وباسطاً اوصافها مظهراً منعتها وشموخها وبسالته وقوته في آن معاً .

وعليه فهو يسير في شعر المراقب على ديدنه في شعره الخالد الاصيل الذي لم يزل حتى يومنا هذا معيناً ثرا يمتح منه القارىء المتأمل الجديد تلو الجديد وذلك هو أحد اسرار خلود هذا التراث الشعري الاصيل .

الهوامش

(١) ينظر تاج العروس « رقب » .
(٢) م . ن « ربا » .
(٣) سورة الحج الاية ٥ .
(٤) مختارات ابن الشجري ٤١٦ . أبان : جبل . الممنع : العالي الذي يمتنع

من ان يبلغه احد .

(٥) ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٩ / ٦٣٥ .

(٦) تاج العروس « رقب » .

(٧) دراسة الادب العربي ٤ . ٣ .

(٨) ينظر فحولة الشعراء ، للاصمعي . ٣ .

(٩) ينظر م . ن ٣٧ .

(١٠) ينظر الشعراء الصعاليك ٨١ - ٨٢ .

(١١) الاغاني ١٨ / ٢١١ « بولاق » .

(١٢) ينظر كتاب المسالك والممالك ١٩ .

(١٣) ينظر شعر الهذليين في العصر الجاهلي والاموي . ٢ . .

(١٤) ينظر م . ن ٨٨ - ٩١ .

(١٥) ينظر شرح اشعار الهذليين ١ / ١٦١ .

(١٦) ينظر تاريخ ابن خلدون ٢ / ٧١ .

(١٧) ينظر شرح اشعار الهذليين ١ / ٢٣٣ ، ٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ .

(١٨) ينظر الشعراء الصعاليك ٨٤ .

(١٩) مجمع الامثال ، الميداني ٢ / . ١٢ .

(٢٠) ينظر الاغاني ٢١ / ١٧٥ « بولاق » .

(٢١) ينظر الشعراء الصعاليك ١٨٨ .

(٢٢) ديوان الشنفرى ، الطرائف الادبية ٣٧ . العيطاء : العالية المرتفعة او الابية الممتنعة ، اخو الضروة : الصياد معه كلاب ضراها للصيد . المشفف : النحيل . الاسدف : المظلم . محدباً : من احدب اذا انحنى . اسحقت : بليت . الملحفة : ما يلبس فوق الثياب من دثار البرد ونحوه . البرس : الثوب الخلق . انجمت : ظهرت وطلعت . كف الثوب : خاط حاشيته .

(٢٣) ديوان تابط شراً واخباره ١٨١ . من جثوم : اي من نصف الليل . الهدمل : الثوب الخلق ، الخيعل : قميص بلا اكمام .

(٢٤) م . ن : ١٤ ، الشرثة : النعل الخلق المتهرىء . السريح : القدُّ اي الشريط من الجلد المجدول تشد به النعال . والاطراق بعد ان يجعل تحت النعل مثلها اذا بليت .

(٢٥) ديول الهذليين ٢ / ١٣١ . الرهم : المطر الضعيف الساكن . بلدت : اي لزقت بالارض فترى الجبل كانه اكمة في جوف الليل يصغر في عينك . الاعلام : الجبال ، الطود : الجبل . العصم : الاروى . يحسر الطرف : يكل الطرف .

(٢٦) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٩ اوف : اشرف . المقاضيب : القت وهي الرطبة من علف الدواب . الريد : حرف ناتيء من الجبل . كفلق الفاس : كحد الفاس . طريقها سرب بالناس : يتسرب بعضهم اثر بعض . دعبوب : موطؤ . عرشها : ما يوضع فوق الدعامة تمام او شيء يستظل تحته . جذلان : عودان واحد قائم والاخر ساقط .

(٢٧) م . ن ٢ / ١٦٠ ، افتلى الهدف اي فلاه من اهله ، اي عزله وفصله ، الهدف : الثقيل الوخم من الرجال . القن : الذي ابوه عبد وأمه أمة . الممازيب . الابل والشاة التي تعزب عن اهلها في المرعى . يريد ليس براع تبعده ابله وشاؤه عن اهله . المناجيب : الضعفاء الذين لا خير فيهم .

(٢٨) الشعراء الصعاليك : ١٩٠ .

(٢٩) ديوان الهذليين ٢ / ١٦١ ، الزلم بفتح الزاي وضمها : القدح لا ريش عليه . الضرس : تاثير العض . عريان اشاجعه : يعني ليس بكثير اللحم . النواشر : عصب ظهر الكف : الظنابيب : عظام الساق او حرفها .

(٣٠) ديوانه ٧٨ . المنيح هنا هو القدح الذي لا نصيب له .

(٣١) شرح اشعار الهذليين ١ / ٢٣٧ ، يجار الطرف فيها من بعضـ ، القذال . الرأس يريد رأس المرقبة . الريد : الحرف ينذر من الجبل يقول اقمت منكبا ولم انم مشرئباً كالخيال : منبطحاً انبطاح الخيال فلا يراه احد . القبال : اي توسطها كما يتوسط قبال النعل الاصبعين . ينظر ديوان تابط شراً واخباره ٢٥٢ حيث وردت بعض ابيات هذه القصيدة باختلاف في الرواية ، قال تابط شراً :

ومرقبة نميت الى ذُراها ... تُزلُّ الطير مشرفة القذال

علوت بريذها طفلاً كأني ... حوال اللُّطف ، مكُسزز الشمار

بفتيان ذوي كرم وصدق ... وهم أهلُ المعصب والنمار

(٣٢) ديوان تابط شراً واخباره ١٣٨ - ١٣٩ . القلة : اعلى الجبل . ضحيانة : بارزة للشمس . محراق : اي يحرق من فيها . القلة : الجبل المنفرد المستطيل في السماء ، الريد : حرف الجبل المشرف على الهواء . والنعامة خشبات يشد بعضها الى بعض وتستظل بها الطلائع في القلال اذا اشتد الحر . الهزيم : المتكسر المتقطع .

(٣٣) ديوان الهذليين ٣ / ٢٣٨ - ٢٣٩ ، يقول لو كان الموت يقتني شيئاً لاقتني صخراً اي اتخذه مالاً لا يفارقه . التالد : القديم عند القوم . ربا : يربا فيها لاصحابه ينظر لهم . السلهبة : الفرس الجسيمة الطويلة . قطاع اقران : القرن هو الحبل والمعنى انه يقطع صلته بغير اصحابه .

(٣٤) ديوان تابط شراً واخباره ٨٢ . اقعيت من الاقعاء وهو تساند الرجل الى ظهره .

(٣٥) ينظر ديوان عروة ١٠١ .

(٣٦) الشعراء الصعاليك ١٩١ .

(٣٧) ديوان عروة ١٠٨ - ١١٢ ، الهجمة : الجماعة من الابل ، أولها أربعون الى مازادت او بين السبعين الى المائة ، او الى دونيها ، الجذل هنا جذع الشجرة .

(٣٨) الاصمعيات ٩١ .

(٣٩) ديوانه ٧٤ ، مرقبة كالزج : طويلة صعبة الارتقاء . الجون : الفرس الادهم ويكون الابيض ، وهو من الاضداد ، أعدي : اصرف وامنع . الحضيض : المستوي من الارض ، اسفل الجبل .

(٤٠) ينظر ديوانه ، ١١٢ ، ٢٢٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٣٤٦ .

(٤١) فحولة الشعراء ١٦ .

(٤٢) الشعراء الصعاليك ٢٨١ .

(٤٣) ينظر ديوان لبيد ٢٣١ ، وينظر الجمهره ٣٢٢ - ٣٢٣ ، وديوان الهذليين ١ / ١٩٦ .

(٤٤) شرح ديوان زهير ٢٦٢ ، عرفاء : طويلة العنق مشرفة . اوفيت : اشرفت .

(٤٥) ديوانه ١٢٥ ، لاستانس : أي ابصر ، الاشباح : الاشخاص ، اتنور : انظر ضوء نار ، غشاش : عجلة . ذرى النخل : اعاليه ، احمر النهار : اذا اصفرت الشمس عند مغيبها ، ومما يلاحظ تشابه الالفاظ والمعنى بين ابيات زهير وكعب وذلك راجع الى رواية الشعر واختلاطه بين الاب والابن ، قال زهير :

على عجل مني غشاشا وقد دنا ... ذرى الليل وأحمرّ النهار وأدبرا

(٤٦) م . ن ١٢٥ .

(٤٧) ديوان الاسود بن يعفر ٢٢ . وينظر سرح اشعار الهذليين ٢ / ٦٥٦ شعر ربيعة بن الكودن .

(٤٨) ينظر ديوانه ٢٧٥ ، ٣٤٦ .

(٤٩) ديوان الهذليين ٢ / ٢٨ نميت : علوت ، وارتفعت الى اعاليها . القواطي : اللواتي يقارين الخطوة ، يقال قطا يقطو اذا قارب المشي .

(٥٠) البناء الفني في شعر الهذليين ٢٠٠ .

(٥١) ديوان الهذليين ٢ / ٩٦ - ٩٧ . ربات : كنت ربيئة لهم . حم الظهيرة : معظمها المجدل القصر ، حصباء : ليس فيها نبات . المتمل : املجأ . عيطاء : طويلة العنق ، الممنقة : الطويلة ، لايؤنسك فيها الا الحمام الخضر .

(٥٢) م . ن ١ / ٤٩ - ٥٠ ، شماء : مشرفة . ضاحية للشمس : ظاهرة . قرواح : ليس فيها مستظل . معتجر بعمامته . الربد : ما بدر من هذه المرقبة ، ملتاح : متغير لونه قد غيرته السموم .

(٥٣) ديوانه ٣١٥ - ٣١٦ . الشكة : السلاح . فرط : فرس سريع . وشاحي لجامها : اي يضع لجامها على عاتقه ليكون في متناول يده . الهبوة : الغبار . الفت : اي الشمس . جمل لهايدا . كافر : ليل ساترعورات الثغور : مواضع المخافة منها . اسهلتُ : نزلت من مرقبتي . يحصر : يكل . جرامها : قطاعها .

(٥٤) م . ن ١٨٦ - ١٩٠ . عدان : موضع على سيف البحر . النقل : المناقلة في المنطق . مربوع : رمح ليس بالطويل ولابالقصير . المتل : الشديد . فتدليت : اراد انه نزل من مربائه ولا يكون التدلي الا من علو . الغيابة : ظل الشمس . الطفل : حين تدنو الشمس للغروب . تابيت : انصرفت متئداً . التليل : العنق لم اقل : لم اقض القائلة وهو نصف النهار . يفرع اطراف الجبل : يتجاوزها طولا . تبتلي : تختبر . الخلل : جفون السيوف .

(٥٥) شرح ديوان كعب : ١٨٦ - ١٨٧ ، حيا : لاحياء النار ، بادرت قدمها : اي ايقادها . فلوح : اي جعل في النار ما اراد من خبز ولحم . الاحزة : جمع حزيز وهي اماكن غلاظ ، اجن الليل : سترتني ظلمة الليل . النقب : الطريق في الجبل . الواغر : الحاقد .

(٥٦) ينظر ديوان الهذليين ١ / ٨٢ - ٨٤ .

(٥٧) م . ن ١ / ١٣٦ . تخور الركاب : اعناق الابل ، الارام : الاعلام التي يستدل بها على الطريق ، الصروح : القصور . التمام : خشبات للربيئة يتخذها الذين يستظلون بها تنصب ويجمع عليها التمام . النفائض : الذين ينفضون الارض ينظرون ما فيها من جيش او عدو . السريح : القد الذي تخرز به النعال ، تبقيه من طول ترقبها الجبال .

(٥٨) شعر خفاف بن ندبة ٣٩ ، وهي الاصمعية ٢ / ٢٤ - ٢٥ النعامة : كل بناء على الجبل ، الضاحي : البارز للشمس ، مزلق : املس الطرة : الناصية .

(٥٩) ديوان الخنساء ١٩ .

(٦٠) ينظر م . ن ١٦٥ .

(٦١) ديوان الهذليين ١ / ١٣٨ . الكاهلية : نسبة الى بني كاهل ، دياعور : اي فاسده .

(٦٢) ينظر ديوانه ٢٣٧ .

(٦٣) ديوان الهذليين ٣ / ١٢ . غيلة : شجر ملتف ، الشجر : الغيل . من فوقنا : اي من فوق الجبل ، رجال عصائب : اي جماعات .

(٦٤) ديوان الهذليين ٢ / ٣٧ . ذو النصلين : الزج والنصل وهذا معناه لا يبعد فلان وسلاحه . العزاء : الشدة . الاوب : رجوع النحل . السيل : القطر حين يسيل .

(٦٥) ينظر م . ن ٣ / ٣ .

(٦٦) ينظر ديوانها ٤١٣ .

(٦٧) ينظر شعر الطرد عند العرب . ١٤ وما بعدها .

(٦٨) ينظر ديوان اوس بن حجر ٧٠ - ٧١ .

(٦٩) ينظر شعراء الطرد عند العرب ١٥٣ .

(٧٠) ديوان امرىء القيس ١٦٠ . القانصان : الصائدان ، المرباة : مكان يربا فيه وهو مرتفع ليشرف منه على الوحش ، مقتفر : تتبع اثار الوحش .

(٧١) ديوان بشر بن ابي حازم : ٨٤ ، مكلب : الصياد صاحب الكلاب ، الازل : السريع الخفيف . السرحان : الذئب ، القصيمة : ما سهل من الارض وكثر شجره .

(٧٢) ينظر ديوان الاعشى ١٢١ .

(٧٣) ينظر الطرد في الشعر العربي ٨٧ .

(٧٤) شرح ديوان زهير ٣٧٦ ، الشريعة : شريعة الماء ، رابىء : قانص ، الحظيرة : موضع الماء . شيزب : يابس من الضر وشدة الحال . وينظر شرح ديوان كعب ١٤٦ .

(٧٥) ينظر منتهى الطلب ١٣٥ .

(٧٦) ديوان عدي بن زيد ١٩٨ .

(٧٧) ديوانه ١٧٢ . مخملاً : يخمل نفسه ويخفيها . الغضى : شجر . يمشي الضراء : اي باختيال وتبختر . الخشف : ولد الظبية . يسفن : اي يمسح الارض ببصنه يعني يزحف زحفا . اصوار : القطيع من البقر . العانة : من الحمر الجماعة ، وكذلك الخيط : من النعام . وننظر الصورة ذاتها في ديوان عمرو بن معد يكرب ١٤٠ .

(٧٨) ينظر ديوان الافوه الاودي في الطرائف الادبية ١٦ . وديوان لبيد ٢٧٢ ، وديوان عدي بن زيد ١٥٤ . وشرح اشعار الهذليين ١ / ٢٤٦ ، وينظر هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي ٤٤ - ٤٥ .

(٧٩) شعر النمر بن تولب ١٠٤ - ١٠٥ . وينظر ديوان امرىء القيس ١٢٣ - ١٢٤ . وينظر الطرد في الشعر العربي ٦٣ .

(٨٠) ديوان الهذليين ١ / ١٩٦ . (ساعدة بن جؤية) . دمست : التبست الظلمة اسداف : ظلمات . الغسم : اختلاط الظلمة . ينوش : يتناول ، آد : مال . الترقب : التخوف والنظر . النيم والكتم : شجرات .

(٨١) وهذا ما نجده في صورة رسمها اوس بن حجر لحمار وحش ، وجل عطش لطول المراقبة والرصد :

فاضحى بقارات الستار كأنه ... ربيئةُ جيش فهو ظمآن خائف

يقول له الراءون هذاك راكب ... يؤبِّنُ شخصاً فوق علياء واقفُ

ديوانه ٦٨ ، القارات : جبل مستدق ملموم في السماء ، الستار : علم على جبال كثيرة . التابين : اتباع الاثر في الارض .

(٨٢) ديوان الهذليين ٢ / ١١٧ - ١١٨ . اقب : حمار ضامر البطن . جدائد ، التي لالبن لها . حول : جمع حائل ، البقاع : ما ارتفع من الارض ، الوبيل : العصا الغليضة الشديدة ، الابالة : حزمة من الحطب ، المحمم : هو الذي ياخذ معه هم وحديث نفس . انشام : دخل ، النقع : الغبار . السحيل : خيط لم يبرم .

(٨٣) ينظر م . ن ٢ / ١٢٠ - ١٢١ .

(٨٤) ينظر سمط اللالىء ٢ / ٩٦٥ ، وينظر ديوان عبيد بن الابرص ١٨ .

(٨٥) ينظر شعر الطرد عند العرب ٣٠٢ .

(٨٦) ينظر ديوان امرىء القيس ٥٣ .

(٨٧) ينظر الحيوان ٥ / ٣٢٥ ، ٦ / ٤٣٩ .

(٨٨) ينظر م . ن ٥ / ٥٥٠ ، ٦ / ٤٠٧ .

(٨٩) ديوانه ٣٤٦ .

(٩٠) ديوان الاعشى ٢٦١ ، محبوك السراة : فرس محكم بخلق شديد وثيق ، وينظر ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني ٣٧ .

(٩١) ديوانه ٢٢٦ - ٢٢٧ . احتفلت : اجتهدت في العدو . الصقعاء : العقاب السرحة : الشجرة الضخمة ، الشناخيب : رؤوس في اعالي الجبال . صبت : بعث عليه عذاب ، من امم : من قرب .

(٩٢) ديوانه ٢٨ - ٢٢٩ . العقب : جرى بعد جرى . الشؤبوب : دفعة من مطر منجحرا : اراد داخلا في حجر الدخل . هناك رواية اخرى لعجز البيت وهي « ويرقبُ العيش ان العيش محبوبُ » .

(٩٣) ديوانه ١٥ ، لقوة : عقاب ، ارم . جبل ، رقوب : لا يعيش لها ولد . وينظر ديوان امرىء القيس ٣٨ .

(٩٤) ديوان الهذليين ٢ / ٥٥ - ٥٧ . فتخاء الجناحين : اي لينة مفصل الجناح القسب : التمر ، خاتت : انقضت عليه عند ظبية ادماء . سمرات : شجرات وهي ام غيلان . الريد : الشمراخ من الجبل ، أعنت : اهلك .

(٩٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٣٣ - ١٣٤ ، خائتة : منقضة . طلوبا : تطلب الصيد جريمة ناهض : كاسية فرخ ، وهو الناهض . النيق : شماريخ من الجبل . الصليب . الودك ، البلقعة : المستوى من الارض ، البزاز : الفضاء البارز الجيوب :

الارض .
(96) ديوان النابغة 6 .
(97) ديوان الهذليين 2 / 121 - 123 . [illegible] . لا يريس [illegible]
يريد به صقرا ، المحزئل : المرتفع ، [illegible] في الشر [illegible]
شقوق في الارض بعيدة طوال . غول : اي ذات بعد . يزول : يتحرك . تواءل : اي تتوارى تلتجو منه . الضراء : ماواراك من الشجر . السفاة : الشوكة . اختل قلبه : اي تنتظمه .

المصادر المراجع

- القرآن الكريم .
- الاصمعيات ، الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب « 216 هـ » تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ، مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ، 976 .
- الاغاني ، الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (356 هـ) ، طبعة بولاق مصر ، 1285 هـ .
- البناء الفني في شعر الهذليين ، اياد عبد المجيد ابراهيم ، رسالة دكتوراه مطبوعة على الالة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، 1990 .
- تاج العروس ، الزبيدي ، ابو الفيض محمد مرتضى ، (1205 هـ) ، المطبعة الخيرية 1306 هـ .
- تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربي (808 هـ) دار الكتاب اللبناني ، 1956 .
- جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام ، ابو زيد الانصاري « القرن الخامس الهجري » ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، 1967 .
- الحيوان ، الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (255 هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر 1966 .
- دراسة الادب العربي ، د . مصطفى ناصف ، دار الاندلس ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1981 .
- ديوان الاسود بن يعفر النهشلي ، تحقيق د . نوري حمودي القيسي ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، 1970 .
- ديوان الاعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، شرح وتعليق د . محمد محمد حسين ، المطبعة النموذجية ، مصر ، 1950 .
- ديوان الافوه الاودي (ضمن الطرائف الادبية) تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1937 .
- ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، 1964 .
- ديوان اوس بن حجر ، تحقيق محمد يوسف النجم ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت 1960 .
- ديوان بشر بن ابي خازم ، تحقيق عزة حسن ، وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ، الطبعة الثانية 1972 .
- ديوان تأبط شراً واخباره ، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الاسلامي ، 1984 .
- ديوان الخنساء ، تحقيق د . انور ابو سويلم ، دار عمار ، الاردن 1988 .
- ديوان عبيد بن الابرص ، تحقيق وشرح د . حسين نصار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر 1957 .
- ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، دار الجمهورية ، بغداد ، 1965 .
- ديوان عروة بن الورد ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، 1961 .
- ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، صنعه هاشم الطعان ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، 1970 .
- ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني ، تحقيق خليل ابراهيم العطية ، مطبعة اسعد ، بغداد ، 1961 .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية 1985 .
- ديوان الهذليين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة 1965 .
- سمط اللآلىء ، البكري ، ابو عبد الله بن عبد العزيز (487 هـ) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1936 .
- شرح اشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، مراجعة محمود محمد شاكر ، لجنة دار العروبة ، القاهرة ، 1965 .
- شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، صنعه السكري ، ابو سعيد الحسن بن الحسين ز (275 هـ) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب القومية للطباعة ، القاهرة 1950 .
- شرح ديوان كعب بن زهير ، نسخة مصورة عن دار الكتب ، القاهرة 1965 .
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق احسان عباس ، وزارة الارشاد الكويت ، 1962 .
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، د . يوسف خليف ، دار المعارف بمصر (د ت) .
- شعر خفاق بن ندبة السلمي ، جمع وتحقيق د . نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف بغداد ، 1967 .
- شعر الشنفرى الازدي (ضمن الطرائف الادبية) تحقيق عبد العزيز الميمني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1937 .
- شعر الطرد عند العرب ، عبد القادر حسن امين ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف 1972 .
- شعر النمر بن تولب ، صنعه د . نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد 1969
- شعر الهذليين في العصر الجاهلي والاموي ، د . احمد كمال زكي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة 1969 .
- الطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، د . عباس مصطفى الصالحي مطبعة دار السلام ، بغداد 1984 .
- فحولة الشعراء ، الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب (216 هـ) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، 1953 .
- مجمع الامثال ، الميداني ، ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد النيسابوري ، (518 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار القلم ، بيروت (د . ت) .
- المحبر ، ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (245 هـ) تحقيق ايلزة ليختن شتيتر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد - الدكن - الهند 1942 .
- مختارات شعراء العرب ، ابن الشجري ، هبة الله بن علي العلوي (542 هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة 1975 .
- المسالك والممالك ، ابن حوقل ، ابو القاسم محمد البغدادي الموصلي ، (367 هـ) ليدين ، بريل ، 1872 .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، د . جواد علي ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة 1980 .
- منتهى الطلب من اشعار العرب ، محمد بن مبارك البغدادي ([illegible]) مصور عن مخطوطة (الاله لي) استانبول 1941 .
- هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي ، عبد الرزاق خليفة محمود ، رسالة دكتوراه مطبوعة على الالة الكاتبة ، جامعة بغداد كلية الاداب ، 1997 .

ظاهرة الاغتراب في شعر طرفة بن العبد

دراسة في دلالات اللغة وإيحاءاتها

د . عبد الفتاح نافع

جامعة اليرموك - الاردن

* تمهيد :

قليل هم الشعراء القدماء الذين رسموا لهم خطاً فكرياً مستقلا التزموا به فميزهم عن غيرهم . فالنهج التقليدي الصارم الذي فرض نفسه حال بين الشعراء وبين حرية التعبير عن فكرهم ومشاعرهم ، فأوقع الشعراء في فوضى الفكر وفوضى التعبير معا . فقد انسحبت حمى التقليد حتى على كبار الشعراء ، فتركت خللا في شخصياتهم ، وحادت بهم عن الطريق الذي كان ينبغي أن تلتزم به الشخصية الشاعرة في نقل ما تحسه وما تشعر به . وأحدثت اضطرابا فكريا في صور كثير منهم ، صانعة هوة كبيرة بين شخصية الشاعر وبين فكره وأحاسيسه .

كما ان التزام الشاعر الراسخ بالخط القبلي ، لا يخرج عنه ، كان يفرض هو الآخر على الشاعر رسوماً خاصة يُقبل عليها بإرادته وبغير ارادته فتأتي هذه الرسوم فيها تعبير عن شخصه أحياناً وفيها خروج عن نزعاته وأهوائه في أحيان أخرى . وكانت القبيلة بأعرافها وتقاليدها وحروبها وأيامها . هي الصورة الماثلة دائماً أمام الشاعر تشغل عليه فكره ومشاعره وتفرض عليه نهجاً فكرياً جماعياً تذوب فيه شخصيته وتضمحل فرديته فلا تعود نزعاته وطموحاته وآماله تشكل شيئاً ذا بال .

ثم فرضت الطبيعة بقسوتها وبما تمثله من حرمان خطاً قهرياً ثالثاً للشاعر لم يجد بداً من السير فيه .

وبين فرضيات القبيلة الصارمة وقوانين الطبيعة العاتية ، وجد الشاعر نفسه يعيش جوا من القلق والخوف والترقب والاغتراب . وقد تأصل هذا الشعور في نفسه وبدا واضحا في تعابيره وفنه .

واذا كانت الطبيعة قيداً لا يمكن الفكاك منه . فقد وجد بعض الشعراء في أنفسهم جرأة على التململ ثم التمرد على القيد القبلي . فانطلقوا يعبرون عن ضيقهم بالتزامات القبيلة ونهجها الصارم غير مبالين بما يجره هذا عليهم من عنت ومشقة وعزلة .

وكان طرفة بن العبد أحد الشعراء الذين شقوا عصا الطاعة على القبيلة فلم يكتف بالتململ والتذمر ، بل كان جريئاً في عرض فكره واضحاً في طرح ارائه فجاء شعره صورة صادقة لشخصيته المتمردة الثائرة .

ولم يكن الخروج على نظام القبيلة سهلاً هيناً ، فالمنطق القبلي الجماعي كان يفرض نفسه على كل مجريات الحياة . وخروج الفرد عليه يعني عزلته ونبذه وفرض الحجر عليه . وأحس طرفه هذا جميعه فعبر عن غربته وسط أهله وقومه ، وخدمته اللغة خدمة جلى ، فانسابت تعابير تصور حزنه وألمه وضياعه . فكان صورة ماثلة للاحساس بغربة الفكر الفردي وسط الفكر الجماعي المتسلط .

وقدمنا في دراستنا لظاهرة الاغتراب في شعر طرفة نبذة عن اغتراب الجاهليين عامة ، ورأينا في اغترابهم صورة من قهر الطبيعة وتسلط القبيلة ، وان انقياد الفرد الأعمى للقبيلة كان يخلق في نفسه حالة من عدم الاستقرار وعدم التوازن ، ويرسم على وجهه علامات الكآبة والحزن ويؤصل لديه حالة من اليأس وعدم الثقة .

ثم درسنا إرهاصات الاغتراب في شعر طرفة فوجدنا بعضها ذاتياً نابعاً من معاملة الأهل والاقربين وبعضها عاماً يرتبط بنهج القبيلة وتقاليدها . ومن ثم كان لابد أن نتحدث عن فخره أولاً ، فهو في نظرنا يمثل لديه بداية الصراع بين المنطق الفردي والمنطق الجماعي . ويؤكد ارتداد الفرد الى ذاته يستوحي منها ويستقى مثلها ومبادئها . وقد رأينا في فخره أيضاً لوناً من الاغتراب يمثل حيرة الفتى وتذبذبه بين مفاهيمه الخاصة ومفاهيم القبيلة العامة .

واذا كان التقليد قد فرض عليه أن يبدأ بالحديث عن الديار والمرأة ، فقد وجدنا في لغة هذا الحديث شيئاً من اغتراب النفس وسعيها الدائب نحو رمز أو أمل تتعلق به فتبثه شجونها وآلامها . ومن ثم بدت صورة الديار لديه موحشة ترمز الى الفناء . وجاءت صورة المرأة مقترنة بها أشد الاقتران لتبعث شيئاً من البصيص والآمل . وعلى الرغم مما في حديث النقاد عن نزق طرفة وشهواته واندفاعه نحو الحس ، فصورة المرأة - كما تبدو من لغته - هي صورة باهتة تشعر بالحزن والحاجة الى الحنان والعطف أكثر مما تشعر بالشهوة ودوافع الحس .

ومثلت الرحلة في قصيدته رحلة الحياة باعبائها ومشقاتها وصراع الانسان من أجل أن يكون . وجاءت ناقته طوداً شامخاً يمثل التحدي والقوة والأمان . وخدمته اللغة في هذا خدمة كبرى ، فجاءت في تعابيرها وإيحاءاتها لتمثل هذا الخوف الكامن في النفس وهذه الحاجة الى شيء ، أي شيء ، يجد فيه الانسان ملاذاً يلجأ اليه فيحميه ويقيه .

ثم درسنا في نهاية المطاف فكره وفلسفته ورؤيته للحياة والمصير ، ورأينا في هذا جميعاً رؤية جديدة للحياة تختلف عن رؤية غيره من الشعراء ، وأن ايمانه بآرائه وجرأته في التعبير عنها كان سبباً رئيساً في عزلته وغربته .

وإذا كنا قد وجدنا في طرفة جديداً ، فهو هذه القدرة الكبيرة على تطويع اللغة وتسخيرها لخدمة فنه . فقد جاءت لغته بما فيها من إيحاءات واضحة الدلالة على مشاعره الباطنة وأحساساته الحادة نحو الحياة والأحياء ، فرسمت بصدق وإخلاص مساره الفكري ونهجه الشاعري .

*** اغتراب الجاهليين صورة من قهر الطبيعة وتسلط القبيلة :**

كان للطبيعة الصحراوية وأسلوب الحياة الرعوي والنظام القبلي القائم على احترام العصبية أثرها الكبير على الشاعر الجاهلي . فحياة الصحراء بما تحمله من طابع التحرك خلقت في نفسه صورة من عدم الاستقرار ، وأصلت فيه حالة من القلق والضياع ورغبة شديدة دائمة في إيجاد موطن جديد يلقي فيه عصا الترحال ولو إلى حين . وقد تركت هذه الحياة بما فيها من شقاء وألم وتشرد أثرها في تكوين الانسان الجاهلي العضوي والنفسي والمعاشي [1] .

وشكل الرحيل عنصرا أساسياً في حياة العربي المعاشة ، وأضحى الاغتراب في بيئته معادلا موضوعياً للعقم والجدب والعدم . وارتبطت نفوس القوم ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة وتقلباتها . فهم يراقبونها في هدوئها وفي اضطرابها ، يستبشرون بالبرق ويهلعون عند انقفال السماء . ففي المطر حياة واستقرار وفي انقطاعه حرارة وسموم ورمال ثم رحيل وشقاء . وشكل هذا الارتباط بالطبيعة وهذا الترقب الدائم لما تجود به عاملاً أساسياً في هذا القلق والهيام الذي نحس به حيثما نقرأ في الشعر العربي القديم . وانعكس انعكاساً واضحاً في أدبهم وأحاديثهم . وترك معالمه في قسمات وجوههم « فجعل العربي كئيباً صارماً يغلب عليه الوجد ،

موسيقاه ذات نغمة واحدة متكررة عابسة حزينة ولغة غنية بالالفاظ، إذا كانت تلك الألفاظ من ضروريات الحياة في المعيشة البدوية وشعره ذا حدود معينة مرسومة »[٢].

وكم يبدو جزء الشعراء شديداً من الرحيل . فالرحيل معناه الخوض في غياهب المجهول والاستسلام لمعطيات القدر بخيره وشره - ولعل في هذه الاخيرة كما يبدو من اشعارهم شيئاً من المكروه يتربص بهم ويترقبهم .

ونلمح هذا الجزء واضحاً أشد الوضوح في زفرات ناقة المثقب العبدي وحزنها وشكاتها من هذا الرحيل المستمر الذي لا ينتهي :

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبداً وديني
أكل الدهر حل وارتحال أيبقي علي ولا يقيني

ويشكل عنصر الخوف من المجهول ظاهرة مشتركة لدى الشعراء الجاهليين جميعاً وتتمثل على أتم ما تتمثل في حديثهم عن الصحراء المقفرة العمياء وسكونها المخيف المظلم حيث يسير فيها الشاعر على غير هدى لا يتمثل طريقة ولا يسمع إلا عزيف الجن ، وحيث تتلفع الاكام بالسراب وتركد فيها النجوم ، وينعكس هذا جميعاً في عيون الرواحل فيبدو فيها الفزع والحيرة والدهشة والخوف القاتل[٤] .

وليست رحلة الصحراء في حقيقة الأمر سوى رحلة الحياة بكل ما تحمله من مشقة وتكاليف وأرق ، في بيئة كل ما فيها يحمل عنصر الشقاء والالم ، ولا يحصل فيها الانسان على قوته إلا قوة واغتصاباً . وليس حديث الشعراء عن جو الصحراء في صيفها اللافح وشتائها القارس ، أو عن هذا الصراع الدائم بين حيوانها المفترس وحيوانها الوديع ، سوى سرد لمشاكل النفس والامها في تحصيل قوتها . وليس القلق الذي يعانيه الشاعر والذي يتململ في أعماق البقرة والاتان وحمار الوحش سوى تعبير عن السعي الدائب للوصول الى الشاطىء الذي ترغب أن تستقر فيه النفس وتجد ملاذا .

وما يكاد الشاعر يستقر في موطن جديد حتى يبدأ الحنين وتبدأ معه الذكريات ويغزو الحس بالاغتراب نفس الشاعر وأعماقه ، فقد افتقد الشاعر الافه وأحباءه وجيرته ، وأفتقد الارض التي انغرست فيها شجونه وأحاديث نفسه ، فإذا آلامه وأحزانه تفيض بكاء وغصصاً على تلك الديار والذكريات تتحدث عن حب دفين أو ماض عزيز . وإذا بكاء الديار ورحيل المحبوبة وقصة الظعائن واحدة مشتركة لدى الشعراء الجاهليين مهما اختلفت طباعهم وتنافرت أمزجتهم ، فهي لا تختلف عند امرىء القيس المتعهر عنها عند طرفة المتشائم ، ولا عند لبيد برجولته الغامرة عنها عند زهير العف أو عمرو بن كلثوم الفاتك[٥] ولا غرابة في هذا فالحنين والشوق والتشبث بالماضي كلها أمور مرتبطة بعواطف انسانية مشتركة خالدة لدى جميع الشعوب ، وما الحديث عنها سوى علامة ارتباط بين المكان والسكان ، بين الوطن وأهله ، بين البيئة والنفس .

وقد قوت هذه الحياة غير المستقرة من صلة الفرد بالقبيلة ، ومن صلة القبيلة بالفرد . وأخضعت الفرد لعرف قبلي صارم شديد لا يحق له أن يخرج عليه[٦] وأضحى شخصه القبلي لا يأخذ أبعاده الحقيقية الا في قبيلته ، فلا نصرة ولا كرامة ولا عيش خارج إطار القبيلة[٧] .

وكم كان هذا الفرد يشعر بالحزن والاسى والتيه إذا ما طردته قبيلته بسبب خروجه على أعرافها ، أو تخاذله عن عصبيتها . فلم يكن أمامه والحال هذه سوى الضياع والمرارة والغربة والتعبير عن هذه المشاعر بحنين جارف لقومه وأهله نجده متناثراً في ثنايا الشعر الجاهلي .

وهكذا عاش الفرد العربي غريباً ، فهو مقهور من الطبيعة حيناً ، ومقهور من قومه حيناً آخر . تطارده الطبيعة بخشونتها وجفافها ، وتطارده القبيلة بما تفرضه عليه من التزامات وأعراف وقيود يحس وطأتها فيقبل بها راغماً أو يطرد . ولما كان العربي مفطوراً على الحرية عاشقاً لها يملاه الشعور بكرامته الشخصية حتى ليثور على كل شكل من أشكال السلطة[٨] . فقد أحس كثير من الشعراء بالاغتراب وسط قومهم ، فساهم هذا الإحساس في تعميق شعورهم بالقلق والاضطراب ثم التمرد في نهاية المطاف .

لقد حالت التزامات القبيلة بين الشاعر وبين حريته وفرضت عليه ما يستطيع وما لا يستطيع فأدى ذلك بالشاعر إلى لون من الاغتراب الذاتي أحس معه بتصدع ذاته وانشقاقها لعدم تواؤمها مع المجتمع المحيط بها[٩] .

ونشأت بين الشاعر وبين مجتمعه حالة تشبه العداء ، حيث شعر بأنه موزع بين عالمين لا يشعر بالاطمئنان في أحدهما . وفي غمرة من الإحساس بالألم والتصدع والحزن والانكسار السياسي والاجتماعي لم يملك الشاعر إلا أن ينصرف إلى ذاته وإلى التحدي والتمرد والسخط والانطلاق والتحرر من القيم والتقاليد الاجتماعية[١٠] .

وإذا جسُّ الاغتراب وخيبة الأمل وظاهرة عدم الانتماء - الناجمة عن الاحساس بضيق الحياة وعبثيتها والاستشعار بالعجز عن تبديل الواقع - تدفع الشاعر إلى مواقف سلبية لا مبالية[١١] . وقد ظهرت هذه المواقف باتخاذ القوة والغارة والخمر واللهو واللذة والمجون وسائل هرب وطرق عبور الى حياة أفضل[١٢] .

وتتضح هذه الغربة التي نتحدث عنها في شعر كثير من الشعراء الجاهليين نقرأها لدى الصعاليك « فنحس تلك المرارة التي تفيض بها مشاعرهم وهم يهيمون على وجوههم في الفلوات ، أحراراً فيما يبدو ومشردين غرباء في الواقع . ترك الخلع في وجدانهم أثراً عميقاً نافذاً سجلته أشعارهم المشحونة بأشجان الغربة ووطأة الوحدة النفسية ، وقسوة الحرمان من السكن والأهل

والدار . بل إن سلوكهم نفسه كان يطوي وراء الاستهانة بالحياة والانطلاق في الفضاء العريض والمغامرة الفتاكة سخرية مريرة بالحرية الفردية وشعوراً عميقاً بالتمزق والضياع[١٣] .

ونقرأ الغربة في شعر امرىء القيس هائماً شريداً يبحث عن ثأر أو ملك في بلاد الرومان -حيث غربة الوطن وغربة الاهل معاً[١٤]، ونطالعها في شعر عنترة وقد تنكر له أهله فقاسى الأمرّين من لونه وعبوديته فسكب إحساسه العنيف بالهوان والضياع شعراً[١٥] . ونلمحها في شعر النابغة طريداً شريداً يملأه الخوف من النعمان وتساوره الظنون والشكوك[١٦] .

ونقرأها أكثر ما نقرأها في شعر طرفة بن العبد – موضوع بحثنا – هذا الشاب الثائر على كل شيء ، والذي يبحث عن المتعة حيث وجدت متمرداً على القيم رافضاً للأعراف واضعاً منطقه فوق منطق القبيلة مستهيناً بمصيره وما يمكن أن يؤدي إليه استهتاره من رفض أو طرد أو تشتت .

– ٢ –

* إرهاصات الاغتراب في شعر طرفة :

إذا جاز أن نعتبر الفن مبعث غرور وإعجاب بالنفس ، ووسيلة للتباهي والتطاول فطرفة شاعر مقل مبدع ، بل هو أشعر الناس واحدة ، وأجودهم طويلة ، وأفضل الناس في معلقته عند العلماء[١٧] .

وإذا كان الحسب دافعاً للتفاخر فطرفة كان كريم المحتد وفي حسب من قومه[١٨] . وقد استشعر طرفة هذا جميعاً ، استشعر نبوغه مبكراً ، فاندفع إلى فنه مهتما به مؤمنا بقيمته مهملًا ما أنيط به من عمل لرعاية إبل اخيه معبد متسببا في ضياعها[١٩] . واستشعر حسبه الضخم في قومه ، فاعتز بنفسه وانطلق يتغنى نسبه الكريم وشرف انتمائه وحميد فعاله في زهو وترفع ومباهاة وتجرأ على أهله وذويه فهجاهم وهجا غيرهم[٢٠] .

وبدا اعتداده بنفسه جلياً واضحاً منذ صباه ، فقد ثار في وجه أعمامه عندما ظلموه فاغتصبوا حقاً لأمه « وردة » واعتدوا على ما آل اليه من إرث أبيه رافضين أن يقسموا هذا الإرث ويعطوا كل ذي حق حقه :

ما تنظرون بحق وردة فيكم
صَغُر البنون ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره
حتى تظل له الدماء تصبب
والظلم فرق بين حَيّيْ وائل
بكر تساقيها المنايا تغلب
والصدق يألفه الكريم المرتجى
والكذب يألفه الدني الأخيب
أدوا الحقوق تفر لكم أعراضكم
أكل الدهر حل وارتحال
أما يبقى علي ويقيني[٣]

نقرأ هذا العتاب المر ، وهذا التهديد المبطن ، فإذا الغلام يبدو كهلًا يقدم النصيحة ويحذر من العواقب ، ويقف موقف المرشد الحكيم لا موقف المستعطف الراجي ، نفسه تتنزى ألما مما يرى فتصقله التجربة مبكراً وتخلع عليه ثوب الحكمة قبل الأوان . وتوصل لديه حس الاغتراب وهو في سن النشأة لما يبلغ الحلم بعد . لقد فقد والده فنشأ يتيما ، ترعاه والدته وكان يتوقع من أعمامه أن يحدبوا عليه فيحيطوه برعايتهم فإذا هم يغصبون حقه ويسيئون الى والدته . وينفضّ عنه الصحب والرفاق فلا يجد من يقف الى جانبه فينطلق لسانه عليهم جميعاً باللوم والعتاب فاضحاً زيف صداقتهم هاتكاً الستر عن سوء طواياهم كاشفاً مخازيهم ومفاسدهم[٢٢]

وقد حز في نفسه ما يرى من مواقف ، فأقبل على اللذات منفقاً ما يملك مسرفاً في اللهو والعبث ، وكأنه بذلك إنما يهرب من ظلم أقاربه وجورهم وزيف ادعاءاتهم المثالية الى عالم آخر مكشوف حيث لا زيف ولا خداع ولا ادعاء ! ويتمادى في مجونه واستهتاره ، فتسخط عليه عشيرته ، وتنفضُ عنه وتتحامى مخالطته وتعزله كالبعير الأجرب لا يقرب منه أحد :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي
وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلُّها
وأفردت إفراد البعير المعبد[٢٣]

ويُصرُّ الفتى على مبدأ الرفض لكل ما تشير به القبيلة عليه ، ويتحول استهتاره وعبثه الى مذهب يقتنع به أشد الاقتناع ، بل ويُدافع عنه دفاع الواثق من صحته ، ويصقل هذا المذهب شاعرية فذّة فإذا هو منهج وفلسفة لها أبعادها ولها حججها وبراهينها كما سنرى .

ويشعر الفتى أنه غريب في قومه ، وتبدأ أمواله بالتناقص والفناء ، وينظر حوله فيرى الرفاق والاصحاب قد انفضوا من حوله ، وإذا هو وحيد لا يؤمن بفكره أحد ، وإذا وُجد من هم مقتنعون بفكره فهم لا يملكون جرأة التعبير عن ميولهم وأهوائهم ويشد عصا الترحال هائماً على وجهه تقذف به النوى في أحياء العرب ومفاوز الصحراء ، ليس له من صديق سوى ناقته وما يحمل من متاع .

وكم كانت الفترة التي قضاها بعيداً عن قومه وحيه قاسية ومؤلمة ، فقد تقاذفته الاسفار فأبعدته عن مواطن طفولته ومراتع صباه وأماكن ذكرياته . وفترة الصبا وأوائل الشباب وما يعلق بها من شجون هي أكثر الفترات علوقاً في الذهن ، تظل تقدح في ذهن الإنسان وقلبه طيلة مراحل حياته المتتالية . لقد افتقد الأهل الخلص والاحبة الاوفياء ولم يعد يرى سوى وجوه متجهمة وسحن غريبة ، فتركت الغربة في نفسه وشخصيته أثراً عميقاً وجرحاً لا يندمل فهمست نفسه بشعر عاطفي حزين فيه مناجاة للديار والأحبة والأهل :

قفي ودّعينا اليوم يا بنة مالك
وعوجي علينا من صدور جمالك

تقفي لا يكن هذا تعلة وصلنا
لبين ، ولا ذا حظنا من نوالك
أخبرك أن الحي فرق بينهم
نوى ، غربة ضرارة لي كذلك
ولا غرو إلا جارتي وسؤالها
ألا هل لنا أهل ؟ سئلت كذلك
تُغَيَّرُ سيري في البلاد ورحلتي
ألا رب دار لي سوى حُر دارك
وليس امرؤ أفنى الشباب مجاوراً
سوى حيه الا كآخر هالك[24]

إنها وقفات زاخرة بالشعور الصادق تغمرها انفعالات النفس ، هي وقفة وداع توحي منذ بدايتها بنفسية حزينة ممزقة ملوعة بفراق الأحبة . ويبدو أن « ابنة مالك » ليست أكثر من رمز لكل أحبته في الديار ، راح يسكب في أسماعها كل عواطف الألم والحزن التي يشعر بها الإنسان في لحظة الفراق .

إنها غربة فيها كل الضر للحي كله وله بالذات . وكم يحمل سؤال جارته اياه آمالك أهل تأوى اليهم ؟ من مرارة وألم ، فقد فجر هذا التساؤل تباريح شوقه للأهل وأثار لواعج حنينه لدياره وربوعهم فجاءت هذه الدعوة العريرة على جارته من أعماقه أن تذوق مثلما يذوق من ألم الغربة ولذعه الفراق وأن تسأل السؤال الذي سألته . وعندما تتساءل جارته معيرة اياه تشرده وكثرة ارتحاله تتناهى الى أسماعنا هذه الآهة الحرّى وهذه الزفرة يُصعدها من الاعماق « رُبَّ دار لي سوى حر دارك » وهي عبارة تحمل ما تحمل من شحن شعورية تفيض بها نفس المغترب المحزون الذي غلبه الشوق . ولا يلبث في نهاية لوحته الحزينة أن يؤوب الى نفسه الكئيبة التي حطمتها الغربة القاتلة فيصور الإنسان المغترب عن حيه بإنسان ميت لما يلقى من الوحدة والوحشة والهوان[25] .

ويبدو أن طرفة في ابتعاده عن قومه لم يظفر بغير الاغتراب والشقاء والحسرات والحنين ، فلحظات السرور التي أحس بها أحيانا سرعان ما كانت تتلاشى ليحل مكانها بؤس وألم . هبط في غربته على عمرو بن هند ملك الحيرة وأخيه قابوس فانزلاه منزلاً حسناً ، وأمداه بما تستريح إليه النفس ، ولكنهما لم يعبئا بطموحه وتطلعاته وأمانيه ، وأحس باستعلائهما واستخفافهما بالناس وبحياتهم ، وزاد في شقائه خيبة أمله بمقتل صديقه « عمرو بن أمامة » وكان قد بنى عليه الآمال ، ثم خذلان عمرو بن هند له عندما طلب منه أن يأخذ بثاره من قاتليه . وألح عليه الحنين فعاد الى دياره وأهله وديعاً يفيض عطفاً عليهم وإخلاصاً لهم :

ولقد كنت عليكم عاتبا
فعقبتم بذنوب غير مر
كنت فيكم كالمغطي رأسه
فانجلى اليوم قناعي وخمر
سادراً أحسب غيي رشداً
فتناهيت وقد صابت بقر[26]

عاد طرفة الى قومه يجر أثواب الخيبة ، فعادت معه غربته من جديد ، فقسوة الواقع لم تتغير ، ومرارة العلاقات لم تزل على حالها . وانطلق يتغنى فنه مازجاً الفخر والغزل وحديث الديار والذكريات وفلسفته الساذجة حول المصير بحزن دفين ينقل اغتراب نفسه وتحدياتها ومحاولاتها المشبوبة لإثبات تفردها .

- ٣ -

* فخره حيرة بين وعي الذات وفرضيات القبيلة :

لم يكن إعجاب القدماء بشعر طرفة - على قلته - مبنياً على العدم ، فشخصية طرفة الفتية فرضت نفسها على الظروف والاحداث ، وظهرت شامخة في كبرياء تمزج الأهواء بالفن ، والشعور بالفكر ، فتنقل داخل النفس نقلًا صريحاً لا موارية فيه ولا رياء ، والعرب بطبعهم مفطورون على الصراحة والوضوح فوجدوا في شعر طرفة صدقاً شعورياً عارماً نابعاً من القلب والمشاعر متوهجاً بحرارة الانفعال صقلته الظروف فابعدته عن المجاملة والنفاق ودفعته الى الصراحة والجراة والجهر بما يعتقد[27] . لقد جاء فنه صورة نقية لحياته الهائجة المضطربة فنقل نأمات نفسه وخلجات خواطره فجذب الأنظار الى صدق شعوره وفطرة نفسه وبساطة تعبيره . وكم هو مؤلم أن يكون الشاعر في مثل هذه الصراحة والوضوح وأن يتعامى الاخرون عن فهمه او الاستماع اليه ! لقد ارتدت أحزان الشاعر الى نفسه وأحس أنه غريب في فكره وغريب في مشاعره ، ينظر اليه الجميع نظرة فيها كثير من الاستغراب وكثير من الاستهجان . وتجرّع الفتى آلامه وغصصه ، فإذا كان قومه قد عزلوه فهو يحس في صميم كيانه أنه منهم واليهم ، وإذا كانوا هم يرفضونه فهو متعلق بهم عاشق لانتمائه اليهم . وعبْر هذه المشاعر والأحاسيس تغنى طرفة أمجاد قومه ومآثرهم وشدا بالحان القبيلة ومَجْد سيرتها .

وهو في فخره لم ينس نفسه مطلقاً ، ولم تتوار شخصيته ، ولم تذب في بوتقة القبيلة كما يرى بعضهم[28] فهو يتغنى خلائقه وسجاياه ويسعى دوماً لتحقيق ذاته وإبرازها فشعره يدور كثيراً حول محور الذات ولا سيما في معلقته . وإذا كنا نجده يشدو بمآثر القبيلة وأيامها بضمير الجمع « نحن » ويحله محل ضمير المتكلم المفرد في فخره الفردي « هم ليس فيما وقع إلينا من شعر الجاهلية ما ينطق بأن صاحبه شاعر قبيلة بمجموع هذا المعنى غير شعر طرفة ، فهو إذا فخر رأيته يتكلم بلسان ملك قد ضمن طاعة قومه واستمسك بميثاقهم »[29] ، فإننا نجده يعزف نفحات الاعتداد بالنفس فتنبعث هذه النفحات عالية ملفتة تطبع في الذهن شخصية طرفة الفتية المتوثبة - وبين إحساس الشاعر بتفرده وتفوقه وعلو منزلته وبين إحساسه بالتبعات والالتزامات

تجاه قومه ، اضطربت نفسه ووقفت حائرة بين الإخلاص للنفس ودوافعها وبين الطاعة للموروث بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . فهو في حين يرى أنه لا ينبغي أن يعامل كغيره من الناس :

ولا تجعليني كامرىء ليس همه
كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي[30]

يشعر شعوراً يملأ كيانه أنه عضو فاعل في الجماعة لا يستطيع أن يتخلى عنها مهما فعلت معه ، ولا يتردد في الذود عن كيانها والتضحية من أجلها مهما كانت نظرتها إليه :

إذا القوم قالوا من فتى؟ خلت أنني
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد[31]

وهذا الاضطراب والتردد بين أن يكون أولا يكون أصّل في نفسه القلق والخوف والشك وحمل بعضهم أن يرى في فخره مرارة عميقة مغلفة بالسعادة فهو يعيش مع الناس في ظاهر الامر ويعيد عنهم في حقيقة الامر[32] . وقد بدت هذه المرارة التي يحسها الشاعر في فخره ، فصبغت بعضه بصبغة قاتمة حزينة يوحي كل ما فيها بالخوف والتراجع ، ولنمعن النظر في دلالات لغة هذه الأبيات التي يصور فيها كرم قومه وقت الشدة لنتلمس فيها ما ندعي :

إنا إذا ما الغيم أمسى كأنه
سماحيقُ ثَرْب وهي حمراء حرجف
وجاءت بصُرّادٍ كأن صقيعه
خلال البيوت والمنازل كرسف
وجاء قريع الشول يرقص قبلها
الى الدفء، والراعي لها متحرف
نرد العشار المنقيات شطيها
الى الحي حتى يمرع المتصيف
تبيت إماء الحي تطهى قدورنا
ويأوى الينا الاشعث المتجرف[33]

ألسنا نرى أن فخره بقومه واعتزازه بكرمهم قد ذاب واضمحل وسط هذه الصورة للطبيعة وما تتركه من أثر؟ فالشتاء بسمائه الكالحة المغبرة الحمراء ، والرياح العاصفة بترابها الذي يعمى العيون ، والبرد القارس الذي يذرى معه الجليد المتساقط فيغشى العيون والبيوت والمنازل ، وهذا الفحل من الإبل الذي يجرى مسرعاً يرتعد برداً فيسبق أنثاه على غير عادته طلباً للدفء ، ثم هذا الراعي الذي تخلف عن إبله بعيداً خوفاً من البرد ، ثم خاتمة هذه الصورة بهذا الأشعث الذي جرفت السنون ماله وغيرت من سحنته . كل هذه الصور بطابعها القاتم المتراكم غطت على كرم العشيرة وأهله ، ولا يملك الممعن في أبعادها الا ان يحس بأنه محاصر خائف يبحث عن ملجأ أو مأوى . ثم الا يمكن ان نتجاوز فندعي ان قريع الشول الذي يسعى لاهثاً الى الدفء والراحة ، والراعي الذي يقدم رجلًا ويؤخر أخرى خوفاً مما تحمله الطبيعة في ثناياها . وهذا الأشعث المغبر الذي فقد ماله واختلفت سحنته ليسوا سوى شاعرنا المغترب في بحثه الدائب عن شاطيء يستقر على اطرافه !

٤ - * غزله أمل ضائع ورمز رغبة مفقودة .

بكاء الديار ظاهرة مشتركة عند الشعراء الجاهليين ، وهي إذا كانت تحمل في طياتها دلالة تقليد وتبعية فلا أحد ينكر أنها ترتبط بحقائق نفسية[34] .

ولا يمكن فهم هذه الظاهرة إلا من واقع العرب القائم على التنقل والارتحال وما يخلفه عدم الاستقرار من حزن وألم في النفوس . فالبكاء على الطلل حزن إيجابي يرمز لتعلق الشاعر بالماضي وحرصه على بقاء ذكريات الماضي في نفسه بكل ما تحمله من أحزان وأفراح ، فالماضي على هذه الصورة لا يعود فناءً أو عدماً لان الاثر باق والشاعر ينفخ فيه من روحه . وإذا كان الزمن قد مضى فالاطلال رموز دلالة وبكاؤها انقاذ للذكريات من عالم النسيان والمغيب واستحضار لها الى دنيا التذكر والمشاهدة[35] .

وطرفة يقف على الديار كما وقف غيره ، ويربط حبه لها بحب أهله وعشيرته فلا وطن بلا حبيب ولا أهل[36] . وهو في وقفته حزين حائر يخلع حزنه وغربته وضياعه على الديار ، ويسكب كآبة نفسه على عناصر الطبيعة من رياح وسحب ومطر ، فاطلال هند رسوم دارسة لعبت بها الرياح الهوج وغطاها السحاب الاسود وانسكب فوق ربوعها المزن الهتون ، فانقلبت الأوضاع وتغير كل شيء ، وحدثت المفارقة الكبرى حيث تبدلت السعادة والبهجة الى فراغ وخلاء وعزلة :

فغيرن آيات الديار مع البلى
وليس على ريب الزمان كفيل
بما قد أرى الحي الجميع بغبطة
إذا الحي حي والحلول حلول[37]

إنه إحساس الشاعر بالفراغ والتحول والقهر ووقوفه عاجزاً أمام حركة التغيير وعجلة الزمن .

فاذا ما صور السحب التي تغطي طلل خولة لم ير فيها - مع كثرة رعدها - إلا إبلًا عوذا ضلّت عنها رباعها فهي تحنُّ إليها ، وخص العوذ لأنها أوله على أولادها ، لحدثان نتاجها :

كأنّ الخلايا فيه ضلّت رباعها
وعوذا إذا ما هزه رعده احتفل[38]

ويبدو لنا أن هذا الضلال وهذا الحنين اللذان يتحدث عنهما ليسا أكثر من صدى لمشاعره الباطنة تنساب في تعابيره بين حين وآخر .

وطرفة يقرن الطلل بذكر المرأة باستمرار ، وهو لا يجمع بينهما في موقف واحد عبثاً واعتباطاً . بل يجمع بينهما ليرمز إلى الحياة والموت ، إلى الحب المهدد دائماً برحيل المحبوبة ، كذلك الحياة المهددة بالخراب ممثلة بالوقوف على الأطلال المقفرة ، إنه انعكاس لذلك الصراع الابدى في نفس الإنسان وفي الحياة من حوله بين حب الحياة وغريزة الموت[39] .

وقد رأى بعضهم أن صور طرفة في غزله مترفة بالرفاهية وغضارة العيش ، تتألق فيها الأضواء والألوان ، وأن صورة المرأة لديه تلائم تصور الشباب المتطلع للذة ، وأنه استجاب لداعي

الحب ولكن سورة الشباب ونزقه وسكرة الفتوة واعتدادها جعلته يعتصم بعزته وكبريائه[40].

وقد لاحظنا من دراسة غزل طرفة القليل أن المرأة في شعره ليست أكثر من رمز لأمل يصعب تحقيقه . هي لديه تمثل عتبة استراحة لإنسان تعب ، تبعث في نفسه التفاؤل ولكنه تفاؤل مشوب بالحذر والخوف ، وهي سحابة خصبة حقا ولكنها متعززة نزرة ، يصله رخيم صوتها وشيء من رائحتها العطرة ولكنه لا يمسك سوى الفجيعة والضياع :

كَبَنـاتِ المَخْـرِ يَمْـأَدْن كمـا
أَنْبَـتَ الصيـفُ عسـاليـجَ الخَضِـر
فجـعـونـي يـوم زمـوا عيـرهـم
بـرخيـم الصـوت ملثـوم عطِـرْ[41]

هل يبقى في الذهن لدى قراءة البيتين سوى الفجيعة والرحيل وما يخلفه تعبيره « فجعوني يوم زموا عيرهم » من أثر مؤلم ؟ ومحبوبته مهاة « مطفل منعمة مرفهة حقاً تعيشُ في خصب وتقتري أفنان الزهر » :

ولـهـا كشحـا مـهـاة مطفـل
تقتـرى بـالـرمـل أفنـان الـزهـر[42]

ولكن ما يعلق بالذهن من كلمة « مطفل » هو الحاجة إلى الحنان والدفء والرعاية وليس الجمال والرشاقة .

ومعشوقته خولة ظبية مرفهة تنتقل وسط خميلة تتهدل فيها الأغصان ، وتتناول من ثمر الأراك ما تشاء :

خـذول تـراعـي ربـربـا : بخميلـة
تنـاول أطـراف البـريـر وتـرتـدي[43]

ولكنها ظبية « خذول » فهي فزعة ولهة منفردة خذلت صواحبها ، فهي تراقبها وتشرئب بنظرها إليها خشية أن تبتعد عنها .

هي طفل متسائل ، ظبي بريء يصعد بعنقه ليتناول ثمر الأراك يبحث عن الشمس وطبيعة دافئة أم :

وفي الحي أحـوى ينفض المرد شـادن
مظـاهـر سمطي لـؤلـؤ وزبـرجـد[44]

إنها حيرة الشاعر وتساؤلاته تلح عليه وهو يواجه الطلل والخراب[45] فينقل غربته ومعاناته .

إن هذه المرأة - الرمز أو الأمل - لا مجال إلى الوصول إليها مهما بلغت صبوة الشاعر ومهما طال رجاؤه :

فكيـف صبـوت أو تـرجـو مـهـاة
منـعـمـة تـزار ولا تـزور[46]

هي خيال أو طيف ، يؤرق الشاعر في نومه ، يقلق عليه راحته ، ومع ذلك يميل إليه ويعشقه . وكلما أحس أنه قد اقترب من الهدف ، وأن رجاءه قد يتحقق تأبّت وتمنعت وأرته النجم في وقت الظهر :

أرق الـعـيـن خيـال لـم يقـر
طـاف والـركـب بصحـراء يسـر
جـازت البيـد الـى أرحلنـا
آخـر الليـل بيـعفـور خـدر
ثـم زارتنـي وصحبـي هجـع
فـي خليط بيـن بـرد ونمـر
تخلس الطـرف بـعينـي بـرغـز
ويخـدي رشـأ آدم غـر

....

إن تنـولـه فقـد تمنـعـه
وتـريـه النجـم يجـري بـالظـهـر
ظـل فـي عسكـرة مـن حبـهـا
ونـأت شحط مـزار المـدكـر[47]

ونظرة عاجلة الى الأبيات ترينا أن الالفاظ التي قامت عليها لا تمثل أكثر من التيه والضياع والأمل المفقود . فالخيال والصحراء والبيد والليل والنوم العميق ومسارقة النظر في دهشة والمنع والمستحيل (جري النجم وقت الظهر) والحيرة والبعد نحو المجهول ، كلها جاءت ضمن تراكيب توحي بهذه الغربة التي يحسها الشاعر فيخلعها على غزله وإذا المرأة المُحَسّة في الشعر الجاهلي رمز لأمل أو مثال يعشقه الشاعر ويسعى خلفه عبثا .

ولعل ما يعزز من وجهة نظرنا قصيدة طرفة :

أتـعـرف رسـم الـدار قفـراً منـازلـه
كجفن اليمـاني زخـرف الـوشي مـاثلـه[48]

فقد نهج فيها نهجاً عذرياً خالصاً ، فهو لا يحصل من « سلمى » على أكثر من المنى . وهو عاجز تماماً عن ان يصل اليها ، فهي في مكان حصين تحيط به حواجز من الطبيعة والبشر ، ودون الوصول إليها موت وضياع :

سـمـالـك من سلمى خيـال ودونـهـا
سـواد كثيـب عـرضـه فـأمـايلـه
فـذو النبر فـالاعـلام من جـانب الحمى
وقـف كظهـر التـرس تجـري أسـاجلـه
وكـم دون سلمـى مـن عـدو وبلـدة
يَحـارُبـهـا الـهـادي الخفيـف ذلاذلـه

وإذا طرفة في حبه يلتقي بالمرقش الاكبر ، واذا « سلمى طرفة » هي « أسماء المرقش » . فإذا كانت أسماء سبباً في ضياع عقل المرقش وموته فسلمى كانت سبباً في ضياع عقل طرفة ونهايته :

وقـد ذهبـت سلمـى بـعقلـك كلـه
فهـل غيـر صيـد أحـرزتـه حبـائلـه
كمـا أحـرزت أسمـاء قلـب مـرقش
بحـب كلمـع البـرق لاحت مخـايلـه

فإذا علمنا أن قصة المرقش مع حبيبته الضائعة الممنوعة تمثل الجحود ، وانقطاع الحنين عن موضوعه ، والخيانة من قبل الآخرين ، والعقبات المادية اللامتناهية التي تقوم في وجه تحقيق الهدف ، وأن شخصيته غريبة الى حد كبير ، حيث قصر شعره على معاناته الذاتية ، وترفع عن سياسة الصراعات القبلية وشغل بمسالة الوجود في الحب والوجود في الحرمان[49] عرفنا الى أي حد يلتقي مع طرفة في نهجه . واذا أضفنا أن المرقش كان يتخير

موضوعاً خارجياً هو الصحراء وما فيها من وحشة ومخاوف ليفصح عن داخله ويضمنه خوالج نفسه ، فجاء وصفه الخارجي منطوياً على دلالة داخلية ، وكأنه يعبر عن تفرده ووحشته ومعاندته قدر الطبيعة[٥٠] وجدنا وجه الشبه بينه وبين طرفة كبيراً . ولعل هذا يتضح لنا أكثر في حديثنا التالي حول رحلة الصحراء في شعر طرفة .

● رحلته رحلة حياة ، وناقته رمز تحد وملجأ آمن :

رحلة الصحراء في الشعر الجاهلي هي رحلة تحد للحياة بمشقاتها وأعبائها . إنها رحلة محفوفة بالمخاطر مملوءة بالمفاجآت . ومن ثم فإن عناصر الخوف والقلق والترقب تطغى على هذه الرحلة . ولا يجد الشاعر الجاهلي في مواجهة هذه الاخطار الطبيعية والنفسية سوى اللجوء الى القوة والشدة يصور بهما راحلته ، مسقطاً ما في نفسه عليها . وكأنه يتحدى الطبيعة والقدر المفروض وظروف القهر . ومن ثم فذكر الرحلة والناقة في الشعر القديم ، ليس في نظرنا مقدمة للوصول الى الهدف الاساسي من القصيدة ، وليس مجرد عرض لتعب الشاعر وما واجهه من مشقة وصعاب ليصل الى ممدوحه . بل هو عرض لمشكلة الحياة والمصير وسلطة الاقوى في زمن لا يرحم الضعفاء ! .

والغريب أن هموم الحياة ومشاكلها الملحة هي التي كانت تدفع الشاعر الى الرحيل . هل كان بذلك يستبدل هماً بهم آخر ؟ ربما ! ولكن الهَمَّ المنتظر ربما يكون أثره أقل مما هو عليه الواقع السيء ، فهو على الاقل مشوب بالأمل والرجاء .

وطرفة تملأ الهموم نفسه ، فلا يجد ملاذاً إلا الصحراء ، ينسى فيها همومه ، ويخفف مما في نفسه :

وانـي لأمضـي الـهـم عنـد احتضـاره
بـعـوجـاء مـرقـال تـروح وتغتـدي[٥١]

ويطوف بنا في دروب الصحراء ومسالكها الوعرة ، ممعناً في الجفوة والبداوة ، سواء أكان ذلك على صعيد الأساليب الخشنة ام عن طريق وحشية الالفاظ . فهو يركب متن الغريب ويوغل فيه ، ويحتطب ألفاظه من حطب الصحراء ويلملم تعابيره من فلواتها الموحشة[٥٢] يقول :

وركـوب تـعـزف الجـن بـه
قبـل هـذا الجيـل مـن عـهـد أبـد
وضِبـاب سفـر المـاء بـهـا
غـرقـت أولاجـهـا غيـر السـدد
فـهـي مـوتـى لـعـب المـاء بـهـا
في غثـاء سـاقـه السيـل عـدد[٥٣]

فالطريق مخوف موحش ، لا يسمع فيه سوى عزف الجن ، والسيل عارم لا يبقي ولا يذر ، والضِباب غرقى ، والغثاء غطى على كل شيء . وكل ما في الفلاة يبعث الرهبة والهيبة فتجيش النفس خوفاً وفزعاً وتتوقع العدوّ رغم عدم وجوده :

وجـاشت اليـه النفس خـوفـاً ، وخـالـه
مصـابـاً ، ولـو أمسى على غيـر مـرصد[٥٤]

وناقة طرفة - في معلقته - والتي تشاركه همومه واغترابه ، ليست كناقة غيره من الشعراء ، هي أسطورة من الاساطير ، تحدث فيها القدماء والمحدثون فرأوا فيها شيئاً عجيباً . وغرابة الامر تكمن - كما يقولون - في أن طرفة وقف جهده على وصفها كما لم يقف أحد مثله[٥٥] . فهو يقيم أمامنا هيكلا جسدياً كامل الخلقة[٥٦] ويرسم للعرب الذين يعجبون بالنوق تمثالا بديعاً[٥٧] وهو في صنعه لم يكن شاعراً فحسب بل كان مصوراً أيضاً[٥٨] .

وأنكر آخرون هذه الاهمية التي أعطيت لناقة طرفة ، فرأوا فيها دمية صماء حيث لا حركة ولا حياة[٥٩] بل رأى بعضهم أن وصفها أقحم اقحاماً على المعلقة ، وأن طرفة لا يُجاري مهارة لبيد وغيره من الشعراء في حركتها واطرادها[٦٠] .

وكم نجانب الصواب عندما ننظر الى الصورة الخارجية لما يطرحه الشاعر من موضوعات فاصلين بين تلك الصورة وما تحمله من مضمون ثم بين الصورة وما يحياه الفنان في داخله . فطرفة في هذا السرد الطويل لأوصاف ناقته لم يكن يعنيه أبداً أن يقدم هيكلا جسدياً أو أن يكون منسقاً فيما يعرض أو أن ينحت تمثالا بديعاً يُعجب الذين يعجبون بالنوق ، ولا سيما وهو في حالة يَعُبُّ فيها من الغربة والمشقة والتعب . ولم يكن عمله هذا هواية يستعيد بها عصر مخاطرات وفتوة وشباب ينتقل بعد أن يفرغ منها الى الفخر بنفسه وكأنها وسيلة فنية لا غير ![٦١] فالناقة في الشعر القديم « مجمع كل شعور بالغائية الواضحة والغامضة ، هي خالقة الأساطير التي أخرجت الشعر العربي من الغناء الساذج الى التصدي الملح لفكرة المشكلات »[٦٢] .

وإذا كان طرفة يُسرف في إيراد صفاتها ويفصل في ذكر ملامحها القوية ، فما ذلك إلا ليُمثّل قدرة الإنسان على المقاومة ، وليشبع غريزة البقاء التي تلح عليه أمام صورة الفناء الماثلة في الطلل والصحراء[٦٣] . ومن ثم حشد هذه التشبيهات التي تستوعب كل مظاهر البناء والتشييد والقوة ليجعلها قادرة على التحدى والنزال والمقاومة[٦٤] . فشعر ذنبها جناحا نسر أبيض ، وفخذاها بابا قصر منيف أملس ، وأضلاعها المتصلة بفقارها قسي ، وابطاها في السعة بيتان من بيوت بقر الوحش ، وهي في علوها أشبه بقنطرة رجل رومي ، وجنباها سقف أسند بعضه الى بعض وعنقها في ارتفاعه وانتصابه دفة سفينة ، وجمجمتها في الدقة والصلابة سندان أو مبرد . وهي صور ذات دلالة واضحة على قدرته واعتداده بنفسه ورفضه للهزيمة أو التراجع ثم أليس فيها لون من التحدي للصعوبات الممكنة وغير الممكنة ومحاولة للانتصار على هواجس النفس ومخاوفها في غربتها من المجهول وغير المتوقع ؟ الا تبدو ناقة طرفة كالملجأ الأمين الذي يقي صاحبه من كثير ؟ فهذه الصور الكثيرة في تآلفها ، تُعبر عن الوقاية والاحتماء وتوحي بحالة الشاعر النفسية ومعاناته من الاغتراب والخوف وحاجته الى الاختباء[٦٥] .

وكان نفسية طرفة المتشائمة والمتوجسة خوفاً تأبى الا أن تفيض بمخزونها من الالم وحس الاغتراب والشعور بعدوان الدهر في حديثه عن الناقة . يقول :

أمون كألواح الاران نسأتها
على لاحب ، كأنه ظهر برجد[٦٦]

ألم يجد الشاعر صورة يُعبر فيها عن خَلقها المُوثّق سوى التابوت الذي يحملون فيه الموتى ؟ الا يوحي هذا بان الشاعر يرى ناقته مثله تماماً مثقلة بالهموم شاعرة بمشاق الحياة وآلامها ؟ .

ثم هو يصفها بانها حذرةٌ دائماً ، متخوفة تنتصب أذناها لكل صوت خفي . ويجعل منها ثوراً وحشياً منفرداً في الصحراء لا وحش معه يلهيه ويؤنسه فيضفي على الصورة فزعاً وترقباً :

وصادقتا سمع التوجس للسرى
لجرس خفي او لصوت مندد

مؤللتان ، تعرف العتق منهما
كسامعتي شاة بحومل ، مفرد

وأروع نباض ، أحذ ململم
كمرداة صخر من صفيح مصمد[٦٧]

ثم تتداعى الى عقل طرفة بعد وصفه الهائل صورة غريبة وملفتة :

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا
على رسلها مطروفة لم تشدد

إذا رجّعت في صوتها خلت صوتها
تجاوب أظار على ربع ردى[٦٨]

ففتاته تغني متئدة في غنائها . ولكن كيف يتناهى صوتها وترديد نفحاتها في أذني طرفة ؟ انه يرى فيها أصوات نوق تجأر وقد فقدت أولادها ! أليس في هذا شيء ملفت حقاً ؟ هل تخلق الصور العظيمة من المتناقضات ؟ ربما !

وأخيراً هذه الظعائن التي تخيلها طرفة في سفن مهاجرة تشق عباب البحر وتركب المخاطر نحو البعيد تهتدي حيناً وتتخبط أحياناً :

كأن حدوج المالكية غدوة
خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية أو من سفين ابن يامن
يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

يشق حباب الماء حيزومها بها
كما قسم الترب المفايل باليد[٦٩]

هل هي ضرب من الرؤى الجماعية التي تدل على مخاوف الجماعة وآمالها في الانتقال من طور لاخر ؟ هل هي علامة على الرغبة الكامنة في النمو ؟ هل هي حلم يحقق الإنسان من ورائه مغنما أو مكسبا ؟[٧٠] . لنا أن نقول ذلك ولكن الذي لا يقل أهمية من هذا أن أحساس الشاعر بالضياع والتيه هو الذي يجعله كمن يضرب بالرمل فيملي عليه مثل هذه الصور ليخرج بها عن نطاق المتعارف عليه .

*** فنه صورة من غربة نفسه وغربة فكره .**

رأى الدكتور طه حسين في طرفة صاحب لذة رقيقة تصدر عن تفكير وعن فلسفة وعن اختبار للحياة وعن حكم دقيق على حوادثها وخطوبها ونتائجها ورأى في إيمانه المطلق بأن الموت هو آخر الحياة ونهايتها سبباً في اندفاعه الى لذات الحياة ومتعها يشرب الخمر ويستمتع بالحب ويغيث الملهوف ويجيب دعوة الداعي[٧١] . وقد ترسخت هذه الفكرة في ذهنه حتى أصبحت مبدأ لا يحيد عنه وأضحت أمور المتعة هدفاً يحيا من أجله :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام عُودي

فمنهن سبقي العاذلات بشربة
كميت متى ما تعل بالماء تزيد

وكرّي اذا ما نادى المضاف محنبا
كسيد الغضا نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمد[٧٢]

ولم يعد الموت يثير فيه هلعاً أو يدفع الى زهد بل هو يثير نهمه الى الحياة والاسراف في المتع :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدي

فان كنت لا تستطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي[٧٣]

وهو لا يعرض هذه القضية عرضاً سطحياً بل هو يجادل فيها ويناقش بحرارة :

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى
بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد[٧٤]

ويقول :

يا راقد الليل مسروراً بأوله
إن الحوادث قد يطرقن أسحارا[٧٥]

ويقول :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
لكالطول المرخى وثنياه في اليد[٧٦]

وإذا كان قانون الموت يساوي بين الجميع مهما اختلفت طبقاتهم ومنازلهم فلم التهالك على المال واقتنائه وحرمان النفس متع من متعها وما تصبو إليه ؟ :

أرى قبر نحّام بخيل بماله
كقبر غوي في البطالة مفسد

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
عقيلة مال الفاحش المتشدد

أرى المال كنزاً ناقصاً كل ليلة
وما تنقص الأيام والدهر ينفد

ثم يصل الى هذه النتيجة الساخرة بينه وبين منكري منهجه :

كريم يروي نفسه في حياته
ستعلم إن متنا غدا أينا الصدي !

ثم ماذا بعد ؟ هل هناك أكثر هلعاً من غربة الوحدة والانعزال في القبر بعد الموت ، حيث لا أنيس ولا أمل في الخلاص ؟ وهذه الغربة أكثر ما يفزع طرفة ويقلقه ومن ثم هو يهرب منها بالتأكيد على أن يعب المرء من الملذات قبل أن يداهمه الموت ، ساخراً من قيم مجتمعه وسخافة معتقداتهم :

فذرني أروى هامتي في حياتها
مخافة شرب في الحياة مصرد[٧٧]

واعتبر قومه نهجه خروجاً على العرف وإساءة الى القبيلة ومفاهيمها . وأحس طرفة بتغير قومه نحوه ، وأنهم عاجزون عن فهمه ، غير مدركين لحاجاته الملحه التي يعبر فيها عن استقلاليته وشخصيته . وفرض قومه عليه العزل وأقاموا بينهم وبينه الحواجز وكأنهم يخشون على أنفسهم عدوى :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي
وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلها
وأفردت إفراد البعير المعبد[٧٨]

ومع ما في البيت الثاني من إحساس مرير بالغربة والألم إلا أن طرفة في إلحاحه على مشهد الخمرة يبدو وكأنه يرسم لقومه حياته الخاصة التي ارتضاها واقتنع بها ، ويُمثل نمطاً من التحدي لموقف القبيلة من خلال ثقته بنفسه وقدرته على إيجاد علاقات جديدة بدلًا من تلك التي افتقدها بخلعه[٧٩] ومن ثم هو مكتف بهؤلاء الأصدقاء الباقين لديه من الأغنياء الذين تربطهم به فلسفة مشتركة والفقراء المحتاجين الى عونه :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني
ولا أهل هذاك الطراف الممدد[٨٠]

أليس في اختياره لهذين الفريقين أصدقاء شيء من المفارقة ؟ ألا يوحي هذا بشيء من الاضطراب النفسي في التعامل مع الاخرين؟ ثم لنستمع اليه وهو يقول :

ولست بحلال التلاع مخافة
ولكن متى يسترفد القوم أرفد
وإن تبغني في حلقة القوم تلقني
وإن تقتنصني في الحوانيت تصْطد[٨١]

لماذا هو يستتر بالتلاع إن لم يكن ذلك خوفاً ؟ أليس في هذا الاستتار إحساس داخلي ملح بالمفارقة بينه وبين قومه ؟ إنه يحبهم ويودهم ولكنهم مع أرائه وفكره على طَرَفَي نقيض ، يَرَوْن فيه فتى مغامراً طائشاً يفهم الحياة من جانبها الخاطىء . وهو مؤمن بفكره لا يلتقي معهم ومن ثم هو يعتزلهم وينطوي على نفسه ، ولكنه في نفس الوقت قوي الايمان بواجبه الاجتماعي يخاطر في سبيله مهما كلفه ذلك من تضحية . هو في خدمة قومه ولكنه لا يستطيع ان يتخلى عن أهوائه ونزعاته التي أضحت مثلًا ومبادىء ! إنك تجده في حلقات القوم يشير ويستشار ، ولكنك أيضاً تلقاه في حوانيت الخمارين يَعُبُّ من اللذة عبّاً ! ولنتأمل جيداً كم في كلمتي « تقتنصني » و « تصطد » من إيحاء بالغ الدلالة على الندرة والتفرد . ولعل هذا الإحساس بندرة شخصه ومثاله هو ما جعله يقول :

ندامـاي بيض كالنجوم وقينة
تروح علينا بين برد ومجسد

فيجمع بين الندامى البيض الاحرار والقيان ، عائدا الى المفارقة ، جاداً هازلًا يعيش قمة المثال ويستمتع أقصى غايات الاستمتاع معا .

وإذا كانت مثل هذه المفارقات تنقل لنا فكرة الحرية التي تشغل عقل طرفة وفكرة النقاء – التي نفهمها من كلمة بيض – فلسنا نرى أن طرفة في بيته يتطلع الى النجوم من حيث هي مصائر الانسان ، وأن فكرة النقاء تعني النقاء من الدرن الذي يتناقله الناس من رأي في مصير الانسان[٨٢] .

لقد وجد طرفة في أندية القوم وفي الحوانيت نفسه المغتربة أبداً[٨٣] فغشيها لعله يجد فيها عزاء وسلوى وصداقة تقبل به . وطرفة في اتخاذه هذا النمط من الحياة لم يكن الوحيد بين الشعراء ، فالصورة التي تبرز في الشعر القديم هي صورة رجل يغتصب المتعة اغتصاباً ، وحياة الفرسان تقوم قديماً على الخمر والقتال والنساء[٨٤] . وقد تجلى موقف الفرد في الخروج على القبيلة في مظاهر متعددة عبر من خلالها عن ضيقه بتقاليدها ، فالأعشى اتخذ من الاستهتار وسيلة للتخلص من عناء الحياة وقباحتها ، ومسلكه يمثل عدم الجري على سنة التقليد لان له وعياً آخر لمعنى الحياة وقيمها[٨٥] . ومن ثم جاءت خمرياته مغايرة لسائر الشعر الجاهلي تشيع فيها الحياة ، وكشف عن الصلة العاطفية بين الشاعر وبين موضوعه[٨٦] . هل تعاطي الخمرة والتغني بها يمثل لوناً من ألوان الغربة ينفصل فيه الانسان عن واقعه بكل ما فيه ، وينفصل عن ذاته المثقلة بالمجتمع[٨٧] ربما! فشيوعها في الشعر وفي الحياة دلالة رغبة في الاستقلال وتعبير عن الفردية المتململة .

وطرفة خرج عن الضوابط الاجتماعية وتمرد على مقومات الحياة القبلية مستبدلًا بهذه جميعاً ما يسميه « لذة الفتى » والتي تقوم أساساً على الخمر والمرأة والبطولة الاجتماعية وسعى الى تحقيق شخصيته من خلالها . هو لم يرفض عادات القبيلة وتقاليدها إلا إذا تعارضت مع حياته الحرة التي ترضي مشاعره واحساساته الخاصة . فإذا ما حدث عدم التوافق غلب موقفه الخاص على موقف القبيلة وانتصر لذاته على ذات الجماعة[٨٨] . إن القبيلة تُسمي ما يفعله طرفة استهتاراً وطرفة يرى فيه فهماً جديداً للحياة . لقد حاول أن يُرضي قومه كما أرضى نفسه ، فتقرب الى قومه ولكنهم هضموا حقوقه ، وبالغوا في التدخل بشؤونه الخاصة ، فَأحَسَّ – وظُلم الاقارب يمزقه – أنه لا بد أن يتصدى لمنطق القبيلة وظلمها منتصراً لمنطقه الفردي ، ويصور موقف القبيلة من خلال ابن عمه تصويراً فيه كثير من

المرارة والاسى :

فمالي أراني وابن عمي مالكا
متى أدن منه ينأ عني ويبعد
يلوم وما أدري علام يلومني
كما لامني في الحي قرط بن معبد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند[٨٩]

وبين منطق القبيلة ومنطق الفرد عاش طرفة حياة مشحونة بالغربة واليأس والظلم معا . ولم يجد سبيلاً الا أن يهرب الى حياة لاهية عابثة متحدياً سلطة التقليد باحثاً عن ملجأ يجد فيه نفسه التائهة . ولم يعد التراث القبلي اغلى ممتلكات طرفة كما هو الحال عند غيره ، بل أصبح همه أن يصور شؤونه الخاصة وانفعالاته وتجاربه ، منطلقاً من فكره الخاص وفلسفته التي اقتنع بها .

لقد شعر طرفة بالمفارقة الحادة بينه وبين قبيلته ، بين الفكر الفردي والفكر الجماعي ، وشعر بتفرده وتميزه :

فإن مت فانعيني بما أنا أهله
وشقي علي الجيب يا بنة معبد

وتزداد غربته عندما ينظر حوله فيجد أن الحياة يسود فيها منطق النفاق والمكر ، فتختلط عليه الامور ، وتتاصل لديه الغربة النفسية :

فلم يبق الاشامت بمصيبة
وذو حسد ما تستقيم طرائقه
عدو ، صديق ، عابس ، مبتسم
يعاملني بالمكر حين أوافقه
يجاملني جهرا إذا ما لقيته
وفي الصدر ما تهدا هديراً شقاشقه
إذا ما رأى الدنيا علي تهللت
بإقبالها يوماً صفت لي خلائقه
وإن آل خطب أو ألمت مخلة
أوصله فيها ، بدت لي صواعقه[٩٠]

ويضيق عليه الدهر ويشعر أنه في أسر أو سجن فيصور هذه الغربة تصويراً رائعاً :

أرقت لهم أسهرتني طوارقه
وساعدني دمعي ففاضت سوابقه
وبت أراعي النجم لا أطعم الكرى
كأني أسير طائر القلب خافقه
يعالج اغلال الحديد مكبلا
وقد عدن بيضا كالثغام مفارقه
ولم أبك طيفاً زار وهناً خياله
ولا شادناً في الخدر كنت أعانقه
ولا شاقني ربع خلا من أنيسه
فأضحت به آرامه وزقازقه
ولكن دهراً ضاق بعد اتساعه
وجاءت أمور وشغتها مضايقه

إنها غربة النفس ، ووحدة الذات ، وشعورها المرير بتبعيات المجتمع تفرض فرضاً ثم هذا النفور الذي يغلي وعدم قدرة النفس على تحقيق ما تصبو اليه ، وأخيراً هذا الارتداد الى النفس حيث لا يجد غيرها يحاورها وتحاوره ، ويقص عليها إحساسه الحزين في صمت مردداً في اسماعها قناعته الراسخة :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له
بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد[٩١]

وبعد :

فقد كان طرفة ظاهرة فريدة في الشعر القديم ، واذا كان الفن جزءاً لا يتجزأ من سيرة الشاعر ، وانعكاساً لطريقته في معاناة الحياة ، صورة من تاريخ الأفكار[٩٢] فشعر طرفة مثل هذا . واذا كان العمل الفني دلالة وجدانية ونسقاً رمزياً للتعبير عن الشعور[٩٣] فشعر طرفة يفيض من القلب وينبعث عن الجوانح الثائرة أو الطامحة . وإذا كان بعض النقاد يرون في الشعر العربي القديم عامة أنه شعر السطوح الخارجية للنفس والحياة ، وأنه يشعرنا بالفراغ الداخلي لان أصحابه كانوا يعيشون خارج الحدود النفسية[٩٤] ويرون أن شعر طرفة هو في صميمه شعر التشبيهات الحسية[٩٥] . فليس أدل على زيف الادعاء الاول من شعر طرفة ، فهو شعر النفس وشعر الحياة ، ينقل داخل النفس ولا يغفل علاقتها مع محيطها .

أما كون طرفة يستخدم التشبيهات الحسية فهذا لا يعيب الشاعر ما دام يخلق عالماً لغوياً خاصاً به فيبني شكلاً وعلاقات وتراكيب جديدة تنبع من تجربته الحية ورؤيته المباشرة[٩٦] فاصالة الشاعر تكمن في معرفته مداخل اللغة ومخارجها ولطائفها ودقائقها ثم في إضافة شيء من عطر الشاعر اليها[٩٧] .

عند ذلك يترك صورته على أسلوبه وينفرد بهذا الأسلوب لا يشاركه فيه غيره ، ويصح عندما نقرأه أن نردد « الاسلوب هو الرجل والرجل هو الأسلوب »[٩٨] . فالتعبير رابطة حية تجمع بين الفنان وعمله ومناخ الشعر ناجم عن العلاقات بين الكلمات والعبارات والابيات الشعرية[٩٩] . فاذا ما تأثر الفنان بمحيطه فإن هذا لا ينفي معادلة الفرد الشخصية في تحديد طرازه الفني[١٠٠] .

وقد كان طرفة ذا لغة خاصة طبعها بشخصه ، فامتزجت تعابيره بانفعالات نفسه وصيحات فكره ، وكان قادراً باستمرار على نقل حالته الشعورية الخاصة بتجربته ، فتسربت شخصيته في آثاره حتى كاد يسمعنا نبض قلبه ، ودبيب خواطره ، وهواجس نفسه ، وتلك سمة من سمات العبقريين[١٠١] وأتاح له الفن أن ينفذ الى باطن الحياة وأن يسبر أغوار الواقع فامتد بملكات الإدراك الحسي الى أبعد مدى . اقتحم حياته الخاصة فأضاء كثيراً من جوانب نفسه الخفية . وعرف مجتمعه على حقيقته فتواصل معه بكل - قوة ونشاط . ولكنه اصطدم بمعتقداته الراسخة وتقاليده الصماء ، وبين صراع الذات لاثبات نفسها وصراع الجماعة لفرض

الواقع المرفوض اعترت طرفة حالة من التوتر وعدم التوازن ، ومن هذا الواقع المضطرب المتناقض تولد لديه الفن . كان ذا خيال وثاب وحس مرهف فحبا فنه الحياة والشعور والنشاط وكانت حياته قطعة موسيقية أئتلفت بها عناصر الحس والخيال والفكر ، فجاء شعره صورة عن حياته في اتحاد هذه القوى النفسية وسيطرة الاحساس عليها جميعاً(١٠٢) .

حقاً أن طرفة استمد مصادر صوره من بيئته ، ولكنه وظفها في خدمة قضيته الخاصة بمالها من بعد إنساني . صحيح أنه كان مادياً ، ولكنه أحال المادية البحته الى وصفية تخدم موقفه النفسي وتنقل حقائق الوجود الجاهلي . هو يرتبط في تصويره بالواقع الطبيعي والاجتماعي ولكن صوره وثيقة الاتصال بواقعه النفسي(١٠٣) وهل الاداء النفسي سوى حصيلة الوجود الخارجي والوجود الداخلي ومنطقة العمل الفني نفسه(١٠٤) ؟ . فالصور في الشعر ليست أشياء منعزلة نتلقاها فرادى بل هي تنبت وتنمو وتتجه بالقصيدة اتجاهاً موحداً(١٠٥) . وإذا كان طرفة قد بدا متناقضاً في عرض فكره في بعض الأحيان الا أنه كان يملك زمام التعبير والقدرة على إبراز موضوعه . والشاعر الحقيقي هو الذي يسيطر على موضوعه ويوفق في النفاذ الى فكرته العامة المسيطرة وإن تناقض في التفاصيل أو بدا غير منطقي في الجزئيات(١٠٦) .

لقد عاش طرفة غريباً مع نفسه ، ومفترباً مع قومه وفي غير قومه ، فانسابت مشاعر الغربة الى فنه . فصبغ هذا الفن بالحنين والحزن والحنو وكشف عن أبعاد إنسانية وحقق رؤى جديدة وجعلها اكثر وعياً بمشاعرنا الأعمق . فاذا كانت مهمة الفن هي نقل التجربة الفردية والاجتماعية الى الآخرين(١٠٧) فقد مَثَّل طرفة هذا الدور تمثيلاً صادقاً . فقد نشد الحق الذي يحياه في نفسه أياً كان مفهومه ، فسكب عاطفته فيه . ولم يقف عند حدود التأثير النفسي بل ارتقى الى مستوى التفكير ، فقدم شعراً يجمع بين العاطفة والفكر فَأكَّد نوازع نفسه وأهواء مجتمعه فكان غريباً في عرضه وفي فكره ، مفترباً بين أهله وعند نفسه .

الهوامش

(١) انظر : عبد الرزاق الخشروم ، الغربة في الشعر الجاهلي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٨٢ م ، ص ٣٢ .

(٢) انظر : جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام دار العلم للملايين - بيروت ط ٢ ١٩٧٦ ١ / ٢٧١ .

(٣) انظر : الضبي (المفضلّ بن محمد بن يعلى توفي ١٧٨ هـ) ، المفضليات ، تحقيق احمد شاكر وعبد السلام هارون بيروت ط ٦ ص ٢٩١

(٤) انظر الاعشى (ميمون بن قيس) ديوانه تحقيق محمد محمد حسين مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م . ص ٨٧ ، ١٣٩ .

(٥) انظر : نجيب محمد البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري - دار الفكر ، القاهرة ١٩٧٠ م ص ١٤٩ .

(٦) جواد علي ، المفصل ١ / ٢٧٧ .

(٧) عبد الرزاق الخشروم ، الغربة في الشعر الجاهلي ٤٥ .

(٨) جواد علي ، المفصل ١ / ٢٦٢ وما بعدها

(٩) انظر : أحلام الزعيم ، ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد دار العودة بيروت ٦٧

(١٠) انظر : عبد الله التطاوي ، في القصيدة الجاهلية والاموية مكتبة غريب - القاهرة ١٩٨١ ص ٧٠

(١١) انظر : احسان سركيس ، مدخل الى الادب الجاهلي ، دار الطليعة - بيروت ٧٩ م ص ١٨١ .

(١٢) انظر : محمد عبد المنعم خفاجي ، الشعر الجاهلي دار الكتاب اللبناني - بيروت ط ٣ ١٩٧٣ م . ص ٤٠٨ .

(١٣) انظر : عائشة عبد الرحمن ، قيم جديدة للادب العربي القاهرة ١٩٦٧ م ص ٣٦ .

(١٤) امرؤ القيس ، ديوانه تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف - مصر ١٩٨٥ م

(١٥) انظر : عنترة بن شداد ، ديوانه ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م ص ٢٧٠ .

(١٦) انظر : النابغة الذبياني ، ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٥ ص ٧٢ .

(١٧) انظر ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم ٢١٣ - ٢٧٦ هـ) الشعر والشعراء ، طبعة ليدن ١٩٠٢ م ص ٥٨ . وانظر الجمحي (محمد بن سلام ١٣٩ هـ - ٢٣١) طبقات الشعراء شرح محمود محمد شاكر مطبعة المدني - القاهرة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م ١ / ١٣٨ . وانظر : القيرواني (أبو الحسن بن رشيق ٣٩٠ هـ - ٤٥٩ م) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣ ص ١٠٢ وانظر : القرشي (أبو زيد محمد بن الخطاب) جمهرة أشعار العرب تحقيق علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر ١٩٧٧ م ص ٨٩ .

(١٨) ابن قتيبة ، الشعراء والشعراء ٨٩ .

(١٩) المرجع السابق

(٢٠) المرجع السابق

(٢١) انظر : طرفة بن العبد ، ديوانه شرح الاعلم الشمنتري (٤١٠ هـ - ٤٧٦ م) مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ص ١٠٧ .

(٢٢) انظر : محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ، عالم الكتب - بيروت ط ١ ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ص ١٧٧ .

(٢٣) طرفة بن العبد ، ديوانه ٣١ .

(٢٤) طرفة بن العبد ، ديوانه ٨٦ .

(٢٥) محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ٨٨ .

(٢٦) طرفة بن العبد ، ديوانه ٧٢ .

(٢٧) محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ٢٠٠ وما بعدها .

(٢٨) المرجع السابق ١٢٦ .

(٢٩) انظر : مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي - بيروت ٩٤ هـ ٧٤ م ، ٣ / ٢٣٩ .

(٣٠) طرفة بن العبد ، ديوانه ٤٦ .

(٣١) المرجع السابق ٢٧ .

(٣٢) انظر : مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م ص ١٦٥ .

(٣٣) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٣٠ .

(٣٤) انظر محمد مندور ، في الميزان الجديد ، مكتبة نهضة مصر ط ٣ ص ١٢٨ .

(٣٥) انظر سعد الدين شلبي ، الاصول الفنية للشعر الجاهلي مكتبة غريب . القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٢ م ، ص ١٤٠ .

(٣٦) طرفة بن العبد ، ديوانه ٨٦ .

(٣٧) طرفة بن العبد ، ديوانه ٨١ .

(٣٨) طرفة بن العبد ، ديوانه ٩١ .

(٣٩) انظر : عز الدين اسماعيل ، مجلة شعر عدد ٢ ، فبراير ١٩٦٤ م .

(٤٠) محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ٩٧ وما بعدها .

(٤١) طرفة بن العبد ، ديوانه ٥٩ .

(٤٢) طرفة بن العبد ، ديوانه ٥٢ .

(٤٣) المرجع السابق ، ٩ .

(٤٤) المرجع السابق ، ٨ .

(٤٥) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ١٦٠ .

(٤٦) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٥٢ .

(٤٧) المرجع السابق ٥١ .

(٤٨) المرجع السابق ١١٩ .

(٤٩) انظر : مطاع الصفدي وايليا حاوي ، موسوعة الشعر العربي شركة خياط - بيروت ١٩٧٤ م ، ٢ : ٢٠١

(٥٠) انظر : عبد الفتاح نافع ، الشعراء المتيمون في الجاهلية والاسلام ، مكتبة الكتاني اربد ٨٦ ص ٦٥ .

(٥١) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٢

(٥٢) محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ١١٨

(٥٣) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٣٤

(٥٤) المرجع السابق ٢٦

(٥٥) سعد الدين شلبي ، الاصول الفنية للشعر الجاهلي ٢٨٣ ، وانظر محمد عبد المنعم خفاجي ، الشعر الجاهلي ٣٦٦ ، وانظر محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد ١١٦ .

(٥٦) انظر : الصورة في الشعر العربي حتى اخر القرن الثاني الهجري ، دار الاندلس بيروت ، ١٩٨٠ ص ٨٦ وانظر : بطرس البستاني ، ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، دار مارون عبود - بيروت ١٩٧٩ م ص ١٢١ .

(٥٧) انظر : شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٠ ص ٢٢٣ .

(٥٨) انظر محمد عبد العزيز الكفراوي ، الشعر العربي بين الجمود والتطور ، دار نهضة مصر - القاهرة - ط ٢ ص ٢٢ .

(٥٩) انظر : يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه ، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٣ ١٩٨٢ م ص ٢١٨ .

(٦٠) انظر : طه حسين ، حديث الاربعاء ، دار المعارف بمصر ١ / ٥٨ .

(٦١) محمد عبد العزيز الكفراوي ، الشعر العربي بين الجمود والتطور ٦١ .

(٦٢) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ١١٥ .

(٦٣) المرجع السابق ١٦٣ .

(٦٤) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٢ .

(٦٥) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية في شعرنا القديم ١٦٣ .

(٦٦) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٢ .

(٦٧) طرفة بن العبد ، ديوانه ٢٤ .

(٦٨) المرجع السابق ٣٠ .

(٦٩) المرجع السابق ٧ .

(٧٠) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ٦٨ .

(٧١) طه حسين ، حديث الاربعاء ١ ، ٦٣

(٧٢) طرفة بن العبد ، ديوانه ٣٢ .

(٧٣) المرجع السابق ٣١ .

(٧٤) المرجع نفسه ٤٨ .

(٧٥) المرجع نفسه ١٥٦ .

(٧٦) نفسه ٣٧ .

(٧٧) نفسه ٣٥ .

(٧٨) نفسه ٣١ .

(٧٩) عبد الله التطاوي ، في القصيدة الجاهلية والاموية ٧٣ .

(٨٠) طرفة بن العبد ، ديوانه ٣١ .

(٨١) المرجع السابق ٢٨ .

(٨٢) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ١٦٨ .

(٨٣) علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ٨٦ .

(٨٤) الاعشى الكبير ، ديوانه ٣٢ .

(٨٥) إحسان سركيس ، مدخل الى الادب الجاهلي ٢٤٣ .

(٨٦) ديوان الاعشى ٣٢ .

(٨٧) احسان سركيس ، مدخل الى الادب الجاهلي ٢٤١

(٨٨) عبد الله التطاوي ، في القصيدة الجاهلية والاموية ٧٤ .

(٨٩) طرفة بن العبد ، ديوانه ٣٧ .

(٩٠) المرجع السابق ١٧٨ .

(٩١) المرجع نفسه ٤٨ .

(٩٢) انظر : ليون ادل فن السيرة الادبية ترجمة صدقي حطاب مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ، نيويورك ١٩٧٣ م . ص ٦٥

(٩٣) انظر : زكريا ابراهيم ، مشكلة الفن مكتبة مصر ١٩٧٧ م ص ٤٦ ، وزكريا ابراهيم فلسفة الفن في الفكر المعاصر دار مصر للطباعة ١٩٦٦ م ص ٣١١ .

(٩٤) انظر : شكري عياد ، الرؤيا المقيدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ص ١٩٢ ، وانظر أنور المعداوي ، علي محمود طه الشاعر والانسان ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ٨٦ ص ١٣١ ، ١٧٠ .

(٩٥) محمد عبد العزيز الفراوي ، الشعر العربي بين الجمود والتطور ٢٢ .

(٩٦) انظر : مصطفى بدوي ، دراسات في الشعر والمسرح ، دار المعرفة - القاهرة ١٩٦٠ م ص ٤٩ .

(٩٧) شكري عياد ، الرؤيا المقيدة ٢٤ .

(٩٨) ليون ادل ، فن السيرة الادبية ٦٥ .

(٩٩) انظر : رضوان الشهال ، عن الشعر ومسائل الفن ، منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٨٦ م ، ص ٨٦ .

(١٠٠) زكريا ابراهيم ، مشكلة الفن ١٥١ .

(١٠١) انظر : علي أدهم ، على هامش الادب والنقد ، دار الفكر العربي - القاهرة (بدون تاريخ) ص ٤٧ .

(١٠٢) بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ٧٩ .

(١٠٣) عبد الله التطاوي ، في القصيدة الجاهلية والاموية ٧٦ .

(١٠٤) شكري عياد ، الرؤيا المقيدة ١٩٢ .

(١٠٥) انظر مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، دار الاندلس - بيروت ١٤٠١ هـ ١٩٨١ ص ٢٥٤

(١٠٦) علي أدهم ، على هامش الادب والنقد ٤٧ .

(١٠٧) انظر : كارلوني وفيللو تطور النقد الادبي الحديث ترجمة سعد يونس - مكتبة الحياة بيروت (بدون تاريخ) ص ١٢٢ . وانظر : محمد مندور في الأدب والنقد ، دار نهضة مصر (بدون تاريخ) ص ٣٩ . وانظر عبد الحميد يونس ، الأسس الفنية للنقد الادبي ، المطبعة النموذجية القاهرة ١٩٤٩ م ص ١١٧ .

علم المعاني بين النحو والبلاغة

دراسة نقدية مقارنة للنشأة والتطور

أحلام موسى حيدر الزهاوي
كلية التربية / الجامعة المستنصرية
قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

عرف العرب الالفاظ كما عرفوا المعاني وكان لكل منهما شأنه في كلامهم شعراً كان او نثراً ، فالشاعر يسعى الى ابراز معانيه باختيار احسن الالفاظ وكذلك العالم لغوياً كان او بلاغياً ، فقد اكدوا اختيار الالفاظ المعبرة عن معانيها واستخدامها في مواضعها وتوخي الدقة في استعمالها بحيث تؤدي المعنى المطلوب ، وفرقوا بين الالفاظ الفصيحة والمبالغة والصادقة والمبدعة ، ورفضوا المشكوكة والغامضة والكاذبة منها ، ولقد بُنيت معظم الشواهد النقدية المعروفة في كتب التراث على اساس الاختيار للمعاني والالفاظ بشكل يخدم النص ويؤدي الغرض منه ، مما يدل على عمق نظرية اللفظ والمعنى عندهم .

عُرفت المعاني – في بداية الامر – بوصفها مفهوماً مفرداً له علاقة وثيقة بالالفاظ ، وقد تعامل معها النقاد والبلاغيون على هذا الاساس فكانت لفظة المعاني تتردد على السنتهم وفي كتبهم بما تعنيه من مفهوم وتطورت هذه المسأله بتطور علوم اللغة العربية وازدادت تطوراً بعد نزول القرآن الكريم وارتباطها بالاعجاز والنظم حتى غدت نظرية مستقلة لها اطرافها الواسعة التي امتدت لتشمل ميادين النحو والبلاغة والادب ، ثم استقربها . الحال في ميدان البلاغة ، وبالتحديد في باب علم المعاني ، بعد تطورها على يد الجرجاني ، وعلى اساس العلاقة بين اللفظ والمعنى كانت معظم اراء العلماء الذين انقسموا بين مؤيد للفظ ومؤيد للمعنى وموفق بينهما ، بالنظم والاسلوب ، كما سنلمس ذلك من وقوفنا على الاراء التي قيلت فيها .

تنبه سيبويه (١٨٠ هـ) قبل غيره من العلماء الى اساليب الكلام حسب معانيها ، وذهب الى ان تلك المعاني تتأثر بها وتتغير بتغيرها فقسم الكلام على هذا الاساس الى خمسة اقسام هي : (مستقيم حسن ، ومحال ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح وما هو محال كذب)[1] ثم وضح ما ذهب اليه فضرب الامثلة لكل منها فقال : « فأما المستقيم الحسن فقولك أتيتك امس وسآتيك غداً »[2] ، وهو تركيب واضح البناء والمعنى ، (واما المحال فان تنقض أول كلامك باخره فتقول آتيتك غداً وسآتيك امس »[3] فالتناقض بين الحدث والزمن في القولين السابقين ، ادى الى تناقض المعنى ، « واما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه »[4] فهو مستقيم في بنائه ، كذب في معناه ، لان الغرض منه المبالغة ، « واما المستقيم القبيح فان تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك : قد زيداً رأيت ، و : كي زيداً ياتيك ، واشباه ذلك »[5] ، فاختلاف الرتب باستخدام حروف الافعال للاسماء ، ادى الى اختلال المعنى ، وهو وجه القبح فيه .

ومع ان سيبويه مهد بالتقسيمات آنفاً ، لنشاة علم المعاني ، الا أن اراءه لم تلق صدى عند من جاء بعده من النحاة واللغويين وعلماء الدراسات القرآنية ، اذ اتبعوا مناهج مختلفة في مؤلفاتهم تباينت بين دراسة لغوية لمعاني المفردة ، او اسلوبية لتراكيب الكلام واكتفوا باشارات او ملاحظات عابرة ، فالفراء (٢٠٧ هـ) تناول المعاني من جانبها اللغوي ، ولا سيما في كتابه معاني القرآن ، اذ وقف عندما قد يشكل على القارىء من الفاظ يحتاج الى عناء في فهمه »[٦] فاختلف بذلك عن سيبويه الذي كانت ملاحظاته اسلوبية .

واشار محمد بن المستنير (٢٠٦) - المعروف بقطرب - مع جماعة من النحويين الى تقسيمات المعاني ، فقالوا : « معاني الكلام اربعة : خبر واستخبار وامر ونهي »[٧] وجعلوا التمني والدعاء من تقسيمات الخبر ، واكتفوا بالاشارة الى الاختلافات بينها ، وبهذا يكون قطرب ومن معه اول من اطلق عبارة (معاني الكلام) على تقسيمات الخبر والانشاء التي اصبحت فيما بعد مباحث علم المعاني خلافاً لما ذهب اليه الدكتور احمد مطلوب عندما جعل هذه الاولوية لاحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) الذي ذكر هذه العبارة في كتابه الصاحبي ، وقد نسبها الى اهل العلم .

وعلى ما سبق تكون دراسة قطرب وجماعته دراسة تركيبية لا ساليب الكلام التي وقفوا عندها تبعهم الاخفش (٢١٥ هـ) الذي زاد على تلك التقسيمات بجعله التمني والدعاء اقساماً لمعاني الكلام فقال : « معاني الكلام ستة : خبر واستخبار وامر ونهي ودعاء وتمني »[٨] ثم عرضها وساق الامثلة والشواهد لكل منها .

وللاخفش وقفة مع المعاني في كتابه (معاني القرآن) الذي اتبع فيه منهجاً واضحاً لتفسير معاني القرآن ، مستعيناً بالقرآن نفسه لايضاح بعض الآيات فضلاً عن استعانته بالشواهد الشعرية والاقوال العربية . والمعاني التي يقصدها الاخفش في كتابه هي معاني الالفاظ اللغوية وبيان الظواهر الاعرابية واختلاف الرسوم القرآنية واتباع اللغات المشهورة في قراءاتها ، من ذلك وقوفه عند كلمة (السلم) ودلالاتها في بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى : (ادخلوا في السِّلم كافة)[٩] بقوله : « والسِّلم : السلام وقوله (وتدعو الى السَّلم وانتم الاعلون)[١٠] ذلك الصلح وقد قال بعضهم في الصُّلح : السلم : (ويلقوا اليكم السلم)[١١] وهو الاستسلام وقال : (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)[١٢] ، اي قالوا براءة منكم لان السلام في بعض الكلام هو البراءة ، يقول : (إنما فلان سُلام سِلام ، أي : لا يخالط احداً »[١٣] لهذا فان دراسة المعاني عند الفراء ، كانت دراسة لفظية خاصة بمعاني المفردات وبورها في المعنى العام للنص ، في حين ان دراسة قطرب - ومن تبعه من النحاة - والاخفش اسلوبية وان اختلفت دراسة الاخير في (معاني القرآن) ، كما لاحظنا .

مما سبق ، يتبين ان للنحاة واللغويين دوراً بارزاً في نشاة علم المعاني ، ومع أن اراءهم تلك لم تتجاوز الملاحظات والتقسيمات العامة - كما في دراسة سيبويه - الا انها شكلت قاعدة بنى عليها البلاغيون اساس علم المعاني فيما بعد ، فكان ميدان النحو بذلك مجالاً خصباً لنشاة هذا العلم وتوسعه وانتقاله الى ميادين وبيئات علمية متعددة فقد تعرض الجاحظ (٢٥٥ هـ) الى المعاني في مؤلفاته وبين دورها في بلاغة الكلام ، فقال : « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، فلايكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك »[١٤] فبلاغة الكلام عنده مرتبطة بمعانيها ومقياسها ان تصل الى القلب وتؤثر في النفس قبل الالفاظ .

ووقف ابن قتيبه (٢٩٦ هـ) عند تعدد المعاني للفظ الواحد وتاثير النظم فيه ، من ذلك تعدد معاني لفظة (الوحي) بتعدد نسق النظم الذي وردت فيه كقوله تعالى : (إنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح)[١٥] ، والوحي هنا هو أرسال جبريل بالقرآن ، وقوله تعالى : (فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا)[١٦] وتعنى هنا الاشارة ، وتاتي بمعنى الالهام ، كما في قوله : (واوحى ربك الى النحل)[١٧] ، أي الهمها ، وتاتي ايضاً بمعنى الاعلام في المنام كقوله : (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً)[١٨] وتاتي بمعنى الامر ايضاً كقوله : (بان ربك اوحى لها »[١٩] اي : امرها »[٢٠]

وايد الخطابي (٣٣٨ هـ) في رسالته (بيان اعجاز القرآن) فكرة النظم وصلته بالاعجاز ، فذهب الى ان ، الصلة الوثيقة بينهما ادت الى حسن النظم فقال : « واعلم ان القرآن انما صار معجزاً لانه جاء بافصح الالفاظ في احسن نظوم التاليف مضمناً اصح المعاني »[٢١]

وشبه ابو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) المعاني بالابوان وبالكسوة التي تتجدد بتجددها ، وتجري مجراها ، مفضلاً بهذا التشبيه ، المعاني على الالفاظ بقوله : « ان الكلام الفاظ وتشتمل على معانٍ تدل عليها ، ويُعبرّ عنها ، فيحتاج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى كحاجته الى تحسين اللفظ لان المدار يعد على اصابة المعنى ، ولان المعاني تحل من الكلام محل الايدان ، والالفاظ تجري معها مجرى الكسوة ، ومرتبة احدهما على الاخرى معروفة »[٢٢]

ولنا مع أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) وقفة اخرى مع معاني الكلام اذ اكتفى بذكر تقسيماتها عند اهل العلم فقال : « وهي عند اهل العلم عشرة : خبر واستخبار وامر ونهي ودعاء وطلب وعرض وتحضيض وتمنٍ وتعجب »[٢٣] والملاحظ اضافة ابن فارس تقسيمات جديدة الى ما سبق موسعاً بذلك من دائرة هذا العلم .

ووقف الباقلاني (٤٠٣ هـ) عند مسالة النظم في القرآن الكريم وذهب الى ان اعجاز القرآن في نظمه وتاليفه ، وكذا القاضي عبد الجبار المعتزلي (٤١٥ هـ) الذي تعمق في تحليل الاعجاز القرآني ونبه الى خصائص عدة للنظم فيه ، فقد راى : « أن الاعجاز من جهة فصاحة الكلام وربط ذلك بالنظم وسماه يضم الكلام على طريقة مخصوصة على ان تكون لكل كلمة صفة تتولد من

ذلك الضم »[25] وقال في موضع اخر مشيراً الى هذه المسالة : « ان اعجاز القرآن لا يتم الا بجزالة لفظه وحسن معناه وقد علمنا ان المتناقض في الكلام لا يصح معناه »[26] وهو بذلك اسبق من الجرجاني في الربط بين النظم والاعجاز في القرآن الكريم .

لقد تساهمت بيئة المتكلمين – بتبنيها مسألة النظم في القرآن الكريم – في اغناء علم المعاني ، وكانت جهود علمائها ، لمسات طيبة طورت هذا الموضوع وفتحت باباً جديداً في دراسته .

لقد رسم النظم ومقاييسه التي حددها العلماء مداراً دينياً ولغوياً لهذا الجانب ألهام من العلوم العربية فكان بنية اساسية بنى عليها الجرجاني نظريته في نظم الكلام ومعانيه ، والجرجاني ، (٤٧١ هـ) ابرز من وقف عند المعاني بين من درسوا هذا الموضوع ، وقد بلغت دراسته ذروتها بعد ان رفع قواعدها وحدد معالمها وكون منها نظرية متكاملة ، عكست قدرة هذا العالم الكبير في مضمار علمه

تتلخص فكرة الجرجاني في جانبين مهمين هما : (النظم والمعاني) ، فالنظم وهو عنده : « تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض »[27] عبارة عن الصلة التي تربط الالفاظ ببعضها على وفق قواعد اللغة ، كما يذكر : (اعلم ان ليس للنظم الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله »[28] واذا ما تم ذلك فان التراكيب التي تتألف من ذلك النظم تؤدي معاني مختلفة تختلف باختلاف هذه الصلات ، ونبّه الجرجاني ان هذه الخصائص لا توجد الا في اضرب معينة من الكلام حددها بقوله : « الكلام على ضربين : ضرب انت منه تصل الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ذلك اذا قصدت ان تخبر عن (زيد) مثلًا بالخروج على الحقيقة فقلت (خرج زيد) وبالانطلاق عن (عمرو) فقلت (عمرو منطلق) وعلى هذا القياس ، وضرب آخر انت لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض »[29] .

من هذا النص نستنتج ملاحظتين :

الاولى : ان للكلام معاني غير ظاهرة يصل اليها القاري بعد تجاوز المعاني الوضعية الظاهرة للالفاظ .

الثانية : ان هذا الضرب من المعاني لا يوجد الا في البليغ من الكلام لذلك جعل الجرجاني مدار هذا الامر على الكناية والاستعارة والتمثيل ، عليه فهو يدعو الى دراسة دقيقة وتأمل عميق للنصوص بغية الوصول الى ما خفي منها من المعاني ، والخطوة الاولى في ذلك هو استيعاب الدلالة الوضعية ثم استنباط المعاني الاصلية المقصودة من خلالها ، وهي الخطوة الثانية ، ويطلق الجرجاني لفظة (المعنى) على الخطوة الاولى و (معنى المعنى) على الخطوة الثانية ويفرق بينهما بقوله : « فههنا عبارة مختصرة وهي ان تقول : (المعنى) ومعنى المعنى تعني بالمعنى ، المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل اليه بغير واسطة و (بمعنى المعنى) ان تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى اخر »[30] ولا شك في ان (معنى المعنى) يقتضي دقة في تفهم النص للوصول اليه .

الملاحظة المهمة في دراسة الجرجاني ، انه اعتمد الموضوعات النحوية اساساً بنى عليه نظريته ، وقد دعا الى اتباع تلك الموضوعات وما يتصل بها من قوانين واصول عند صياغه التراكيب على ان تدرس الفروض بينها تبعاً لمعانيها لا لتراكيبها وحركاتها الاعرابية وقد رد الجرجاني جميع مزايا النظم الصحيحة والفاسدة الى معاني النحو واحكامه وجعلها تدخل في اصل من اصوله او باب من ابوابه فذكر : « انه لا يتصور ان يتعلق الفكر بمعاني الكلم افراداً او مجردة من معاني النحو »[31] تاكيداً منه على ان النظم قائم على اساسين هامين : الاول : تعلق الالفاظ والمفردات بعضها ببعض

الثاني : ترتيبها على وفق قواعد النحو وقوانينه وهذا يعني ان مخالفة تلك القواعد يسبب اخلالًا وارباكاً في المعنى ، وقد ضرب الجرجاني مثالًا لتجسيد ذلك فقال : « وان اردت ان ترى ذلك عياناً فاعمد الى اي كلام شئت ، وازل اجزاءه عن مواضعها وضعها وضعاً يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها ، فقل في (قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل) (من نبك قفا حبيب ذكرى منزل) ثم انظر ، هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها »[32] ولا شك في ان كلامه هذا ينصب في المقام الاول على النظم وتاثيره في المعنى

ولعلنا نلاحظ – مما سبق – اهتمام الجرجاني بالمعاني ودورها في التراكيب ، ولقد نوه في مواضع عدة من كتابه بفضلها على الالفاظ في اوجه ، فهي تسبقه الى الفكر ، وتؤثر في النفس ويقتضيها النظم قبله وهي المقصودة ابداً : « فاما ان تتصور في الالفاظ ان تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب ، وان يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكراً في نظم الالفاظ ، أو ان تحتاج بعد ترتيب المعاني الى فكر تستأنفه لان تجيء بالالفاظ على نسقها ، فباطل من الظن ووهم يتخيل الى من لا يوفي النظر حقه »[33]

ومع الجهود العلميه الكبيرة التي بذلها الجرجاني في بناء نظريته والنهوض بها ، فان اراءه وما توصل اليه لم تلق اهتماماً مطلوباً من العلماء بعده سواء النحاة منهم او البلاغيين ، فقد اصاب نظريته الجمود ، اذ لم نجد لها اثراً يذكر في دراساتهم الا القليل فالسكاكي (٦٢٦ هـ) صاحب كتاب (مفتاح العلوم افاد من اراء الجرجاني وجعل من نظريته قسماً من اقسام علم البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع ، والقسم الاول منها هو خلاصة فكر الجرجاني التي قصد منها توخي معاني النحو ، وقد عرفها بقوله : « هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره »[34] وين

الدكتور احمد مطلوب ان السكاكي هو اول من اطلق مصطلح (علم المعاني) على الموضوعات التي سماها عبد القاهر بالنظم او معاني النحو ، وبهذه التسمية ، انتقل (علم المعاني) بشكله الاصولي الى ميدان البلاغة ، بعد ان اهمله النحاة ، مع تاكيد الجرجاني ان نظريته قائمة على اصول النحو وقواعده .

وافاد القرطاجني من اراء الجرجاني بشكل واسع في كتابه (منهاج البلغاء) عند دراسته لعلم المعاني ، وان كان منهجه في هذه الدراسة واضح التأثير بالفكر الفلسفي اليوناني .

تتلخص فكرة القرطاجني في ان : « المعاني هي صورة منقولة من الواقع الى فهم السامع عن طريق الذهن ، وتقوم الالفاظ بتجسيدها وتصويرها الى السامعين والقارئين ، وهذا يعني ان للمعاني صورة حقيقية لها وجود في الاعيان ، وخيالية لها وجود في الاذهان ، وتقوم الالفاظ والخطوط بنقل تلك الصورة من موقعها الاول الى موقعها الثاني »[٢٥] ، ويحدد القرطاجني مجال المعاني بميدانين مهمين هما : الشعر ، والخطابة وميدان الشعر عنده اهم لهذا وقف عنده طويلاً ، وبين تقسيماته وفصل القول فيه ، قائلاً : « والمعاني الشعرية منها ما يكون مقصوداً في نفسه بحسب غرض الشعر ومعتمداً ايراده ، ومنها ما ليس بمعتمد ايراده ولكن يورد على ان يحاكي به ما اعتمد من ذلك او يحال به عليه او غير ذلك . ولنسم المعاني التي ليست من متن الكلام ونفس الغرض ولكنها امثلة لتلك او استدلالات عليها او غير ذلك لا موجب لا يرادها في الكلام غير محاكاة المعاني الاول بها او ملاحظة وجه يجمع بينهما على بعض الهيئات التي تتلاقى عليها المعاني ويصار من بعضها الى بعض ، المعاني الثواني ، فتكون معاني الشعر منقسمة الى اوائل وثواني »[٢٦] وهو بذلك يتبع الجرجاني في تقسيمه للمعاني ، ويفصل القرطاجني القول في بيان اهمية كل منها فقال : « وحق الثواني ان تكون اشهر في معناها من الاول لتستوضح معاني الاول بمعانيها الممثلة بها ، او تكون مساوية لها لتفيد تاكيداً للمعنى »[٢٧] اشارة منه الى الصلة بين المعاني « الاول والثوان » ، وتختلف المعاني من حيث الوضوح والابهام باختلاف المقاصد ، فهي عنده بدلائل ثلاث ، دلالة ايضاح ودلالة ابهام ، ودلالة ايضاح وإبهام ، ولعله يقصد بهذه الدلائل المعاني الظاهرة والمعاني الخفية الكامنة خلفها وهي ايضاً من تقسيمات الجرجاني .

ومهما يكن من امر ، فان القرطاجني أفاد من جهود الجرجاني العلمية ، وأخذ باطرافها ، وابدى اراءه الخاصة .. ، مضيفاً بذلك الكثير الى علم المعاني بيد ان جهوده لم تكن اوفر حظاً من جهود الجرجاني التي أصابها الجمود ، ولم تصادف بعد كتابه كتاباً آخر وضع في البلاغة ، سوى كتب التلخيص المتعددة ، التي ألفت اختصاراً لكتاب مفتاح العلوم للسكاكي الذي قدر لمنهجه البقاء ، اذ لا تزال تقسيماته لعلم البلاغة والحدود التي وضعها هي المتبعة في الدراسات البلاغية

لقد اصاب علم البلاغة بعد الجرجاني والقرطاجني ، ما اصابها من الجمود والانحلال ، وزاد امتزاجها بالعلوم الاخرى ، كالمنطق والفلسفة وعلم الكلام من جمودها وضياعها ، فتحورت نظرية النظم الى علم المعاني ، هذا المصطلح الذي اصبح قسماً من اقسام البلاغة ، الميدان الذي استقرت فيه اشهر نظرية لا برز عالم في ميدان المعرفة العربية .

معاني النحو ومعاني البلاغة

المعاني جزء مهم من تكوين اللغة . وان ما سمى بـ(علم المعاني) قد نظر اليه كثير من النحاة على انه من علمهم لصلته بالكلام وما يتصل به من الظواهر الاعرابية ، إذ ان بوادره – كما لاحظنا – ظهرت عندهم ، فقد اشار اليها سيبويه وبعض النحاة ، ثم اهملوها لا نشغالهم بالاعراب وظواهره ، فبقي هذا الجزء الدقيق من اللغة مغموراً حتى ظهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري بـ(دلائل الاعجاز) الذي وضعه لدراسة مسالة اعجاز القرآن الكريم ونظمه ، وبظهوره تبين ثقل هذا الموضوع واتضحت صلته بتراكيب الكلام وزادت اهميته عندما جُعل وجهاً من وجوه الاعجاز ، وبهذا ؛ كان لا بد لهذا العلم ان ياخذ مكانه بين العلوم الاخرى ، وقد مهد الجرجاني لذلك عندما وضع (نظرية النظم) التي تستند في اساسها الى قواعد النحو وتهدف الى دراسة احد وجوه الاعجاز القراني من باب نظمه ومعانيه ، وهو جانب بلاغي بحت

من هنا بدأ الخلاف على نمط هذا الموضوع ، هل هو نحوي ويجب انتماءه الى النحو ، ام بلاغي ويجب ان ينظم الى ميدان البلاغة ، ام هو علم قائم بذاته له قوانينه واصوله ومناهجه ، فهو من جانب يستند الى قواعد النحو في منهجه ويعتمد موضوعات نحوية ، ومن جانب اخر يتبع منهجاً بلاغياً في دراسته ويقتضي الخوض فيه دراية وذوقاً ادبياً .

لقد استقر هذا العلم – في نهاية المطاف – في ميدان البلاغة كما اشرنا ليصبح من ابرز اقسامه ، وربما توضح هذه الدراسة الاسباب التي ادت الى ذلك .

يُعرّف النحاة النحو بانه : « اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليه »[٢٨] ويشمل اللفظ هنا الكلام بانواعه ، ويقصد بالمفيد ، الكلام عدا المهمل ، اما عبارة (يحسن السكوت عليه) فيعني الكلام المفهوم ويعرف البلاغيون علم المعاني بانه : « الكلام المطابق لمقتضى الحال »[٢٩] والمقصود بمقتضى الحال ، حال المخاطب التي تؤخذ بنظر الاعتبار فينزل المتكلم منزلتهُ الثقافية والفكرية سعياً الى فهمه .

عليه فان الكلام هو المحور الاساس للعلمين الرئيسين (النحو والبلاغة) الا ان موضع الخلاف يكمن في كيفية تعامل كل منهما معه ، فالمعروف ان النحو علم يختص بظاهر الكلام ويعتمد المراتب والظواهر الاعرابية اساساً في دراسته ، فانصب اهتمامهم على ذلك واهملوا المعاني ، مع علمهم بصلتها الوثيقة بينهما ، فالحركات الاعرابية دوال على المعاني وتفضي الى اتمامها

وتوضيحها ، كما ان المراتب واختلافها تلعب دوراً في المعاني .

وعلم النحو على هذا يلاحظ تراكيب الكلام وتأثير الحركات الاعرابية عليها ، ويهمل المعاني ، اذن فهي دراسة لجانب واحد من الكلام ، فمثلاً في تقديم الخبر على المبتدأ او المبتدأ على الخبر ، تذكر علة نحوية استناداً الى قاعدة نحوية عامة تقاس عليها كل التراكيب والجمل التي يأتي فيها الخبر مقدماً او مؤخراً ، وهي حالة تنطبق على كل الموضوعات النحوية .

واذا كان ذلك شأن النحو ، فان تراكيب الكلام وما يطرأ عليها من تغيير ، والمعاني المترتبة على ذلك ، يشكل المحور الاساس لعلم المعاني على ان تكون على وفق قوانين النحو ، وهو ما اكّده الجرجاني بقوله : « اعلم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانينه واصوله »[٤٠] اشارة منه الى الصلة الاساسية بين الموضوعين وهي نقطه التماس بينهما ، عليه : فالعلمان متفقان في الاساس مختلفان في المنهج والتطبيق ، فالنحو يتعامل مع التراكيب شواهد نحوية ، تجسد ظواهر اعرابية مختلفة ، والمهم في هذه الشواهد ان تكون صحيحة ومطابقة للقواعد ، وان كانت تراكيب اعتيادية لا تتعدى الاخبار ، في حين ان علم المعاني يعدها تراكيب لغوية تنطوي على اساليب عدة ، تختلف باختلافها ، وهذه الاساليب تمثل الموضوعات النحوية التي درسها الجرجاني في نظريته ، وتقترن بالمعاني بنوعيها ، لهذا فان دراسة علم المعاني للتراكيب ادق واعمق من دراسة النحو لها ، فقد يدرس نص واحد من جوانب عدة ، ويؤدي اغراضاً بلاغية مختلفة فيكون بذلك شاهداً لاساليب بلاغية متنوعة ، وهذه الدقة في التعامل مع النصوص لا تجدها عند النحاة ، وهو ما يشكل خلافاً جوهرياً بين الميدانين

من هنا برزت نقاط الاختلاف والاتفاق بين معاني النحو ومعاني البلاغة ، فالاعراب من تخصص النحو بشكل رئيس وهو مالاصلة له بالبلاغة في حين ان اختلاف المعاني المتصله باختلاف التراكيب والجمل من صلب علم المعاني ، فضلاً عن ذلك فان هذه المعاني تعتمد الى حد كبير على الذوق الادبي اكثر من اعتمادها على القاعدة ، وهو ما يعلل اختلاف العلماء في تحديد بعض المعاني واغراضها ، ومع كل ذلك يبقى (علم المعاني) قريباً من النحو لكونه دراسة تركيبية له صلة باساليب الكلام المستندة الى قوانين النحو ، لهذا طبع بطابع الجفاف - بعض الشيء - وهذا ما يلمسه الدارس لعلم المعاني مقارنة بعلم البيان ، المحور الرئيس لعلم البلاغة ، اذا مااعتبرنا علم البديع تحسيناً عرضياً لا ذاتياً .

ان توخي الدقة في النظم سعياً الى معنى مفهوم ، لم يكن من تخصص علم النحو ، لا سيما بعد فرز العلوم وتخصصها ، ولم تكن له صلة بالبلاغة علماً يبحث عن مواطن الجمال في اللغة والكلام - سيما في الفترة التي ظهر فيها كتاب الجرجاني - بيد ان اهمال النحاة لاراء الجرجاني ، وانشغالهم بالاعراب والعامل النحوي ادى الى ابتعادهم عن جهوده ، فضلاً عن ان نظرية النظم اعتمدت في الكثير من جوانبها على المباحث البلاغية كالكناية والاستعارة والتمثيل وبحثت المعاني التي تؤديها ، وهو المنهج نفسه مع الموضوعات النحوية كالفصل والوصل والتقديم والتأخير والحذف والذكر والاختصاص وغيرها ، والاهم من ذلك هو التوصل الى المعاني الثانية او (معنى المعنى) كما عرفها الجرجاني ، وهو غرض خفي متعذر الا على صاحب الذوق الادبي المرهف لانه « معنى ادبي يتلون بتلون العواطف والاحساسات ، ويؤدي جانبا من الامتاع والتأثير »[٤١] وقد يكون في كل ذلك مسوغات جعلت كفة البلاغة ارجح لاحتضان هذا الموضوع وتبنيه ، وقد كان لها ذلك

العلاقة بين المعاني ومقتضى الحال

يدعو الجرجاني في نظريته الى ترسيخ اسس النظم اي نظم الكلام وذلك بتطبيق قواعد النحو اولاً وترتيب الالفاظ وفق تلك القواعد بشكل نستطيع معه التماس معانيه المتعددة ثانياً ، فالجملة تتألف من ركنين اساسيين هما : المسند والمسند اليه فهي اما : مبتدأ او خبر ، او فعل وفاعل او صفة وموصوف او معطوف ومعطوف عليه ، والترتيب فيما بينها يؤدي الى الوضوح والافهام ، ولكن قد يقتضي المقام عدولاً عن هذه القواعد ، فيقدم ما حقه التاخير في المرتبة ، كتقديم الفاعل او المفعول به او الجار والمجرور او الخبر ، او غير ذلك مما يقتضيه السياق ، يفضي الى امرين :

الاول : ظهور معانٍ جديدة لا تظهر الا بهذه المخالفة كالتخصيص او القصر .

الثاني : تجنب ما يسمى (باللبس) عند النحويين ، فقد يلتبس على القارىء التمييز بين المسند والمسند اليه مما يؤدي الى الفهم الخاطىء للمعنى ، لهذا يُخالف مقام الالفاظ تجنباً لذلك ، وتعرف هذه الظاهره عند البلاغيين بـ(مراعاة مقتضى الحال) ، لان لها صلة بالمخاطب والسامع ، ومدى استيعابهم وفهمهم للكلام ، وهي تعني مراعاة المستوى الذهني والثقافي عند مخاطبتهم ، بيد ان ذلك لا يعني بالضرورة اقامة الخطأ اللغوي لتحقيق ذلك .

لقد كانت هذه المراعاة لمقتضى الحال . مقياس البلاغة عند البلاغيين ، بل ان هذا التعريف الخاص بعلم المعاني ، كان في يوم ما ، تعريفاً للبلاغة ، وهو ايضاً مفهوم البلاغة عند العرب قبل ظهور العلوم وتخصصها ، فمقياس البلاغة عندهم هو توصيل المعنى الى فهم السامع مع التأثير فيه بغض النظر عن الاسلوب المتبع في ذلك ، لانه هو الذي يحدد هذا الأسلوب ، بلاغياً كان او عامياً طبقاً لقاعدة ، مراعاة مقتضى الحال .

والجدير بالاشارة ، ان السكاكي هو اول من اطلق هذه التسمية عند تعريفه لعلم المعاني ، وهو بذلك التعريف ينطلق من قاعدة لغوية عريضة تتعلق باساليب التعبير فيها ، اذ ان تقسيمات علم المعاني هي في الاصل اساليب غايتها الدقة في التعبير ، بل ان

موضوع الفصل والوصل ، كان تعريفاً خاصاً بالبلاغة ، مما يعكس الصلة بين المعاني ومقتضى ظاهر الحال الذي هو باب من ابواب البلاغة .

[illegible]

من المعلوم ان القرآن الكريم كتاب مقدس ، هدفه الأساسي في ماتناوله ديني وانه نزل بلسان عربي مبين فحمل معه كل ما امتازت به هذه اللغة الكريمة من خصائص ، والمعاني الثانية احدى اهم هذه الخصائص التي انمازت بها اجزاء واسعة منه .

تقسم المعاني في القرآن الكريم الى ممان ظاهرة يدل عليها الوضع اللغوي ، ومعان خفية تقترن غالبا بالجوانب الدينية لا سيما اسباب النزول ، وتمثل الاغراض البلاغية المعول عليها في السياقات القرآنية ونماذج هذه المعاني كثيرة ومتعددة ، تستدعيها ظروف القول ومناسبات الموقف ، منها ما يمكن الاستدلال بها من نسق النظم ومنها ما تقتضي [٤٢] التامل والتدبر من مثل قوله تعالى : (اياك نعبد واياك نستعين)

فقد افاد التقديم والتاخير معنى (التخصيص) لان تقديم المفعول به على الفاعل قصر العبادة على الله تعالى وليس غيره ، ولو لم يكن هذا الترتيب من النظم لا نتفى ذلك التخصيص ، وادى توالي النون في نعبد ونستعين الى ظهور صورة بلاغية اخرى هي ظاهرة (السجع) الذي سماه ابن الاثير بمراعاة حسن النظم ، والنص الكريم بعد ذلك خبر مجازي يُفيد الدعاء ، فالفعلان (نعبد ونستعين) يدلان على الدعاء ، والمعنى اعنا على عبادتك ، وحقق الواو في النص الاتصال بين الجملتين الاولى والثانية لانهما خبريتان .

ولقد لفت الجرجاني الى اهمية هذه المعاني وبين تاثيرها في النفس اذا ما كشفت عنها وبلغت اغوارها كما اشار الى ان خلو الكلام منها يجعلها خاليةً من المزايا ، مستشهداً بآيات من القرآن الكريم لتوضيح ذلك ، فقال : « واعلم انه اذا كان بيناً في الشيء أنه لا يتحمل الا الوجه الذي هو عليه حتى لا يشكل ، وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه وانه الصواب الى فكر ورويةٍ ، فلامزية ، وإنما تكون المزية ويجب الفضل اذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر ، ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الاخر ، ورأيت للذي جاء عليه حسناً وقبولاً تعدمهما اذا انت تركته الى الثاني ، ومثال ذلك قوله تعالى : (وجعلوا لله شركاء الجن)[٤٣] ليس بخاف ان لتقديم (الشركاء) حسناً وروعة وماخذاً من القلوب انت لا تجد شيئاً منه ان انت اخرت فقلت : (وجعلوا الجن شركاء لله) وانك ترى ، حالك حال من نقل عن الصورة المبهمة والمنظر الرائق والحسن الباهر ، الى الشيء الغفل الذي لا تحلى منه بكثير طائل ولا تصير النفس به الى حاصل ، والسبب في ان كان ذلك كذلك ، هو ان للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلاً لا سبيل اليه مع التاخير ، بيانه ، أنا وان كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى ، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم ، فان تقديم (الشركاء) يفيد هذا المعنى ، ويفيد معه معنى آخر ، وهو انه ما كان ينبغي ان يكون لله شريك لا من الجن ، ولا غير الجن ، واذا أخر فقيل : (جعلوا الجن شركاء الله) لم يفد ذلك ولم يكن فيه شيء اكثر من الاخبار عنهم بانهم عبدوا الجن مع الله تعالى »[٤٤]

ومن نماذج المعاني الثانية في القرآن الكريم ، الاغراض المجازية التي تخرج اليها النصوص القرانية ، لا سيما اساليب الخبر والانشاء تحقيقاً لاهداف بلاغية مقصودة في السياق كقوله تعالى : (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)[٤٥] فثمة غرض مجازي يكشف عنه السياق ، وان بدا الاستفهام واضحاً ، لان القول السابق على لسان اهل النار وهم يطلبون امراً غير ممكن الحصول ، وقوله تعالى : (فاتوا بسورة من مثله)[٤٦] ، فالامر هنا وان كان حقيقاً الا انه ورد في سياق التعجيز للكافرين في تحقيق هذا الامر ، وعلى هذا فالغرض في المثال الاول هو التمني ، وفي الثاني التعجيز وهما يمثلان المعاني الثانية فيهما .

والجدير بالملاحظة ، اختلاف البلاغيين في تحديد هذه الاغراض لانها تعتمد الذوق مقياساً في تحديدها .

ويمثل الجانب النفسي صورة من صور المعاني الثانية في القرآن الكريم ، فقد توجه هذا الكتاب العظيم الى النفس الانسانية فخاطبها وحرك مشاعرها ولمس احاسيسها من جوانب عدة ، ولقد حظيت المرأة بالجانب الاكبر من هذه الرعاية ، فكان لخطابها اسلوب خاص لا سيما في مواضع الامر والنهي ، كقوله تعالى : (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين)[٤٧]

والنص الكريم صريح في طلبه من الام المرضع ، فهو خطاب لها بالتزام مدة محددة في رضاعة ولدها ، وقد حقق اسلوب الخبر المجازي المؤدي في سياق الامر الحقيقي ذلك ، الا انه لم يكن امراً مباشراً ، ولا شك في ان مراعاة الجانب النفسي للمرأة هو المسوغ لهذا الاسلوب ، لان الامر المباشر ، قد يولد صعوبة ومشقة في تنفيذه وقد يؤدي الالزام الى الاعراض والتلكؤ لهذا اكتفى السياق بخطاب غير مباشر اكراماً لمشاعر الام ومراعاة لها لما عرف عنها من الرقة ورهافة الحس ، وفي هذه المراعاة تكمن المعاني الثانية ، في النص الكريم ، ولا يختلف عنه في ذلك قوله تعالى : (والمطلقات يتربصن)[٤٨]

ان المعاني الثانية في القرآن الكريم متعددة تتلون بين الاساليب والتراكيب والسياقات القرآنية والجوانب الدينية والتاثيرات النفسية وتكمن بلاغتها في انها تتعلق بنظم محكم واسلوب بليغ ، وغرض نبيل ، واذا اضفنا الى ذلك اهمال النحاة لجانب المعاني ، وتركيزهم على العامل النحوي والوقوف عند اواخر الكلم ، لعلمنا بوضوح اسباب استقرار هذا العلم في ميدان البلاغة ، ولولا ذلك لضاع هذا العلم بين طيات الكتب ولما اضحى علماً مستقلاً له اسسه وقوانينه ومناهجه التي وضعها علماء اجلاء ، في مقدمتهم شيخ النحاة سيبويه ، وشيخ البلاغيين الجرجاني ، وهو ما يكفيها شرفاً ويزيدها نُبلاً بين علوم العربية .

الهوامش

(١) سيبويه : ١ / ٢٥
٢ - ٣ - ٤ - ٥ : سيبويه : ١ / ٢٥
٦ - مقدمة معاني القرآن : / ١١
٧ - أشتقاق اسماء الله : ٢٩٥
٨ - المصدر نفسه
٩ - البقرة : ٢٠٨
١٠ - محمد : ٣٥
١١ - النساء : ٩١
١٢ - الفرقان : ٦٣
١٣ - معاني القرآن للاخفش : ١ / ١٦٧
١٤ - البيان والتبيين : ١ / ١٥٥
١٥ - النساء : ١٦٣
١٦ - مريم : ١١
١٧ - النحل : ٦٨
١٨ - الشورى : ٥١
١٩ - الزلزلة : ٥
٢٠ - تاويل مشكل القرآن / ١٢٣
٢١ - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ٢٤
٢٢ - الصناعتين : ٧٥
٢٣ - الصاحبي في فقه اللغة : ١٦٩
٢٤ - اعجاز القرآن : ٣٥
٢٥ - المغني في ابواب التوحيد والعدل : ١٦ / ١٩٩
٢٦ - نفسه : ٣٨٧
٢٧ - دلائل الاعجاز : ٤
٢٨ - نفسه : ٨١
٢٩ - نفسه : ٢٦٢
٣٠ - دلائل الاعجاز : ٢٦٣
٣١ - نفسه : ٤١٠
٣٢ - دلائل الاعجاز : ٤١٠
٣٣ - نفسه : ٥٢
٣٤ - مفتاح العلوم : ٧٧
٣٥ - ينظر منهاج البلغاء : ٢٣
٣٦ - منهاج البلغاء : ٢٤
٣٧ - نفسه : ١٧٢
٣٨ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ١ / ١٤
٣٩ - مفتاح العلوم للسكاكي : ٧٧
٤٠ - دلائل الاعجاز : ٨١
٤١ - المعاني الثانية في اسلوب القرآن الكريم : ١٤١
٤٢ - الفاتحة : ٥
٤٣ - الانعام : ١٠٠
٤٤ - دلائل الاعجاز / ٢٨٦
٤٥ - الاعراف : ٥٣
٤٦ - البقرة : ٢٣
٤٧ - البقرة : ٢٣٣
٤٨ - البقرة : ٢٢٨

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ اشتقاق اسماء الله / الزجاجي ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق / تحقيق عبد الحسين المبارك / مطبعة النعمان / النجف ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤
٣ ـ اعجاز القرآن / الباقلاني / ابو بكر محمد بن الطيب ، تحقيق احمد صقر ، دار المعارف مصر
٤ ـ الايضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني / تحقيق لجنة اساتذة العربية بالازهر
٥ ـ البيان والتبيين ، الجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون / القاهرة ، ١٣٩٧ ـ ١٩٤٨
٦ ـ تأويل مشكل القرآن / ابن قتيبة الدينوري / شرح وتحقيق احمد صقر دار احياء الكتب العربية / عيسى البابي الحلبي وشركاه
٧ ـ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن / الخطابي والرماني والجرجاني / تحقيق محمد خلف الله احمد / ومحمد زغلول سلام / دار المعارف بمصر
٨ ـ شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك / قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني ت (٧٦٩ هـ) ط٢٠ / ١٩٨٠ مطابع المختار الاسلامي
٩ ـ الحيوان / للجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر / تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٣٥٦ / ١٩٣٨
١٠ ـ دلائل الاعجاز / الجرجاني / ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن / قراءة وتعليق محمود محمد شاكر / مطبعة المدني / مصر .
١١ ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها / احمد بن فارس تحقيق مصطفى الشويمي / بيروت ١٣٨٣ ـ ١٩٦٤
١٢ ـ الصناعتين الكتابة والشعر / ابو هلال العسكري / تحقيق علي محمد بجاوي محمد ابو الفضل ابراهيم / مطبعة عيسى البابي وشركاه .
١٣ ـ الكتاب / سيبويه / تحقيق عبد السلام هارون / مطبعة دار القلم ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦
١٤ ـ المعاني الثانية في اسلوب القرآن الكريم / د . فتحي احمد عامر / مطبعة اطلس القاهرة
١٥ ـ معاني القرآن / الفراء / تحقيق احمد يوسف ومحمد علي النجار / مطبعة دار الكتب المصرية

قولوا للشهداء ان دماءهم لن تذهب سدى . دماؤهم في ثورة العشرين خضرت ثورة تموز العظيمة في ١٩٦٨ ، دماؤهم في ثورة العشرين خضرت كُلّ المنجزات العظيمة التي قدمتها ثورة تموز ، ودماؤهم الطاهرة مثل ما هي دماء كل الشهداء التي سفكت على أرض العراق لكي تعطر تربته الزكية خضرت علماً عالياً بسارية عالية هو علم الثورة ... علم المنجزات العظيمة ... علم شعب العراق العظيم الذي اصبح اليوم يلعب دوراً في خدمة الأمة العربية وليس في خدمة مبادىء ثورة تموز على أرض العراق فقط .

الرئيس القائد
صـــدام حســين



ثورة العشرين

وأهميتها في ضوء أصدائها الخارجية

كمال مظهر
كلية التربية - جامعة بغداد

تعد الاصداء الخارجية لاي حدث تاريخي مقياساً معتبراً لتحديد وزنه وأهميته . الكل تقريباً يعرفون شيئاً ما عن الثورة الفرنسية الكبرى في أواخر القرن الثامن عشر ، بينما الامر ليس هكذا مع الثورة الانجليزية في اواسط القرن السابع عشر ، مما يعكس واقع حجم الحدثين المهمين ، وإفرازات كل منهما على الصعيدين الداخلي والخارجي .

وهكذا الحال أيضاً مع جميع الاحداث التاريخية المهمة الاخرى بغض النظر عن الزمان والمكان .

كانت ثورة العشرين العراقية تمثل واحدة من أقوى الضربات التي وجهت الى الاستعمار البريطاني في المرحلة المبكرة ، الحافلة بالاحداث الثورية ، التي أتبعت إنتهاء الحرب العالمية الاولى . لانها تفوق جميع نظيراتها في الشرق الاوسط ، بما في ذلك الانتفاضة المصرية بقيادة سعد زغلول ، والثورة السورية ، والحركات الثورية في ايران ، بل وحتى الحركة الكمالية في تركيا ، من حيث حجم الخسائر البشرية والمادية التي ألحقتها بالبريطانيين ، ومن حيث زخم الثورة نفسها ، وضحايا الثوار . فأن العديد من المصادر الموثقة والدراسات الاجنبية تقدر عدد الثوار باكثر من (١٣٠) الف شخص ممن حملوا السلاح فعلًا بوجه المحتل البريطاني على مدى خمسة اشهر ونيف[١] بلغت خسائرهم حسب التقديرات البريطانية (٨٤٥٠) شخصاً مابين قتيل وجريح[٢] ، فيما بلغ عدد قطع السلاح التي صادرتها السلطات العسكرية البريطانية من الاهالي ما لا يقل عن ستين ألف قطعة[٣] .

اما خسائر البريطانيين البشرية فانها بلغت ، حسب مصادرهم الموثقة ، (٢٢٦٩) شخصاً ما بين قتيل وجريح ومفقود وأسير ، بينهم العشرات من الضباط البريطانيين والهنود[٤] ، فيما قدر اكثر من مصدر خسائر الخزينة البريطانية المالية بسبب الثورة بما لا يقل عن مائة مليون باون استرليني[٥] ، مما يُعد مبلغاً ضخماً حسب القوة الشرائية السائدة يومذاك ، وعبئاً ثقيلاً جداً في ظروف ما بعد الحرب العالمية الاولى عندما كان الاقتصاد البريطاني يعاني من ازمة خانقة وديون امريكية ثقيلة . وفي الواقع لا يصح حصر خسائر البريطانيين المالية بما صرفوه مباشرة في صيف وخريف ١٩٢٠ للقضاء على ثورة العشرين ، ذلك لان آثار الثورة فرضت عليهم ان يحتفظوا بقوات كبيرة داخل العراق لمدة اضافية غير قصيرة ، مما تحول الى عبء آخر على كاهل خزينة الدولة المرهقة ، فان كلفة تلك القوات ، مثلاً بلغت في العام الذي أتبع الثورة ما لا يقل عن واحد وعشرين مليون باون[٦] ، خصوصاً وان حرب العصابات ضد القوات البريطانية لم تتوقف في العديد من المناطق العراقية ، فلم يمض سوى وقت قصير على توزيع « مجلس الجيش » برقية تهنئة خاصة لمناسبة « إنتهاء حركات الثورة القائمة » حتى أعلنت صحيفة « تايمس » في لندن في عددها الصادر يوم الثامن من تشرين الثاني عام ١٩٢٠ عن إعتقال حوالي (٨٠٠) شخص في منطقة بالقرب من الحلة بتهمة اشتراكهم في عمليات جديدة معادية للوجود البريطاني .

يكمن في هذا ، فضلاً عن طبيعة الثورة نفسها واهدافها ، احد الاسباب الجوهرية للصدى المتميز الذي احدثته ثورة العشرين العراقية على الصعيد الخارجي ، وبشكل لم يسبقه مثيل طوال تاريخ العراق الحديث . وكان أمراً طبيعياً أنْ يتردد ذلك الصدى اولاً داخل اروقة صنع القرار ، ولدى الرأي العام في لندن ، مما انعكس في الآف الوثائق والتقارير السرية التي دونها مسؤولو وزارات المستعمرات والطيران والخارجية ، وهي طافحة بأندر المعلومات وأدقها عن مقدمات الثورة وأسبابها ووقائعها ونتائجها ، كما انعكس ، أيضاً ، في اهتمام الصحفيين والبرلمانيين البريطانيين الاستثنائي باحداث الثورة وأنبائها . ويجد المتتبع الشيء نفسه في مؤلفات المسؤولين البريطانيين في العراق الذين عاصروا الثورة ، وأدوا دوراً مباشراً في قمعها ، ومن ابرزهم ارنولد ولسن الحاكم المدني البريطاني العام وكالة في العراق ، وهالدين قائد القوات البريطانية في العراق ، والمس بيل السكرتيرة الشرقية للمندوب السامي البريطاني ، ودكسن الضابط السياسي البريطاني في سوق الشيوخ ، والضابط السياسي البريطاني في اربيل أيام الثورة وغيرهم ممن دفعوا مؤلفاتهم الى دور النشر بعد مرور مدة وجيزة على انتهاء الثورة .

تصدت معظم الصحف البريطانية المعروفة الصادرة في صيف وخريف ١٩٢٠ الى موضوع الثورة ووقائعها ، وانعكاساتها المباشرة على الساحة السياسية في البلاد ، وساد النقد اللاذع لهجة معظمها بسبب زخم الاحداث وتطوراتها السريعة في ميادين الثورة العراقية – ولقد بلغ الامر بصحيفة « تايمس » المعروفة ان وصمت ، في عددها الصادر يوم السابع من اب ١٩٢٠ ، سياسة حكومة لويد جورج « تجاه بلاد ما بين النهرين » بالغباء ، وطالبت باعادة النظر فيها . وذهبت بعض الصحف الانجليزية الى حد ابعد من ذلك عندما طالبت ، تحت تاثير ضربة الثورة العراقية ، بتغيير مجمل السياسة البريطانية في الشرق الاوسط[٧] .

وفي السياق ذاته كتبت صحيفة « اويزيرفر » الواسعة الانتشار في عددها الصادر يوم الثالث والعشرين من شهر آب عام ١٩٢٠ أن من المضحك : « التفكير في أن واجبنا الاساس هو فرض قوانيننا على شعب بين لنا بوضوح تام انه ليس بحاجة لها » .

وجاء ابلغ تعبير حول الموضوع نفسه على لسان صحيفة « سندي تايمس » التي ذكرت في عددها الصادر في اليوم ذاته ، اي في الثالث والعشرين من آب ، مانصه :

« أو ليس من الافضل لنا ان نعترف بفشلنا ، ونكف عن التدخل في حياة ثلاثة ملايين عربي يودون شيئاً واحداً فقط الا وهو التمتع بامكانات تسمح لهم بان يصبحوا سادة مصيرهم ! ان روما لم تضمحل عندما تنازل ادريانوس عن فتوحات ترايانوس » .

وتكمن في هذا التشبيه الذكي بلاغة الصحيفة ، فمن المعروف ان امبراطور روما ترايانوس قد حقق خلال مدة حكمه (٩٨ - ١١٧ م) فتوحات واسعة امتدت الى مناطق شرقية مختلفة ، الا ان خلفه الامبراطور ادريانوس (١١٧ - ١٣٨ م) تنازل عن ممتلكات الامبراطورية في الشرق وذلك بسبب عدم توفر الامكانات الضرورية التي تتيح له الحفاظ على تلك المناطق .

اثارت احداث الثورة العراقية ، وموقف الرأي العام البريطاني ، نقاشاً عاصفاً داخل اروقة مجلس العموم ، خصوصاً وان المعارضة حاولت ان تستغل الامر بوصفه فرصة مواتية للنيل من رئيس الوزراء لويد جورج وحكومته . وكان رئيس الوزراء السابق اسكويث[٨] اشد المعارضين تحمساً لاستغلال ما وصفه « بالفشل البريطاني في بلاد ما بين النهرين » بسبب « مغامرة لويد جورج وجرجل »[٩] . والغريب ان اسكويث ، وغيره من المعارضين ، طالبوا صراحة بترك ولايتي الموصل وبغداد لشانهما والاحتفاظ بولاية البصرة وحدها وذلك بعدما ان بذلت القوات البريطانية في سنوات الحرب ، ومنذ عهد اسكويث نفسه ، المستحيل من اجل احتلالهما .

حاول رئيس الوزراء ووزير المستعمرات البريطانيين احتواء المعارضة عن طريق النيل من الثورة العراقية بوصفها ، كما ذكرا ،

« ظاهرة عابرة » نجمت عن تحرك « عشائر بدوية متفرقة » في الامكان « ردعها بسهولة » . وفي تعليق لمجلة « الشرق الجديد » السوفيتية[10] على ذلك ، مما يؤشر بدوره واقع اصداء الثورة العراقية ، وردت الملاحظة الدقيقة الاتية :

« انهم (البريطانيون) يجهدون انفسهم في البحث عن اسباب الثورة العراقية[11] والمسؤولين عن وقوعها . لكنهم لا يجدون تلك واولئك ، بالطبع ، حيثما يجب ان يجدونها ويجدوهم » .

فهم « يرون اسباب الثورة[12] في تأخير توقيع معاهدة الصلح[13] مع تركيا » وفي رد الفعل العفوي « بين السكان المتخلفين ضد الانظمة البريطانية » ، دون ان يراودهم « سبب واحد » وهو انهم « ظهروا في بلا ما بين النهرين محتلين قساة ، يحاولون دون هوادة « إستغلال البلاد باستهتار ، مبعدين باساليبهم الكولونيالية الصرفة كل فئات الشعب عن انفسهم »[14] .

لم يقتصر الاهتمام باحداث ثورة العشرين ونتائجها على البريطانيين وحدهم . فان الفرنسيين ، مثلا ، لم يولوا وقائعها وافرازاتها المتوقعة اهتماماً قليلًا . ففي القسم الخاص بـ« بلاد ما بين النهرين » في « دار سجلات وزارة الخارجية الفرنسية » توجد ثلاثة ملفات ضخمة تحمل الارقام ١٥ و ١٦ و ١٧ تتعلق وثائقها باحداث العراق وتطوراتها خلال صيف وخريف عام ١٩٢٠[15] والتي تضم حتماً معلومات مهمة بوسعها القاء اضواء جديدة على وقائع الثورة وظروف انفجارها . ولمجرد الاستدلال نشير الى فقرات قليلة وردت في تقرير مفصل اعده الاب لويس مارتن « رئيس البعثة الكرملية في بلاد ما بين النهرين » خصيصاً للقنصل الفرنسي في بغداد شوفيبه (Chauve) عن بعض وقائع الثورة في الديوانية وديالى ، والذي بعثه القنصل في الرابع والعشرين من اب ١٩٢٠ الى شخص وزير خارجية بلاده . يقول التقرير بخصوص الوقائع تلك ما نصه :

« جاءت التعزيزات البريطانية (الى منطقة الديوانية) ... فبدأت حرب ضروس لم تحترم فيها النساء ولا الاطفال ، وإنتهكت حرمة الدور ... كانت القوات البريطانية تدمر كل شيء تصادفه في طريقها لتبدو وكأنها لا تحترم اي قانون ... ان قوانين الحرب وضعت جانباً ، فان ما يجري هنا حرب لا شفقة فيها ، حرب تستخدم فيها جميع الاساليب من اجل القتل والتدمير . ويظهر ان هذا هو خط سلوك الانجليز الذين مارسوه في بعقوبة ايضاً عندما قصفوها ، وصبوا نيرانهم على بساتينها . يدعي الانجليز انهم لجأوا الى هذا العمل بسبب اختفاء العرب داخل البساتين ، الا ان اصحابها يؤكدون ان قذائف المدفعية وقنابل الطائرات استهدفت تدمير البساتين لارغام الناس على الرضوخ للسياسة البريطانية » .

بعد ذلك يتوصل كاتب التقرير الى استنتاج مهم مفاده « ان سلطات الاحتلال غدت ، في الواقع ، في حالة حنق لأنها ، بعد ان ظلت تؤكد على مدى سنوات ، وبشتى الاساليب على ولاء العرب وحبهم لها اذ بالوقائع تكذبهم بصورة قاطعة لا يمكن دحضها ابداً »[16] .

لا جدال في ان بوسع المؤرخ ان يعزز آراءه عن اسلوب تعامل البريطانيين مع العراقيين ايام الثورة بصورة موضوعية ، غير عاطفية ومقنعة من خلال استناده الى مثل هذه الوثائق الصادرة عن طرف ثالث ، شرط ان يأخذ بنظر الاعتبار ، في الوقت ذاته ، الصراع البريطاني – الفرنسي المعروف على النفوذ في المستعمرات .

ومما له مغزاه أيضاً ان اللجنة التحضيرية لاعمال « مؤتمر شعوب الشرق الاول » الذي تقرر عقده بمدينة باكو في ايلول عام ١٩٢٠[17] اكدت في وثائقها وادبياتها التي اصدرتها قبيل نشوب الثورة العراقية ، على « شعوب تركيا وايران والقفقاس » بالدرجة الرئيسة ، فيما تغير موقفها كثيراً مع انفجار ثورة العشرين وانتشار انبائها على الصعيد العالمي ، اذ بدأت تولي بقية شعوب الشرق الاوسط ، ولا سيما العرب ، اهتماماً اكبر ، وانعكس اسم « بلاد ما بين النهرين » وموضوع « نضال فلاحيها » ضد البريطانيين ، ونهب « المستعمرين لثروات » العراق في كلمات الخطباء . واحتل موضوع الثورة نفسها مكانة خاصة في اهم وثيقة اصدرها المؤتمر ، كما افرد راديك ، احد ابرز وجوه المؤتمر ، جزءاً من تقريره المعنون « الوضع الدولي ومهام الجماهير الكادحة في الشرق » للحديث عن سياسة الانجليز تجاه العراق تحديداً[18] .

تركت ثورة العشرين ، دون شك ، صدى اكبر من ذلك على الصعيد الاقليمي ، مما تجاوز الاقطار العربية ليشمل ايضاً كلا من تركيا وايران بقوة ، خصوصاً وان شعبي البلدين المجاورين كانا يعانيان يومذاك من العدو نفسه . ومن المفيد ان نشير بهذا الصدد الى ان صحيفة « الفرات » النجفية الناطقة باسم الثورة تحدثت عن الحركة الكمالية في تركيا التي بلغت ذروتها ايام الثورة العراقية[19] . اما بالنسبة لايران فيكفي ان نشير الى ان البريطانيين اضطروا ، تحت ضغط الثوار العراقيين ، الى نقل ما بين (١٤) الى (١٧) ألفاً من قواتهم الموجودة داخل الاراضي الايرانية الى العراق . يقول المستعرب ل . ن . كاتلوف عن ذلك في اطروحته للدكتوراه التي كرّسها لدراسة موضوع ثورة العشرين ، ما نصه :

« ان نقل تلك القوات اضعف موقف الاستعمار الانجليزي في ايران ، وسهل الى حد كبير نضال الشعب الايراني ضد التدخل الانجليزي في شؤون ايران ، ولا سيما ضد المعاهدة الانجلو – الايرانية الجائرة للعام ١٩١٩ »[20] . لهذا لاغرو ان تحدثت الصحافة الايرانية المركزية والاقليمة باسهاب عن تطورات الثورة العراقية ، بحيث غدت مادتها مصدراً مهماً لبعض الدراسات الاجنبية المبكرة عن الثورة[21] .

تؤشر اصداء ثورة العشرين العراقية الواسعة على الصعد

الثلاثة – العربي ، والاقليمي ، والعالمي اهمية تلك الصفحة المتميزة في تأريخ العراق المعاصر ، الموضوع الذي يستحق متابعة اكاديمية جادة ، فبالامكان تكريس رسائل جامعية خاصة لدراسة موضوعات من قبيل « ثورة العشرين في الصحافة العربية » ، و « ثورة العشرين في الصحافة البريطانية » ، و « ثورة العشرين في الصحافة التركية والايرانية » ، و « ثورة العشرين في الوثائق البريطانية » ، و « ثورة العشرين في الوثائق الفرنسية » وغيرها من الموضوعات التي من شأنها القاء اضواء جديدة على احداث الثورة ونتائجها من جميع الاوجه ، وبما يساعد على تجاوز الاسلوب التقليدي في دراسة الثورة وحصرها في نطاق داخلي صرف – ومن المفيد ان نشير ، بهذا الخصوص ، الى ان صاحب هذا البحث كرّس قبل اكثر من عشرين سنة كتاباً مستقلًا للبحث فقط في موضوع « ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي » .

الهوامش

(1) L . N . Kotlov , Natsionalno – Osvoboditelnoe Vossta-niell 1920 goda Vyrake , moscow , 1958 , P . 192 .

(٢) الفريق السر المرهولدين ، ثورة العراق ١٩٢٠ ، نقله الى العربية فؤاد جميل ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ٣٩٢ – ٣٩٣ .

(3) H . A . Foster , The Making of Modern Iraq . A product of World Forces , Norman , University of Oklahoma Press , 1935 , P . 83 .

(٤) الفريق السر المرهولدين ، المصدر السابق ، ص ٣٩٢ .

(5) S . H . Longrigg , Iraq 1900 – 1950 . A political , Social and economic history , London , 1953 , P . 273 , أ . م .

مينتيشاشفيللي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة الدكتور هاشم صالح التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١٦٩ (في النص الروسي : موسكو ، ١٩٦٩ ، ص ١٠٠ – ١٠١) .

(6) B . M .Dantsig , Irak V proshlom i nastoyashem , Moscow , 1960 , P . 24 .

(٧) للتفصيل عن ذلك يمكن الرجوع الى : الدكتور فاروق صالح العمر ، حول السياسة البريطانية في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١ ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٨٨ – ٨٩ .

(٨) إستقال اسكويث زعيم « حزب الاحرار » من رئاسة الوزارة في العام ١٩١٦ وخلفه في الحكم منافسه لويد جورج .

(٩) كان ونستن چرچل يشغل حقيبة البحرية في وزارة لويد جورج أثناء الحرب ، وبعد انتهائها بمدة عهدت اليه حقيبة المستعمرات نظراً لاهميتها .

(١٠) من اولى مجلات الاستشراق السوفيتي ، كانت تصدر على شكل كتب ضخمة يتجاوز عدد صفحات الواحد منها السبعمائة صفحة ، صدر العدد الاول منها في العام ١٩٢٢ ، والعدد الاخير التاسع والعشرين في العام ١٩٣٠ ، نشرت اول دراسة علمية عن « ثورة العشرين » في عددها الثاني سنة ١٩٢٢ .

(١١) و (١٢) في النص : الانتفاضة .

(١٣) يقصدون معاهدة سيفر التي وقعت في العاشر من آب سنة ١٩٢٠ بوصفها واحدة من معاهدات الصلح التي وقعت بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى .

(14) « Novi Vostok » , Moscow , Kn – II , 1922 , PP – 242 – 243

(١٥) .. تحتفظ « مركز دراسات الخليج العربي » بجامعة البصرة بنسخة مصورة من الملفات المذكورة .

(١٦) سجلات وزارة الخارجية الفرنسية : Direction Politique et Commercial , E 314 , Ame'e , No . 24 . VIII . 1920 .

(١٧) بدأ المؤتمر أعماله في مدينة باكو الاذربيجانية يوم الاول من أيلول سنة ١٩٢٠ ، حضره اكثر من الفي مندوب مثلوا مختلف شعوب الشرق ، فضلًا عن عدد من الكتاب والصحفيين المعروفين . مثل العرب في المؤتمر ستة مندوبين من مصر ، وسوريا ، وفلسطين وشبه الجزيرة العربية . استمرت اعمال المؤتمر على مدى اسبوع كامل .

(١٨) للتفصيل عن ذلك ، وعن المؤتمر عموماً يمكن الرجوع الى مجلة « آفاق عربية » ، بغداد ، العدد الثاني عشر ، آب ١٩٧٦ ، كمال مظهر ، اضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١٩٦ – ٢٣٩ .

(١٩) « الفرات » ، النجف ، العدد الثاني ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨ ، ١٤ آب ١٩٢٠ .

(20) L . N . Kotlov , Op – Cit – , P . 192

(٢١) عن ذلك ينظر : كمال مظهر ، ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٣٥ (الهامش رقم ٦٦) .

ركاب الشعر في ثورة العشرين

د . محمد حسن علي مجيد
كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

مدخل :

العراق بعد الاحتلال الانكليزي وقبيل ثورة العشرين :-

قيل : (لايكفي وجود الظلم لقيام الثورات إنما لابد من الاحساس بثقل الظلم ومرارته لقيامها) .. وهذا ما يفسر الهدوء النسبي في الحياة السياسية في العراق في القرن التاسع عشر ، ومطلع القرن العشرين . ولكن عندما نزلت القوات البريطانية في العراق خلال الحرب الاولى ، واحتلاله ، واخلافهم وعودهم في منح العراقيين استقلالهم ، وحريتهم ، وممارسة سياسة تعسفية شعر العراقيون بالظلم ، وانكشفت أكاذيب الانكليز كان ذلك حافزاً لأن يواصل العراقيون نضالهم في سبيل حريتهم ، وتصميمهم على طرد هؤلاء الدخلاء الجدد من العراق ، ولأن الثورة السياسية لا تأتي وليدة ساعتها أو يومها بل نتيجة عوامل متعددة تمهد لقيامها .. وهكذا كانت ثورة العشرين .

ومن الطبيعي ـ أن دراسة أدبية تتناول الشعر في موضوع كبير وحادث ضخم مثل ثورة العشرين ليست أمراً سهلاً يحيط بكل أحداثها وكل الشعر الذي قيل فيها ، وان هذا البحث ليس به حاجة الى الحديث عن الجوانب السياسية والتاريخية لهذه الثورة وقد لا تضيف جديداً الى ما ذكره الكتّاب والمؤرخون ، انما قد يكون مفيداً متابعة بعض أحداث الثورة ومواقعها التي جرت فيها . لنرى موكب الشعر وننظر الى الاعلام التي رُفعت فيها ، وهو يحدو الثورة ويهزج لها ، ويمجد أبطالها .

ففي تشرين الثاني من عام ١٩١٤ نزلت طلائع القوات البريطانية في أرض الفاو . وواصلوا زحفهم صعوداً ، وعلى الرغم من المعارك الطاحنة التي خاضوها ، والمقاومة العنيفة التي واجهوها ، والخسائر الجسيمة التي تكبدوها ، وصلوا الى بغداد في آذار من سنة ١٩١٧ بعد أن خرج منها آخر جندي تركي ، ثم زحفت تلك القوات على بعض المدن العراقية التي كانت قد ألفت حكومات محلية أواخر ايام الحكم التركي كالنجف وكربلاء والحلة ، وبعد ان استقرت لهم الامور صاروا يحاولون التقرب من رؤساء الاسر ، وشيوخ العشائر ، واستمالتهم ، ولكنهم لم يفلحوا في تحقيق هدفهم في مهادنة المحتلين ، على الرغم من انهم تمكنوا من اغراء بعض أهل المطامع ، وبعض الشعراء من السير في ركابهم ، ممن لم يحصلوا على مكاسب في العهد التركي أو على مناصب لهم ، او انهم طمعوا فيما كان يبذل الانكليز من اموال فتقربوا اليهم زلفى ، ولكن اغلبية الشعب العراقي ومعهم رؤساء القبائل ورجال الدين بقوا في موقفهم من رفض الاحتلال ، او الخضوع لسلطة اجنبية جديدة .

كما لم تجز عليهم خدعة الاستفتاء عام ١٩١٨ ، بالسؤال عما اذا كان العراقيون يرغبون بالبقاء تحت الحكم البريطاني او الاستقلال ، فاختار العراقيون الاستقلال التام الناجز ، وقد ثارت بعض المدن في وجه الاحتلال ، كثورة النجف في آذار ١٩١٨ ، وفيها قُتل حاكم النجف الانكليزي وبعض اعوانه ، التي ادت الى حصار النجف أياماً عديدة اجتاحتها القوات الانكليزية بعد ذلك ، وقبضت على زعماء الثورة فيها ، واعدمت أحد عشر رجلاً منهم ، بعد نفي الآخرين الى الهند[1] ، لكن عملهم هذا كان النار التي اشعلت فتيل الثورة وزاد من ضرامها ثم أخذت عوامل الثورة تتجمع ويرتبط حاضرها بماضيها وقريبها ببعيدها لتصطدم بالضغط السياسي العسكري للاحتلال الانكليزي ، فضلاً عن الاضطراب الاقتصادي في حياة الناس ولاسيما من الكسبة والمزارعين ، ومن الوعود المهزوزة التي كانت تتلاشى أمام العنجهية العسكرية الانكليزية ، هذه وغيرها من العوامل التي ادت الى نشاط سياسي غدا ملحوظاً في الشمال والوسط والجنوب ، وكان شعاره إزاحة الحكم الاجنبي ، فنشطت الجهود الوطنية في مدن العراق الكبرى ، كبغداد وكربلاء والكاظمية والنجف وسامراء وبعض مناطق ديالى والدليم ، واتخذت لهامراكز ثقل في بغداد وكربلاء والنجف ، وصارت مراكز للتجمع في كل مناسبة دينية أو وطنية ، حتى قيل ان خطط الثورة وضعت في كربلاء[2] ، وكانت فتاوي رجال الدين قد نسفت أطماع الانكليز في الاستمرار بحكم العراق ، وافتت بعدم جواز القبول بحكم الاجنبي على المسلم والمطالبة بالاستقلال واخراج الانكليز من البلاد بكل الوسائل حتى بالتوسل بالقـوة .

وبسبب تجمع هذه العوامل وصدور الفتاوى وحدوث الاتصالات بين مختلف أبناء المدن العراقية وعقد الاجتماعات والقاء الخطب وتوزيع المنشورات التي تطالب باستقلال العراق ، وتستنفر العراقيين لمواجهة هذا الاحتلال الجديد ، اشتد النشاط السياسي . وبدأت المناوشات ضد القوات البريطانية تأخذ طابع التصدي المسلح ، فقد حدثت صدامات كثيرة بين أبناء الشعب والقوات المحتلة في بعض مدن العراق ، ولكن المؤرخين يكادون يجمعون على ان شرارة الثورة الحقيقية الاولى كانت قد اشتعلت في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ ، وذلك حين استفزّ الحاكم السياسي الانكليزي مشاعر العراقيين في منطقة الديوانية ، حين حجز الشيخ شعلان أبو الجون زعيم عشيرة الظوالم ، وعلى أثرها اقتحمت مجموعة من عشيرته سراي الحكومة بالبنادق واخرجوا زعيمهم من سجنه عنوة ، وقتل الحراس ، والاستيلاء على الاسلحة واعلان التمرد . فكان ذلك مدعاة للثورة واضراماً لشرارتها الاولى التي امتدت بعد ذلك الى ماحول الرميثة من مدن ، ثم الى مدن العراق الاخرى ، وكانت سورتها العارمة فيما حول الفرات من المدن والارياف ، ولاسيما في الديوانية والرميثة والسماوة والشامية والكوفة والنجف وكربلاء ، ومناطق المشخاب ومناطق من ديالى والدليم ، وقد كانت تلك الثورة تتعزز بالتنظيم والتوجيه والاسناد من زعماء القبائل ورجال الدين ، وبالخطب والاجتماعات والمظاهرات التي كانت تقوم في بغداد والكاظمية وكربلاء والنجف ... ومع كل هذه المقدمات لم تكن فكرة الثورة قد تبلورت بعد ، كما لم يفكروا بشكل جاد بثورة مسلحة لانهم كانوا يأملون بالاصلاح والحل التفاهمي ، فقد كانت هناك مفاوضات بين العراقيين والسلطات العسكرية ، أظهر فيها العراقيون تعاوناً وحباً للسلم ، ورغبة في المحافظة على النظام ، ولكن كل ذلك لم يُجد فتيلاً لان السلطات العسكرية أمعنت في غطرستها وتصورها انها قادرة على القضاء على كل حركة قد يقوم بها العراقيون ، وقد فاتهم ان حرية الشعوب لن يقوى على مقاومتها أحد . على الرغم من ان أسلحة الثوار كانت بسيطة تتمثل بـ (الفالة والمكوار) وبعض البنادق القديمة ، وما كان يغنمه الثوار من الاسلحة والمدافع التي كانوا في كثير من الاحيان لا يحسنون استخدامها ، ومع ان الثورة لم تحقق اهدافها المباشرة اذ تمكنت القوات الانكليزية من اخمادها بعد حوالي ستة أشهر ، الا ان ثوار الرميثة والسماوة الذين أعلنوا الثورة لم يستسلموا للانكليز ولم يلقوا السلاح الا بعد مفاوضات انتهت بعقد اتفاق بين الطرفين ينص على ست مواد ، أولها : (ان تكون للعراق حكومة عربية مستقلة) الذي وقع في ١٨ تشرين الثاني عام ١٩٢٠[3] ، لكن الانكليز لم يفوا بوعودهم لان اعلان الحكومة المؤقتة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٠ برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب واشراف (السير بيرسي كوكس) لم يؤد الى نتيجة مرضية للعراقيين ولم يحقق مطالب الثوار سوى ما تبعه من تأسيس مملكة يرأسها الملك فيصل الاول ، وقد عبّر الشيخ علي الشرقي عن نهاية الثورة بقوله : (ويوسعني ان اقول ان الثورة لم تنجح في جميع

اهدافها ... لان شياطين الانكليز خدعوا العاملين واسسوا وضعاً وجهه وطني وباطنه اجنبي)[4]. وقد علل الشيخ الشرقي بعض الاخفاق الذي لحق بالثورة الى ان الشعب لم يكن كله قد اتخذ خطة واحدة ، فالذين لايريدون الاحتلال والانتداب كانت اساليبهم مختلفة قبل الثورة في اسلوب مقاومة الاحتلال : (ففي بغداد والموصل كانت تشيع فكرة القيام بالمظاهرات والاجتماعات ضد المحتلين ... وفي النجف وكربلاء اتجاهٌ يدعو الى العصيان المدني ، اما في الفرات فقد كانت الدعوة قوية الى اعلان الثورة المسلحة وضرب الانكليز بالبنادق ، اما رأي المنتفك والغراف فهو بين بين ، يريدون الأناة حتى يكمل الاستعداد)[5]. وقد عبر عن هذه الحال الشيخ محمد رضا الشبيبي بقوله : (واتضح لهذا الشعب أن هناك خطة استعمارية اعتبرت الثورة العراقية الكبرى جريمة منكرة ، وحركة مضادة لمظاهر التقدم والحضارة)[6].

اولاً ـ الشعر والثورة :

اهم ما يلفت نظر الباحث في الشعراء الذين اشتركوا في ثورة العشرين ، ومشوا معها ، أو حرضوا الناس على الاشتراك فيها ، أو الاشادة بابطالها ومواقعها ، أنهم ليسوا كل الشعراء الذين انتظمتهم مرحلة ماقبل الثورة ، الذين ناهضوا السيطرة العثمانية ، ووقفوا ضدها ، والذين شاركوا في الترحيب باعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ، وممن دعوا الى الحرية والاستقلال والعدالة ، أو اولئك الذين كانت لهم أصوات مدوّية في مرحلة ماقبل ثورة العشرين إذ لم تسمع اصواتهم خلال الثورة ، ولعل للاستبداد العثماني الثقيل الطويل أثراً في إلهاب الحماس عند توفر الظروف الملائمة ، فقاموا ضده وحرضوا عليه ، اما الاحتلال الانكليزي ، فقد اطلق في بدايته وعوداً خلّابة لاستمالة السكان واظهار انفسهم بمظهر المنقذين وما مقولة قائد الاحتلال الجنرال مود ببعيدة عن اذهان العراقيين حتى اليوم (جئنا محررين لافاتحين) ، فخُدِع قسم من الناس بتلك الوعود . ولعل العامل الاهم ان اكثر (الشعراء الكبار) كانوا بعيدين عن مواطن الثورة قبل الثورة واثناءها ، ممن كان يتنقل بين الحجاز وسوريا وفلسطين ومصر .

فمن الكبار : (الرصافي) الذي كان في القدس اثناء الثورة ، وبقي فيها سنة ونصف ، لذلك لم تكن له مشاركة في الثورة على الرغم من بغضه للاستعمار . و(الكاظمي) (كان في القاهرة)

اما الشاعر (محمد رضا الشبيبي) ، فقد كان موفداً من العراقيين في أواخر رمضان سنة ١٩١٩ الى الشريف حسين ملك الحجاز في مهمة قومية معروفة ، وقد استقرّ به المطاف في دمشق أيام الثورة ثم غادرها عائداً الى العراق أواخر تشرين الاول سنة ١٩٢٠ [7] ، وقد كانت الثورة في نهايتها ، ولعله اكتفى بمهمته الوطنية عن ممارسة النظم في الثورة وأحداثها ، سوى خطرات قليلة [8] أما الشيخ (علي الشرقي) الذي كان في العراق حين قامت الثورة ، فكان يرى ان الثوار تسرعوا في الاصطدام بالانكليز وانه كان يجب ان تتم الاستعدادات الكاملة حتى تنجح ، فلم يكن راضياً عن قيامها في هذا الوقت ، انما بعد استعداد مناسب لها ، فلذا (انتحى شطرة المنتفك آنذاك ، فلم يشارك في عمل أدبي يدل على انفعاله بالثورة مع انه قد أرسل الى الغراف ليحرّض لها)[9] ـ أما أبرز شعراء العراق في هذه المرحلة (جميل صدقي الزهاوي) فقد كان ممن استقبلوا الاحتلال بروح التسامح ، بعد ان كان خلال الحرب الأولى مع الاتراك ، أما في عهد الاحتلال ، فقد كان شاعر المناسبات والحفلات التي كانت تقام في بغداد ، وكان متجاوباً مع التيار الجديد ، ولم يبدُ منه مايدل على مناوأته أو تذمره من الاحتلال أو حتى السكوت على الاقل بل شارك في المناسبات الأدبية والصحفية التي أرادها جيش الاحتلال فكان من أبرز من كان يكتب ، وينشر الشعر في (جريدة العرب) لسان حال الاحتلال في بغداد . وعندما قامت ثورة العشرين لم يشترك فيها لتصوره أنها غير مجدية وان عاقبتها وخيمة ، وقد صرح بهذا حين قال : (وحدثت ثورة ١٩٢٠ فلم اشترك فيها لعلمي بوخامة عاقبتها)[10] لكنه قال : انه قد طالب باستقلال العراق أمام المندوب السامي ـ ولسن)[11] ، ولعله كان يظن ان الانكليز في المستعمرات مثلهم في لندن يحترمون الحريات ويقدرون كرامة الانسان ولكن ظنه ذاك قد خاب ، وأخطأ في ظنه ، وبقي بين سلبية تلوم وتؤنب الثوار ، وبين ايجابية تبكي شهداء الثورة بعد ذلك ، ولكنه بعد أن عرف حقيقة الانكليز وخداعهم ، ندم على موقفه ، وصار يذكر عزّه أيام الاتراك ومكانته لديهم ، وليس بخاف على كل الناس بيتهُ المشهور .

أين عـــــزّي في دولـــــة الاتـــــراكِ
انـــــا بـــــاكٍ عليكمُ أنـــــا بـــــاكي

على اننا نذكر ان معظم شعراء العراق كانوا خلال الحرب الاولى مع الدولة العثمانية ، حتى اذا ما احتل الانكليز بغداد ، وانشئت الصحافة الانكليزية بلغة عربية ، ومن أبرزها صحيفتا (العرب ، ودار السلام) انضم فريقٌ من الشعراء الى تلك الصحافة المشبوهة ، ومنهم الشاعر الزهاوي ، وصاروا يمالئون الانكليز باسماء مستعارة أول الامر ، فاذا ما اختفى الامل بعودة الاتراك رفعوا الاقنعة عن وجوههم ، وصارت اسماؤهم الصريحة تظهر على وجوه الصحف ...

هذا ما كان من موقف بعض (الشعراء الكبار) من الثورة ، اما غيرهم ، فقد كانت لهم وقفات كثيرة وشعر كثير قبل الثورة والتحريض عليها ، وخلالها في اسنادها ، وبعدها في الفخر ببطولاتها وبكاء شهدائها والدعوة لتجديدها .

وقد يكون من المفيد ان نجعل مواكبة الشعر لثورة العشرين في ثلاثة محاور :

الاول : الشعر الممهد للثورة .
الثاني ـ الشعر في ركاب الثورة .
الثالث ـ الشعر في اعقاب الثورة .

الشعر الممهد للثورة : ـ وهو كثير ، وطبيعي ان الشعراء لم يكن يستطيعون ان يستبقوا الاحداث أو يتنبأوا بحوادث المستقبل ومجرياته ، الا ان احساسهم بوجود محتل اجنبي غريب جديد على ارض الوطن كان يُثقل عليهم ، فعبروا عن مقاومتهم له ، بذم الاحتلال والمطالبة بالاستقلال ، والدعوة لاخراج المحتلين ، او المتمثل في الشعر القومي في رثاء المدن العربية التي تتعرض للاحتلال مثلما تعرضت بغداد للاحتلال على يد الانكليز ، ودمشق للاحتلال على يد الفرنسيين ، ولعل من أبرز قصائد هذا الاتجاه قصيدة الشاعر (محمد رضا الشبيبي) التي بعنوان (دمشق وبغداد التي نظمها بعد احتلال الفرنسيين لدمشق ، ومنها قوله :

مـــاذا بنا وبـذي الـديـارِ يـرادُ
فَقَـــدتْ دمشقُ وقبلهـــا بغـــدادُ
بـــردى وأوديـــة الفـــرات ودجلـــة
والنيـــلُ غصَّ بمـــائـــك الـــوزّادُ
حـــلّ العلوج من الاحـــامـــر بيننـــا
وتعـــذر الاصـــدار والايـــرادُ
اعيـادُ هـذا الشرق صـرن مـآتمـاً
لكنهـــا لعـــداتنـــا أعيـــاد
وعـــدوكم الاصـــلاح فلتتـــوقعـــوا
بـــرقـــاً جـــوانب وعـــده ايعـــاد
حسب الطغـــاة الظـــالمين تـــربّص
بـــالمسلمين وحيلـــة وكيـــاد
ان الـــزعـــامـــة سُلِّمت لـــزعـــانفٍ
في الشرق قادوا اهلـــه فانقـــادوا[12]

وينظم الشاعر (حسين كمال الدين) قصيدة حافلة بالدعوة لمقاومة الانكليز ، وقد أشار فيها الى بعض من يدعي انهم من رجال الدين ، واتهموا بممالاة الانكليز الذين كانوا يترددون على سراي الحكومة ويتسلمون منهم الرواتب او المكافآت ممن سُمّوا بـ (علماء الحفيز) اي (الاوفيز ـ الدوائر الحكومية) . منها قوله :

ايبقى العـراقُ بـــلا منجـــدِ
عـــديم النصيـــر بـــلا نـــاشـــل
محـــال على يعـــرب أن تنـــام
على الضيم من دونمـــا كـــافـــل
تعـــال معي فنبـــذل الـــدمـــاء
نعضّ على حقنـــا العـــادل
وكيف تنـــالُ المنىّ ســـاســـةٌ
هم عنـــه في شُغُـــلٍ شـــاغِـــلِ
ايخـــدعنـــا علمـــاء (الحفيـــز)
ونـــابى على العـــالم العـــامـــل
اولئـــك هم علمـــاء الـــدخيـــل
تفـــانـــوا على طمـــع زائـــل[13]

اما الشاعر (محمد حبيب العبيدي) فقد اظهر حنقه على الانكليز حين اعلنوا وصايتهم على العراق ، بقصيدة طويلة ، منها :

اضـــرمـوا النـــارَ يـــاســـراةَ العـــراق
واغسلـــوا العـــار بـــالـــدم المهـــراق
ان ضيمـــاً حملتمـــوه عظيم
كـــاحتمـــال الاطـــواق في الاعنـــاق
يـــارجـــالَ العـــراق لستم أســـارى
لتمـــدوا اكتـــافكم للـــوثـــاقِ
يـــارجـــال العـــراق لستم يتـــامى
لتـــؤدوا (وصـــايـــةً) في العـــراق[14]

لقد رفض العراقيون الاحتلال الانكليزي بادئ ذي بدء ، ورأوا الا فرق بين الاحتلالين الانكليزي الجديد والتركي السابق ، فالاستعمار هو الاستعمار ، سواء اكان تركياً او انكليزياً او غيرهما ، يجيء لامتصاص دم الشعوب ونهب خيراتها وقد غذّى في النفوس روحَ النقمة على المحتلين امتهانُهم لكرامة الشعب ، وحكمه حكماً عسكرياً متعسفاً ، واثقاله بالغرامات والمطاردات والمنافي والسجون ولكنهم نسوا ان هذه الاعمال الاستفزازية ستثير في نفوس الشعب الحقد والكراهية عليهم ، ومعروف ان الشعب العراقي شعب يعتز بكرامته وفرديته كثيراً ، وقلما انصاع الى حاكم او سلطان جائر ، لذلك بدأت التهيأة للثورة اول الامر على شكل همسات او الشكوى ، ولكن هذه الهمسات والشكوى تحولت الى خطب في المساجد والاجتماعات في المناسبات الدينية والوطنية ، ثم خرجت حركة التمرد من طور الفكرة والخطبة الى حيز التنفيذ ، وقد كان محور الحركة أول الامر في بغداد ثم امتدت الى مدن العراق الاخرى ، حيث اجتمع الوطنيون وقرروا القيام بمظاهرات سلمية لاثارة الرأي العام ، وصارت تعقد في محلات بغداد ، او تُنقل من محلة الى اخرى ، وفي احدى المناسبات خطب الشاعر (عيسى عبد القادر) خطبة في جامع الحيدر خانة اتبعها بقصيدة دعا فيها الى تضامن العراقيين ، ولمّ الشمل ، وهاجم فيها الانكليز صراحة . منها قوله :

بني النهـــرين نســـلَ الطيبينـــا
أ يقـــوا واسمعـــوا الحقّ اليقينـــا
تفـــرقنـــا ضـــوائفَ واختلفنـــا
فـــاصبحنـــا جميعـــاً صـــاغـــرينـــا
فجـــاروا واستبـــدوا مـــا استطـــاعـــوا
وذا شـــان البغـــاة الظـــالمينـــا[15]

ولكن السلطات العسكرية عمدت الى اعتقال الشاعر ونفيه الى البصرة ، فما كان من الوطنيين الا اغتنام هذه الفرصة ، فاجتمعوا وقاموا بمظاهرات كبيرة احتجاجاً على هذا الاعتقال[16] .

ويتابعه الشاعر (ناجي القشطيني) ، الذي يسخر من وعود المحتلين الكاذبة ويدعو الى عدم تصديقها ، واسترداد

الحقوق بالقوة :

يـــا ايهـــا العـــربي قم
واقـــدح زنـــادك ينقـــدح
وافتـــح طـــريقـــك بـــالظبـــا
فبغيـــرهـــا لا ينصنـــح
وخـــذ الحقـــوق جميعهـــا
او مُتْ عـــزيـــزاً واستـــرح
قـــد غـــزك البـــرق اللمـــو
عُ فبـــات صـــدرك منشـــرح
وفـــرحت من كـــل الـــوعـــو
د ، وخـــاب فيهـــا مَن فـــرح
قـــد خـــان عهـــدك هـــازئـــاً
لمـــا بتجـــر تـــه ريـــح[17]

وحين انتفضت بغداد في تظاهرة ضد الاحتلال في ٢٥ أيار ١٩٢٠ واطلق المحتلون الرصاص على المتظاهرين كتب الشاعر (محمد مهدي البصير) الذي انتقل من مدينته الحلة الى بغداد ليشترك في هذه المناسبات ـ متحمساً مكثراً ـ فانه نظم قصائد كثيرة يحرض فيها للثورة وقد امتازت تلك القصائد بحماسة أسلوبها ومتانة تعبيرها ورصانة الفاظها والتي كانت مدعاة لاعتقاله وسجنه ومن ثم نفيه الى جزيرة (هنجام) في المحيط الهندي مع ثلة من المناضلين ، ففي تلك الانتفاضة ينظم البصير قصيدة يحفز فيها المواطنين على رفض الاحتلال :

غضبنـــا نقمنـــا ثـــائـــرين لغضبـةٍ
تهـــون المنـــافي دونهـــا والمشـــانقُ
ورددت الاجـــواءُ قصف زئيـــرنـــا
فـــردّت عليـــه بـــالـــدويّ البنـــادق
فهـــل تنطق الـــزوراءُ وهي اسيـــرةٌ
وتسكت عمـــا تبتغيـــه المنـــاطق[18]

وفي قصيدة أخرى للبصير يرتفع لديه فيها نبض الحماسة والدعوة الى نزع قيود الاحتلال بايدي الناس ، ولا يـاخذون الاستقلال منّةً من المحتلين ـ فيقول :

ليحطم المستعبـــدون قيـــودَهم
فـــالجـــور أيسهم من الاعتـــاق
واشقَ من أســـري عليّ بـــان أرى
يـــد آسري يـــومـــاً تحـــل وثـــاقي
هبْ ان رحمـــةَ آســـري ستفكّني
او لستُ احمـــلُ مِنـــة الاطـــلاق
ولسوف اكسر غـــلّ عنقي في يدي
كي لا اسلمهـــا الى الاطـــواق
ان لم تعش نفسي العزيزة حرةً
فـــلاسعيَن بهـــا الى الازهـــاق[19]

لكن القصيدة الاقوى دوياً والاعلى رنيناً للبصير تلك التي نظمها والقاها في حفلة اقيمت بجامع الحيدر خانة ببغداد قبيل اعلان الثورة ، وكان لهذه القصيدة الأثر الكبير في تحريك الجماهير واشعال غضبها لما كان فيها من قوة سبك وحسن تصوير وشدة عاطفة وجمال معانٍ ، والتي مايزال الناس يترنمون فيها حتى الآن .. والتي منها قوله :

ان ضـــاق يـــاوطني عليّ فضـــاكـــا
فلتتســـع بي لـــلامـــام خطـــاكـــا
بك همتُ بل بالموت دونك في الوغى
روحي فـــداك متى اكـــون فـــداكـــا
ومتى بحبـــك للمشـــانق ارتقي
كي تـــرتقي بعـــدي عـــروش عـــلاكـــا
هب لي بـــربـــك مـــوتـــة تختـــارهـــا
يـــامـــوطني او لستُ من أبنـــاكـــا
كم اورثتـــك يـــدُ السيـــاســـةِ علـــةً
فـــاشـــربْ دمي فلعـــل فيـــه شفـــاكـــا
ويـــروقني ان الجـــراح تضـــاحكتْ
في جسمي الـــدامي وان ابكـــاكـــا
مـــاذا عليّ ومـــا خســـرتُ مكـــانـــةً
اني امـــوت لكي أصـــون حمـــاكـــا
كـــذبتك اقطـــابُ السيـــاســـةِ عهـــدهـــا
فلتضمنن لـــك الحيـــاةَ ظبـــاكـــا
افيطلبـــون لـــك الـــرعـــاية ضِلـــةً
مـــاكـــان اقصـــرهم ومـــا احجـــاكـــا
ويـــؤملـــون لـــك المعـــونـــة بـــاكلهـــا
مـــاكـــان افقـــرهم ومـــا اغنـــاكـــا
لـــو انصفـــوك لحـــرروك لانهم
ربحـــوا قضيتهم بظـــل لـــواكـــا[20]

والقصيدة طويلة كلها على هذا النَفَس العالي والاسلوب المسبوك والصور الممتعة ..

ومن هذا الرهط المناضل من الشعراء ، الشاعر (محمد حبيب العبيدي) ، الذي يزخر ديوانه بالكثير من الشعر الممتع في هذا المجال[21]، والشاعر محمد الباقر[22] والشاعر عبد الكريم العلاف[23]، والشاعر ابو المحاسن الكربلائي[24]، وسعد صالح[25]ومنير افندي خطيب[26]جامع ابي حنيفة ببغداد ، وغيرهم ..

ثانياً ـ (الشعر في ركاب الثورة) :

حين استفزّ الحاكم العسكري الانكليزي لمنطقة الديوانية شيخ عشيرة الظوالم شعلان ابو الجون وامر بسجنه ، كان مرجل

الغضب على المحتلين على اشده في العراق ولاسيما في مناطق الفرات فكان ذلك الاستفزاز الشرارة الاولى في قذيفة الثورة ، فهبّ الشعب فيها بين مقاتل بالسيف ومتبرع بالمال ومحرض وشاعر ينشد للثورة وهو يمشي في ركابها ، وقد تتسارع الاحداث ، فيضطر الشعراء الى استبدال القصيدة بالخطبة ، والرجز بالمقالة ، وقد كان (الشاعر مهدي البصير) من ألمع شعراء الثورة الذي وقف الى جانبها من أول يوم سمع بانفجارها ، فنظم الكثير من الشعر وهو في بغداد في تأييد الثورة ، والتحريض على الالتحاق بها او التبرع لها ، او اسناد ثوارها . ولاشك في اننا لا نستطيع في هذا البحث ان نلمّ بكل الشعر الذي قيل في ركب الثورة ولايكل شعر البصير في هذه الساحة ، انما نقتطف منه مايدل على ما اداه هذا الشاعر المجاهد من واجب وطني وقومي تجاه امته ، وتمتاز اكثر قصائده بالعاطفة المشبوبة ، والنفحة الحادة ، والاوزان الخفيفة السريعة .. فهذه قصيدة طويلة من مجزوء الكامل المرفّل يبارك فيها الشاعر قيام الثورة ، ويحرض للالتحاق بها ، واخراج المحتلين من البلاد بالقوة ان لم ينفع التفاهم :

بين الاسنـــــــةِ والقـــــواضب
شـــرفُ المبـــــاديء والعــــواقبْ
ابـــغِ الســـــلامَ فـــــان تخبْ
فيمـــــا قصـــدت لـــــه فحــــاربْ
فـــــاضَ الفــــراتُ جحـــافـــلا
وجـــرى ديـــــالى بـــالمقـــانب
اهــــلاً بخـــــافقـــة البنــــو
دِ ، تظـــل زاحفـــةَ المــــواكب
اهــــلاً بـــــلامعـــةِ السيـــو
فِ ، حمـــاقهــا عنـــد النــوائب

وفيها يشير الى دسائس المحتلين واتخاذ سياسة (فرق تسد) ويحذر الشعب ان يقعوا في حبائلهم :

ظنــــوا العـــــراقَ فــــريســــةً
وقـــد التقتْ فيهــــا المخــــالب
فـتـسـلـحـوا لـرجـالـــه
بمكـــــائــــد الخصم المــــوارب
وسقــــوا لشق صفــــوفـــه
مكـــــراً فكـــان السعي خـــائب
حتى اذا مـــا جــاش كـــالتيــا
ر ، ملتطم القـــــــــــوارب
كـــانــــوا كنــاكصـــة الـــذئـا
ب ، يشلّهـــا الاسدُ المغــاضب
فتـــــراجعـــــوا مـــــابين مقـ
ـتـــول ، ومـــــاســـورٍ وهـــارب

وهنا يشير الى كثرة الخسائر التي كان يمنى بها المحتلون خلال التصدي لهم ، وما اوقعه الثوار فيهم من قتلى وجرحى وأسرى وهاربين :

لنحـــررنَّ بـــلادنـــا
بشبـــا المهنـــدةِ القـــواضب
ولنـــهـزمـنّ جيـــوشــهـم
وابيـــك ان الحق غـــالب
انـا تجـنـبـنـا الشقـا
ق ، فكيف يحكمنـــا الاجـــانب[٢٧]

اننا نسمع في هذه الابيات صوت البصير العالي والمتدفق ، الذي لايريد ان يقف او يتمهل ، ويدل على ذلك كثرة الابيات المدوّرة موسيقياً فيها ، بحيث لا يسمح لنَفَسه ان يستريح .

وقد ذكر الاستاذ ابراهيم الوائلي ان البصير كان يرى ان تختم الثورة بصلح شريف بين الثوار وجيوش الاحتلال ، بعد ان رأى تقهقر الثوار وكثرة خسائرهم[٢٨] وعلى ان فكرة السلام لابأس بها ، لكن الصلح يكون بين دولتين او بين قوتين متقاربتين ، لابين جيش مدجج بالسلاح الحديث ، وشعب اعزل الامن سلاح بدائي . ان الصلح بهذا المعنى يعني الاستسلام ، ولكن الثورة انتهت بخضوع الانكليز للثوار في العشرين من تشرين الثاني ١٩٢٠ وموافقتهم على مطالب الثوار التي نصّت على الاعتراف باستقلال العراق بحكومة دستورية تحت اشراف احد انجال الشريف حسين ، ولو ان الانكليز حاولوا بعد ذلك ان يتنصلوا عن اتفاقهم هذا ، ولكنهم اجُبروا على انجاز الاستقلال الشكلي وقيام حكومة اهلية ترتبط بالانكليز بمعاهدات ذات مصالح .

ويشارك الشاعر النجفي (كاظم السوداني) في استنهاض الهمم وعدم الركون الى الضيم مخاطباً العراقيين باسلوب خطابي ذي طابع قومي ، وقال :

بني العرب خلّوا السلمَ قد جاشت الحربُ
وانتم بهـــا اولى واجـــدرُ يـــاعُـرب
دعوا الضيم عنكم واطلبوا بحقوقكم
فقـــد غُصبتْ قسراً وضيّعهـا الغصْبُ
الى الآن جيش الظلم وسط بلادكم
وما انتاش في اثقاله النهب والسلب
بني العُرب نهضاً ليس يجدي احتجاجكم
لقد جلّت الجلّى وقد عظم الخطب
الا انتبهـــوا من غـــدرِ وخـــداعـه
سياسته ظلم ومصداقها الكذب[٢٩]

ويخاطب الشاعر الموصلي محمد حبيب العبيدي أهالي الموصل ويحفزهم ان يثوروا مثلما ثارت بغداد والمدن العراقية الاخرى في قصيدة حماسية طويلة . منها قوله :

يـا رجـال المـــوصـل الحـدبـاء مَن
كـــل شهم نـخـذ المجـــد شعـــارا

تلـــك بغـــداد سعى ابنـــاؤهـــا
فـاصـابـوا دوننـا اليومَ فخـارا
ونبي الله هـــــذا شــــاهـــدُ
ان من خـان غـدا يلقى بـوارا[٣٠]

ويبقى شعراءُ العراق يمدون الثوار بالحماس والعزائم ويسيرون في ركاب الثورة، ويمشون مع المقاتلين، ويقفون معهم في ساحاتهم وخنادقهم .. منهم الشاعر محمد علي اليعقوبي، الذي نظم شعراً كثيراً في شدّ ازر الثورة، وان ديوانه المطبوع ليؤكد مواقفه تلك، منها قصيدته التي بعنوان (تحية الثوار) التي خاطب فيها ثوار السماوة والرميثة حيث حمى الوطيس واشتد اشتباك الثوار مع جيش الاحتلال. صاغها باسلوب خطابي تقريري هدفه الاستنهاض والتصدي :

احبتنـــا بســـاحـــات الكفـــاح
ثقـوا بـالنصـر فيهـا والنجـاح
نفـــرتم للـــوغى لمـــا دعـاكم
لهـــا الــداعي بشـوق وارتيـاح
ففـــزتم بـــالفخـــار بهـــا وآبتْ
اعـــاديكم بخـــزي وافتضـــاح
زأرتم كـــالاســـود وغـــداة رامتْ
تـــروعهـــا الاعـــادي بـــالنبـاح
كــــأن منــــادي الهيجـــاء واغى
ينـــاديكم بحيّ على الفـــلاح
كتبتم بـــالـــدمـــاء سطـــور مجـــد
نواصعُ، مالها في الدهر مـــاحي[٣١]

وفي بداية الثورة اجتمع في كربلاء المجلس الحربي للثورة في ١٨ ذي الحجة من عام ١٣٣٨ هـ/ ١٩٢٠، وقرر تعيين (السيد محسن ابو طبيخ) متصرفاً فيها، رافضاً السلطة الانكليزية المركزية في بغداد، ورفعوا العلم العربي بالوانه الاربعة الزاهية فوق بناية المتصرفية. فاستبشر الناسُ وهتفوا لهذا الحدث التاريخي العظيم[٣٢]، والقى العديد من الشعراء القصائد الحماسية بهذه المناسبة، التي مدت الثورة بالقوة المعنوية، ويشعرهم بوجود حكومة ثوار وطنية تمثلهم. منهم الشاعر (خليل عزمي). قال فيها :

بشراك ياكربلا قومي انظري العَلَمـا
على ربـوعـك خفـاقـاً ومبتسمـاً
وشاهدي كيف امسى القلب مبتهجاً
من الحمـاس ويهفو ان يـريق دمـاً
شعب تفـــانى وراء الحق مبتغيـــاً
نيـل الكرامة جَبار الغـرب أو ظلما
لله درّ بني قـــومي الضيـــاغم مـــا
اشدّهم بوطيس الحرب حين حمى[٣٣]

وتفقد الثورةُ وهي في عنفوانها رجلًا من ابرز رجالاتها، ذلك هو (الشيخ محمد تقي الحائري) صاحب الزعامة الدينية الاولى في زمن الثورة، وصاحب الفتوى الشهيرة بوجوب مقاومة الاجنبي وعدم جواز خضوع المسلم لغير المسلم، الذي توفي في آب من سنة ١٩٢٠ والثورة مشتعلة، فكان لوفاته اثر حزين بالغ في نفوس الثوار. لكن الشعراء اتخذوا من هذه الحادثة المفجعة مناسبة لتحفيز الثوار والسير في طريق المقاومة الذي افتى به الشيخ الحائري، ونادى له .. وقد اقيمت مآتم التابين ومجالس العزاء لفقده في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء، وفي هذه المجالس القى الشعراء شعراً في الثورة والاشادة بها .. منهم الشاعر (ابو المحاسن الكربلائي) في قصيدة تناولت الثورة ووجوب دعمها، ثم تبيان اثر الحائري في تاجيجها، وان يكون التعبير عن الوفاء له والحزن عليه هو تنفيذ رغبته في كفاح المحتلين ومطاردتهم وليس مجرد البكاء عليه :

يـــاغلـــة الاحشـــاء غـاض المـورد
يـــــازمـــة الايـــام غـــاب المنجـدُ
غـــادرتنـــا والخطبُ داج ليلـــهُ
واليـومَ من صبـغ الحـــوادث اسـود
فمن المـــدافـــع والاسنـــةُ شـرّعٌ
والبيض تبـرق والمدافـع تـرعـد[٣٤]

وكذا، لم تقتصر مرثية الشاعر محمد علي اليعقوبي التي القاها في مجلس التابين في النجف على رثاء الحائري فقط، انما وصف فيها بسالة الثوار. وذكر شماتةَ الاعداء الانكليز بموته. قال فيها :

ريـــع الحمى وخلا العـرينُ المسبـعُ
وهــوى من الـدين العمـادُ الارفـعُ
وقـــع الـــذي كنـــا نحـــاذر وقعُهُ
فـــلايّ هـــول بعــــده نتـــوقـــع
ذهب الـذي كـل الاصـابـع فـــوقـه
معقـــودة، ولــــه تشيـــر الاصبـــع
الآن والهيجـــاءِ شبّ ضـــرامُهـــا
والى السمـــاء شـــرارهـــا يتـدفـع
اليــــومَ، قـــد أمِن العــدوُ وطـالمـا
من بطش كفـــك بـات وهـو مـروّع
ابــدى الشماتـةَ يومَ نعيـك، معلنـاً
فيهـــا واظهـــر مـــا تجنّ الاضلـــع

اما عن الثوار. فانهم :

ثبتـوا بمشتبك النـزالُ مـع العـدى
فكـــانهـــا الاطـــواد لا تتضعضـــع
لم تحم طـــائرةُ العـــدو جيـوشـه
منهم ولا اسطـــولـــه والمـــدفـــع

ثم يخاطب الفقيد :

فعلت يراعَتك القصيـــرة في العدى
ماليس تفعلــه الطــوال الشُــرّعُ
حــررت شعبــاً للعــدى مستعبَــداً
اضحى يــذل لفــاتحيــه ويضــرع
فــالفيء في ايــدي الطغــاةِ مقسّمُ
والحكم مـــابين الطغـــام مـــوزع
حتى اذا مـــا الجـور عسعس ليلـه
لاحتْ بـــــه انــوار رأيــك تسطـع[٣٥]

ثالثاً : الشعر في اعقاب الثورة :

طبيعي ان الشعر سيستمر بعد ثورة العشرين ، فمنذ انتهاء اعمالها الحربية في العشرين من تشرين الثاني ١٩٢٠ وهو اليوم الذي وقّع فيه الاتفاق بين الثوار والانكليز بالاعتراف باستقلال العراق وبانشاء حكومة محلية ، والى هذا اليوم مايزال الشعر يتذكر ثورة العشرين واحداثها بين أسف عليها ، وفخر بها ، واستلهام لها . ولاشك في اننا لا نحتاج في هذا البحث الى تتبع كل هذا الشعر ، انما تجتزيء منه مايمكن مما نظم في اعقاب الثورة مباشرة او بعدها بسنوات مما كانت ماتزال سيرتها حية وريحتها عطرة ، ودماؤها نديّة ..

المعلوم ان المندوب السامي الانكليزي (برسي كوكس) كان قد انشأ حكومة مؤقتة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٠ باشرافه وبرئاسة السيد عبد الرحمن النقيب ، واسندت الوظائف الى مَن جارى الانكليز خلال الثورة ، ثم جاء فيصل الاول فتوّج ملكاً على العراق في آب من عام ١٩٢١ ، بعدها بعثر زعماء الثورة ووزعهم بين المنافي والسجون ، وخابت الامال في تحقيق الكثير مما كان ينتظره الشعب العراقي ، ومن ثم فقد كان الشعر يراقب ويستوعب الاحداث ، والمرارةُ تملأ افواههم ، فصار يبكي المنفيين ويندب المسجونين ، ويرحب بالعائدين ، ويرثي الشهداء ويبكي ضياع الاحلام ، ويتذكر مواقف المدن والقرى والارياف التي جاهدت او دُمرّت او تعرض اهلها للسوء ..

فالشاعر ابو المحاسن نظم قصيدة بعد خروجه من سجنه يذكر فيها خيبة الثوار واسناد الحكم الى اصدقاء الانكليز واعوانهم . قال فيها :

ثـــورة اصبـــح من آثــارهـــا
حظـــــوة الخـــــائن والمفتتن
معشـــر في نِعَمٍ قـــد اصحبـــوا
من مســـاعي معشـــرٍ في محن[٣٦]

وكان الشاعر مهدي البصير في طليعة من شعر بخيبة الامال والشعور بالكآبة بعد جهد وتضحيات ثمينة . فنظم شعراً استوحاه من النهاية المحزنة للثورة :

كـــافحتُ اعـــدائي ولستُ بـــواثق
ان النجـــاح مقـــدر لكفـــاحي
لكنمـــا وطني دعـــا فـــاجبتــه
وأبيت للبـــاغين خفض جنـــاحي
ولئن رجعتُ بغيـــر مـــا أمّلتُـــه
ونـزعتُ من يـد قـاهـريَ ســـلاحي
فلقـــد افـدتُ من المصـائب خبـرة
ستكون عند العـود سرّ نجـاحي[٣٧]

كما سجّل في أبيات اخرى انتهازية بعض الناس ممن استهوتهم المناصب : قالوا :

فـــلان قـــد تقلّـــد منصبـــاً
هـــو منـــه في عـــزٍ وفي سلطـان
فـــاجبتهم كم كنت منتظـراً لمـــا
تستغـــربـــون من انقــلاب فــلان
لا ابيضّ وجـــهُ متــاجــرٍ ببــلاده
كلف بحب الأصفـــر الـــرنـــان[٣٨]

ويصف سعد صالح الخراب الذي لحق القرى والمدن المكافحة :ــ

سئـمـــتُ العيشَ فـــي وطـن
يُضـــام يـــذل يضطهـــد
محتـــه يـــد القضـــاء فـرا
ح لا روح ولا جســـــد
ربـــوع غيـــر ســـرح الـــوحشِ
لا يـــــاوى لهـــا احـــد[٣٩]

وإذا كان الشاعر الزهاوي قد اصطف اول الامر مع الانكليز لاسباب لم تعد خافية الا انه بعد ان خاب فيما امّله منهم ، فعاد يذرف الدموع على شهداء الثورة ويبدي العواطف الحارة لمن اشترك فيها ، فقد هزّته لحظات التامل في مصير الأمة والشعب والمواطنين بعد ان اطلّع على المآسي التي انزلها الانكليز بالبلاد وبالثوار ، وبمدنهم وقراهم او كانه اراد ان يكفّر عن مواقفه الاولى بعد أن لاكته الالسن بما لايحب .. لذلك صار يركز في هذه المرحلة في شعره على اهم منطقة دارت فيها معارك الثورة وهي منطقة (الرميثة) التي استبسل فيها الثوار (وايما استبسال وضحوا فيها اعظم التضحيات ، فنظم قصيدة متميزة لم يبك الثوار بها وخسائرهم انما تناول بطولاتهم وبسالتهم ومجدّهم واثنى على كفاحهم في قصيدة رائعة قل نظيرها بين قصائد رثاء الثورة والثوار :

قال :

مـــاذا بضاحيـة الرمثيـة من غطارفـةٍ جحـاجـح
ولمن اقيمت في البيـــــــــــو
ت على كـــرامتهـــا المنـــاوح
ولايّـــــةٍ نـــــدبت من الليـ
لِ الحمـــــامـــــات الصـــوادح

قومُ الى دار البوا
رِ مشوا فمن غاد ورائح
طلبوا مساواة الحقو
قَ فطوّحت بهم الطوائح
فزكت دماءٌ قد اريـ
قتْ فوق حصاتيك الاباطح
قتلى المدفاع عليهم
ناحت من الحزن النوائح
فهي المراثي اليوم تنشد فيهم عوض المدائح
ولقد اصاب القوم ما
ابكى العيون من الفوادح
اذ هاجموا يوم الوغى
غلب المدافع بالصفائح
من فتية خاضوا عجا
جتها على الشقر السوابح
ومعرضين وجوههم
بيضاً لنيرانٍ لوافح
ومطوّحين بنفسهم
خوف المذلة في المطاوح
ترك العدى فيتانهم
صرعى على طول المسارح
اقلسوك من عيد به
كثرت من الغُرب الذبائح
اذ باد حي كامل
عن عزّ بيضته يكافح
لهفي على الغزّ الشبا
ب مجندلين على الصحاصح
ولقد تغور جروحهم
بين الترائب والجوانح
انظر الى تلك الوجو
ه ، فما تغيرت الملامح[٤٠]

وبعد فهذه جولة سريعة ومقالة مقتضبة في حدث كبير ، قلنا فيهما مايناسب ومايتسع له مقال او بحث في مجلة ، وقد حرصت على ان أسهم في ملف (المورد) عن ثورة العشرين العظمى .

هوامش

١ ـ ماضي النجف وحاضرها ـ جعفر محبوبة ـ ط١ صيدا ١٣٥٣ هـ
٢ ـ العراق ـ دراسة في تطوره السياسي ـ ايرلاند ـ ترجمة جعفر خياط ص ٢٠٤ مط الكشاف ـ بيروت ١٩٤٩
٣ ـ ثورة العشرين في الشعر العراقي ـ ابراهيم الوائلي ـ مط الايمان ـ بغداد ١٩٦٨ ص١١
٤ ـ الاحلام ـ علي الشرقي ـ ص١٣٣ ـ بغداد ١٩٦٣
٥ ـ الاحلام / ١٠٧
٦ ـ جريدة الايام ـ العدد ١٢٤ في ١٠ ايلول ١٩٦٢
٧ ـ رحلتي في بادية السماوة ـ محمد رضا الشبيبي . ص / ٥٠ ط بغداد ـ
٨ ـ انظر ـ مثلاً ـ ديوان الشبيبي ـ ص٤٢ ، ٦٨ مط لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٠
٩ ـ الاحلام ٩٩
١٠ ـ مقدمة رباعيات الزهاوي / ص ـع مط القاموس ـ بيروت ١٩٢٤
١١ ـ مجلة الكاتب المصري ـ رسائل الزهاوي ـ مجلد / ٤ العدد / ١٥ ـ القاهرة ١٩٤٦
١٢ ـ ديوان الشبيبي ٣٣ ـ ٣٨
١٣ ـ ثورة العشرين في الشعر العراقي ٣٤ ـ ٣٥
١٤ ـ ذكرى حبيب (ديوان السيد محمد حبيب العبيدي) ص١٠٥ ـ ١٠٦ مط الجمهورية ـ الموصل ١٩٦٦
١٥ ـ الشعر العراقي الحديث ـ د . يوسف عز الدين ـ القاهرة ١٩٦٥ ص١٤٢
١٦ ـ في غمرة النضال ـ سليمان فيضي / ٤٧
١٧ ـ مجلة الاخلاق ـ العدد / ١٦ سنة ١٩٢٨
١٨ ـ البركان ـ ديوان محمد مهدي البصير ـ ص٤٥ مط المعارف ـ بغداد
١٩ ـ البركان ٤٦ ـ ٥٠
٢٠ ـ البركان ٥١ ـ ٥٤ وانظر القصيدة ايضاً ـ في : الأدب العصري . روفائيل بطي ٢ /٩٧ القاهرة ١٩٢٣ ، والوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ـ علي البازركان ـ ص٩٦ بغداد ١٩٥٤ .
٢١ ـ ديوانه (ذكرى حبيب) ، ولاسيما موشحته الوطنية الطويلة في هذا الموضوع ص٢١٠ ـ ٢١٣
٢٢ ـ انظر قصيدته (ياشعب كيف) في ماضي النجف وحاضرها ١ /٢٥٩
٢٣ ـ ثورة العشرين في الشعر العراقي /٦٣
٢٤ ـ انظر ديوانه ص١٧٧ ـ ١٧٨ ـ مط الباقر ـ النجف ١٣٨٣ هـ
٢٥ ـ انظر قصيدته (وقفت بطامس آثارها) في / ثورة العشرين في الشعر العراقي ص٤٣
٢٦ ـ انظر قصيدته (جزّد الحزم) ـ في : ثورة العشرين في الشعر العراقي / ٥٦
٢٧ ـ البركان ٥٨ ـ ٦٠ ٢٨ ـ ثورة العشرين في الشعر العراقي / ٧٢
٢٩ ـ انظر القصيدة كاملة في : جريدة الاستقلال (النجفية) العدد ٧ تشرين الاول ١٩٢٠
٣٠ ـ ديوانه (ذكرى حبيب) ٦٥ ـ ٦٦
٣١ ـ ديوان اليعقوبي ١ /١٦٤ ـ ١٦٥ مط النعمان ـ النجف ١٩٥٧
٣٢ ـ الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ـ فريق ال مزهر ال فرعون ص٢٧٧ مط النجاح ـ بغداد ١٩٥٢
٣٣ ـ الحقائق الناصعة / ٢٧٨ ـ ٢٧٩
٣٤ ـ ديوان ابن المحاسن الكربلائي ـ / ص٤٠ النجف ١٣٨٢ هـ
٣٥ ـ ديوان اليعقوبي / ١٩٣ ـ ١٩٥ ٣٨ ـ
٣٦ ـ ديوان ابي المحاسن / ٥١
٣٧ ـ البركان /٧٢ ٣٨ ـ البركان / ١١٩
٣٩ ـ سعد صالح ـ محمد علي كمال الدين / ١٣٦ ، ١٤٠ مط المعارف ـ بغداد ٩٤٩
٤٠ ـ ديوان الزهاوي / ١٧٦ ـ ١٧٧ المط العربية ـ القاهرة ١٩٢٤

ليجمن

القائد العام للصحراء

تأليف
هـ . ف . ف . ونستن
دور ليجمن في حرب العراق ومصرعه

عرض وترجمة

كاظم سعد الدين



تقديم :

لم تكن ثورة العشرين بنت يومها ولا وليدة حداث طارئة مرت بالوطن العربي والعراق . فقد كان للبريطانيين خبرة في تاجيج الصراع بين القبائل المتجاورة في الجزيرة العربية وأطرافها وقبائل اخرى في العراق . وليس هذا غريباً على سياستهم فقد مارسوا ذلك في الهند وفي افريقيا واميركا وغيرها من المستعمرات بارسال مبعوثين سريين الى كل طرف .

درس البريطانيون طبيعة البلاد العربية ، ومنها العراق وتاريخها وثرواتها ، وسر قوتها ، وضعفها ، وطبيعة الحكم العثماني وولاتهم ، وفتحوا ملفات للعشائر ورؤسائهم ، وللشخصيات الأخرى ، واحصوا ما يمتلكون من اموال وسلاح وأنفس طوال اكثر من مائة عام ، وصاروا يجددونها ، ويضيفون اليها كلما اقتضت الضرورة القيام بذلك .

لم تكن في بلاد ما بين النهرين حكومة عربية طوال اربعة قرون من الحكم العثماني ولم يكن في الادارة حاكم عربي واحد ولا سيما في بغداد ، الا ما ندر ، ومنعت اللغة العربية في دواوين الحكومة . وخربت البلاد عمرانياً ، وزراعياً ، واندثرت مشاريع الري العريقة ، وتدهورت الثقافة وعمت الأمية وتناقصت نفوس العراق من ثلاثين مليوناً الى مالا يزيد عن مليونين نسمة عند اندلاع الحرب العالمية الاولى . ولم يكن الجيش العثماني الا جيش قمع وتنكيل وابادة ، ولم تكن الادارة العثمانية الا ادارة جباية ضرائب ، ومع ذلك فان القبائل العربية والمدن العراقية وقفت مع الجيش العثماني لا حباً فيه وإنما دفاعاً عن الدين والارض ولكن الجيش العثماني سرعان ما انهار وهرب في اغلب الجبهات ولم يصمد الا في الاماكن التي كان ابناء المدن والقبائل العربية سنداً يستبسلون في دفاعهم ، في الشعيبة ، الكوت ، النجف ، الشرقاط وغيرها من مدن العراق .

دخل الجيش البريطاني البصرة من جهة منطقة الكويت .... غازياً مستعمراً ، ولم يكن في العراق كما ذكرنا للعرب جيش ولا ادارة ولا مشاركة فيهما ، فهبوا وتكونت الجمعيات الثورية المسلحة من شمالي البلاد الى جنوبيها باسلحة بسيطة وقليلة وشجاعة عظيمة .

ولم تكن ثمة قيادة سياسية وعسكرية مركزية موحدة . وبرغم ذلك قاوموا الجيش البريطاني وعساكره من الهند وغيرها وأسلحته المتطورة في حينها ، وقيامهم باستمالة بعض ذوي النفوس الضعيفة بالمحاربة الى جانبهم او الركون وعدم محاربتهم او مساندة الثوار . فاحبطت الثورة في اماكن متعددة على الرغم مما قام به الثوار من قتل قادة عسكريين بريطانيين امثال : كاولي cowley قائد الباخرة في حصار الكوت وميچل Mitchell وثورن Thorne والكابتن مارشال Marshal في النجف وبيرسن Pearson وويلي Willey وماكدونالد Macdonald في كردستان وبل Bill في الموصل ، وستة ضباط في البو كمال واربعة ضباط في تلعفر وغيرهم ، وتوجوا مآثرهم بقتل ليچمن Leachman في خان النقطة قرب ابو غريب في ١٢ آب ١٩٢٠ .

الف كاتب بريطاني اسمه هـ . ڤ . فـ . ونستن H . V . F . Winstone كتاباً في سيرة ليچمن ، منذ ولادته حتى مصرعه واطلق عليه « ليچمن القائد العام للصحراء Leachman : OC Desert » وعرف الكتاب بانه حياة الكولونيل جيرارد ليچمن (١٨٨٠ ـــ ١٩٢٠) القائد البريطاني في حرب الصحراء . نشر الكتاب في ١٩٨٢ م . وهو احدث كتاب عن ليچمن ، تتبع فيه حركاته في اصقاع مختلفة من افريقيا والهند والتبت والجزيرة العربية والعراق وارمينيا وايران ، وما قام به لتعزيز حركة الجيش البريطاني لاحتلال العراق ، وتوطيد قواعده العسكرية في أماكن مختلفة . ويتبين من ذلك ان المنطقة التي استقر فيها لم تكن واضحة ولا منقطعة عن بعضها بعضاً ولا سيما الفرات من الجنوب حيث المنتفك ، والشامية ، والنجف ، وكربلاء ، والكوفة ، والرميثة ، والحلة ، والرمادي ، وعانة ، والبو كمال حتى دير الزور . وحصل ما حصل ، كما سترى ، حتى قتل على ايدي ابطال عراقيين شجعان هم قدوة لابناء العراق اليوم في تصديهم لكل مستعمر طامع .

إنَّ ما نقدمه في هذا العرض الموجز عن حياة ليچمن ودوره التآمري في تهيئة سبل احتلال بريطانيا للعراق ، وايجاد الفرص المناسبة لذلك . يكشف بما لايقبل الشك حقيقة البريطانيين العدوانية في محاولة زرع الفتنة والشقاق بين ابناء الوطن الواحد تمهيداً لإحكام سيطرتهم المقيتة عليه .. وليكون هذا العرض عوناً للدارسين والباحثين الذين يتصدون لدراسة هذه الحقبة من تاريخ العراق الحديث .

وقد افدت في ايضاح بعض ما غمض بالرجوع الى كتب السادة محمد علي كمال الدين « الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ » وكتاب السيدين عبد الحميد العلوچي وعزيز جاسم الحجية «الشيخ ضاري » والسيد عبد الجبار العمر « مصرع الكولونيل لچمان » ولا سيما مافي الكتابين الاخيرين عن مقابلة ولدي الشيخ ضاري : سليمان وخميس بصدد مصرع ليچمن .

ليچمن وتحركاته ودوره في حرب العراق

ولد جيرارد ايفلن ليچمن في ٢٧ تموز سنة ١٨٨٠ وتخرج في الكلية العسكرية في سنة ١٩٠٠ ، وارسل الى كيب تاون في جنوبي افريقيا للدفاع عن حدود الامبراطورية البريطانية الاستعمارية ولا سيما عن الاطماع الروسية ، واشترك في حرب

البـوير (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢) التي نشبت بين البـوير (المزارعين الهولنديين) والبريطانيين بعد اكتشاف مناجم الذهب والماس والنحاس واليورانيوم والمنغنيز وغيرها من المعادن النفيسة . كانت القوات البريطانية بقيادة روبرتس Roberts و لورد كجنر Lord kitcher . تدرب ليجمن في هذه الحرب التي خسرها البريطانيون في اول الامر ثم انقلب الوضع وغلب البريطانيون ، عندئذ صار البوير يشنون حرب عصابات ، دفعت كجنر الى ضربهم واعتقال النساء والاطفال ، وبناء سلسلة حواجز من المباني لفصل مناطق واسعة ، وراحت قواته تمشط المنطقة جزءاً جزءاً بحثاً عن الثوار ، فاجبروهم على الاستسلام وعقد معاهدة ٣١ أيار ١٩٠٢ .

افاد جيرارد ليجمن من تجربته في حرب البوير وطبّق كثيراً من أساليبها في الحرب ضد العراق ، واثرت تلك الحرب في مجمل تصرفاته واخلاقه ، فقد اختلط الهدوء والعزلة بالنشاط ، ونوبات الانفجار في المزاج والصمت الطويل .

وتوسمت فيه القيادة صفات لم تجدها في غيره فكلفته بمهمات سرية ما تزال مجهولة لدى عائلته ، وحتى الاستخبارات البريطانية . ولم يدون شيئاً عن حركاته وتنقلاته فظلت طي الكتمان .

نقل ليجمن الى البنغال واقسام اخرى من الهند ، واتصل بالماسونية وتعمق فيها . وفي ١٩٠٥ ارسل في رحلة تحرٍ الى التبت ثم عاد منها ، وارسل الى كشمير في ١٩٠٦ ، وفي ١٩٠٧ ذهب الى كراجي ، ومنها ذهب في اجازة الى بلاده فمر بجزيرة هرمز في الخليج العربي حيث سمع بالكابتن وليم هنري شكسبير W . H . Shake spear الذي سيكون له دور مهم في الجزيرة العربية .

ومن هرمز ذهب الى بوشير حيث الادارة البريطانية للخليج . وانتقل الى البصرة ، واتصل بعائلة لنج Lynch ، اصحاب شركة البواخر النهرية بين البصرة وبغداد . وواصل رحلته الى الفلوجة ومنها الى عانة في طريقه الى حلب . وفي ١٩٠٧ وصل اسطنبول حيث علم بوجود نشاط دبلوماسي وعسكري للسعي الى التغلغل في البلاد العربية والقيام بتأسيس « مصادر » رسمية وسرية ، وعلم بوجود منافسة بين اميرين في وسط الجزيرة العربية للسيادة عليها ، وادعاء السلطان التركي السيادة عليهما . وعلم ايضاً بصراع الدول الاوربية على المنطقة العربية ، والتحركات السرية لبريطانيا ، وفرنسا ، وروسيا والنمسا وقيامهم باستكشاف المنطقة .

ماذا ستفعل بريطانيا في هذا الخضم المضطرب الشائك ! ارسلت شابين هما ليجمن وشكسبير . والتقى الاثنان في اسطنبول بالملحق العسكري الكولونيل سرتيس Surtees وبعض الشخصيات الارستقراطية امثال الكابتن مارك سايكس Mark Sykes (شريك الفرنسي بيكو Gcorye Picot في تقسيم الوطن العربي في الاتفاقية المعروفة باسميهما) وكذلك جورج لويد Lloyd وجون لامبتن Lambton . ومن هناك رحلا الى بريطانيا وامضيا الصيف فيها . وعاد الاثنان الى الهند في خريف سنة ١٩٠٧ ، كل في طريقه الخاص به . وصل ليجمن في تشرين الثاني ١٩٠٧ ال راو لبندي ، واوكلت اليه مهمة خطيرة هي مراجعة ودراسة (٢٠٠٠) الفي ملفةسرية مؤشرة باسم « الجزيرة العربية » . اعدتها شركة الهند الشرقية طوال قرنين من الزمان . وكان شكسبير قد راجعها ودرسها قبل اربع سنوات . ولما استكمل ليجمن المعلومات وتشبع بها واستوعبها خلال عدة شهور في سنة ١٩٠٨ اصبح عندئذ حلقة وصل حيوية بين دوائر الاستخبارات العسكرية في لندن والهند . وهذا يلقي شيئاً من الضوء على مهمته السرية دونما معرفة بواطنها الخفية . وسوف يقوم هو وشكسبير بغزو الصحارى نفسها في منافسة علنية.

وترتب على ليجمن دراسة اللغة العربية ، وزيارة كراجي ، ومسقط ، وبوشير والمحمرة ، ومسقط مرة اخرى ، والقيام بمهمات في بلاد محظورة رسمياً على الرحالة .

كانت مهمته الاولى الموكلة اليه ان يتعلم الاختلاط بالصديق والعدو ويعيش مع عرب المدن والصحراء ، ويميز بين اليهودي واليوناني والاثوري والارمني والتركي والكلداني في خضم الجماهير التي تموج في اسواق البصرة وبغداد ودمشق ، والف مدينة صغيرة بين تلك المدن الكبيرة . فان استكمل مهمته تلك واستعد لامر آخر فانه سيقوم بعدئذ برحلات اكثر حيوية في اراضٍ تقل فيها الاسواق ولا يجد من يحميه ، ولا حتى جندرمة (شرطة) عثمانيين .

جرى مسح المناطق البعيدة عن المركز عند بداية العقد الاول من القرن العشرين . وقد كان مارك سايكس قد سبق ليجمن بالقيام برحلات في سوريا والاناضول وكردستان في ايام دراسته في اواسط ثمانينات القرن التاسع عشر ، وكان يرافقه والده « تاتون » Tatton . وتلته جرترود بيل واشخاص آخرون مثل اوبري روبرت . وكانوا يقدمون تقاريرهم عما يجدونه الى الملحقين العسكريين والسكرتاريين في اسطنبول والقاهرة من طريق دوائر المستشـاريـن في دمشـق وفي تـركيـا نفسها . وقامت مجموعة اخرى من المحترفين باعمالهم التجسسية بذرائع شتى كالاستكشاف والمسح والحيل الاخرى .

وكان غيرهم من الدول الاوربية الاخرى يقوم باعمال تجسسية مكشوفة ، منهم اليهودي الالماني ماكس فون اوبنهايم

Oppenheim الاثاري المعروف بالجاسوس من القاهرة الى مسقط، واليهودي البوهيمي الويس موزل، Musil الاكاديمي المتميز ووكيل الاستخبارات الذي قام باستكشاف الصحراء العربية.

في ١٩٠٩ ذهب ليجمن الى بوشير لمقابلة بيرسي كوكس Percy Cox ولكنه لم يجده فقد كان مسافراً الى المحمرة، فاستقبله آرنولد ولسن A . Wilson الذي قدمه الى زائر آخر على شاكلتهم، هو ايلي بانستر سون E . B . Soane المعروف بجولاته السرية متنكراً بين الاكراد وقد استمتع ليجمن بصحبته. وقد بدأ هو نفسه يتعلم فنون التنكر والتخفي واخذه ولسن لمقابلة الشخ خزعل شيخ المحمرة ثم نوى ليجمن التغلغل الى معقله الثاني في المستقبل القريب. اما الآن فقد كان ملاذه في البصرة، مارسيليا الشرق، المشبع جوها بالمكائد. وانغمر في حياة المغتربين فيها ومباذلهم في بيت احد التجار الفرنسيين، في رقص وشرب حتى الثالثة صباحاً بصحبة ثلاث نساء مشبوهات، وامضى ايامه يمارس اللغة العربية.

ثم واصل رحلته الى بغداد التي وصلها في الثاني من كانون الاول ١٩٠٩ على احدى بواخر لينج. وفي بغداد التقى شخصيتين متميزتين من رجال الادارة البريطانية، هما جون گورن لوريمر Lorimer (صاحب دليل الخليج)، المقيم البريطاني المعين حديثاً بدلًا من الكولونيل رامزي Ramsy ، والشخص الآخر هو وليم ويلكوكس W . Willcocks ، مهندس الري المعروف، واستمع الى احاديثهما عن الحكومة والحكام الذين اخفقوا في دفع رواتب الجند والشرطة، في بلد كان البريطانيون والفرنسيون والالمان والايطاليون قد وضعوا قوانينهم الخاصة بهم والسير تحت شروط مواد « الامتيازات الاجنبية » المفروضة على السلطان خلال قرون من الاسراف والديون الاجنبية المتزايدة.

وواصل ليجمن الرحلة الى كربلاء حيث نزل لدى مجيد خان الامير الفارسي. وهنا سيكون مركز اعماله للاتصال بقبائل الفرات

في السنوات العشر المقبلة، وفي الكوفة زار ممثل يهود بغداد الموالي للانكليز المدعو منشي دانيال. وفي الحلة زار مدرسة الاليانس اليهودية. ثم عاد الى لوريمر في بغداد في ايام عيد الميلاد ١٩٠٩. وفي كربلاء عرّفه محمد حسن القنصل البريطاني بمبعوث بدوي ثقة وارسله الى الشيخ عبد الله من فخذ العبدة من قبيلة شمر التي تجوب البادية الشمالية للجزيرة العربية نيابة عن آل رشيد حكام حايل الذين اعترف البريطانيون بسيادتهم على حايل.

قام ليجمن برحلته متنكراً الى آل الرشيد في حايل في ١٣ كانون الثاني ١٩١٠ في ثياب عربية قذرة يرافقه دليل من بني حسن اسمه خضر بن عباس الذي كان بوسعه التنقل بين شمر واعدائهم بشيء من الامان.

وجرى اتفاق بين عدوين قديمين، قبيلتي شمر والمنتفك تحت رئاسة ابن سعدون في القسم الجنوبي من العراق للقيام بغارة لاخضاع عدوهما المشترك ابن سعود وصاحبه مبارك الصباح. كان ليجمن مبعوثاً سرياً من بريطانيا الى آل الرشيد، حلفاء تركيا، وكان في الوقت نفسه، بريطانيان آخران في تلك المنطقة، احدهما دوكلاس كاروترز D . Carruthers متوجهاً الى الجوف، والاخر شكسبير متوجهاً من الكويت الى الدهناء.

نشبت المعركة واغارت شمر على عنزه، ونهبوا خيمهم وعددهم، وكان شخص انكليزي آخر يروم الذهاب الى ابن رشيد هو كابتن بتلر S . S . Butler . وقد كان ليجمن حاضراً المعركة الى جانب عنزة وصور بعض مشاهد المعركة ثم ذهب الى خيمة ابن رشيد ومكث معهم خمسة اسابيع. وحدثت معارك اخرى اخبر شكسبير المقيم البريطاني عنها. واصبح مبارك تابعاً لبريطانيا.

رجع ليجمن وشكسبير بعد اجراء اتصالات باهم رؤساء الجزيرة العربية، وكان لوريمر يرسم خارطة للجزيرة العربية لتكون دليلًا سرياً للمصالح البريطانية في المنطقة.

وتقررت مهمات ليجمن للذهاب الى الموصل وكردستان وارمينيا وسوريا وفلسطين. وقدم تقاريره الرسمية الى لوريمر في بغداد. فماذا كانت مهماته في تلك الجهات وبمن كان يتصل ولاي شيء تقتضي تلك المهمات انتقاله مباشرة من الجزيرة العربية الى كردستان وارمينيا ؟

كانت المنطقة العربية تمور بنشاط وكلاء الدول الاوربية. وصارت كل جهة تكتب عن نشاط الجهة الاخرى. فاخذ رجل المخابرات البريطاني في اسطنبول فيليب گريفز P . Graves يكتب عن نشاط مهندسي سكة حديد الالمان في العراق وسوريا بحجة التنقيب في بابل وآشور ووصلت بعثة نمساوية للقيام برحلة الى قلب الجزيرة العربية، وكذلك بعثة هولندية، لها صلات بوكلاء المان في كوبنهاكن، لزيارة الجزيرة العربية من طريق الكويت الى الرياض، مما اضطر الاستخبارات العسكرية في لندن والقاهرة للقيام بعمل دونما استشارة وزارة الحرب البريطانية.

اصبح ملف « الرحالة الى البلاد العربية » في القسم السياسي والسري في دائرة الهند ضخماً حين قام السفير الجديد الى الباب العالي العثماني جيرارد لوثر G . Lowther باخبار سكرتير الخارجية لدى فيتزموريس Fitzmouice عن شكوكه بصدد

مؤامرات وكلاء فرنسيين والمان وصهاينة وحتى ماسونيين .
كان التعاون الحميم بين الجمعية الملكية البريطانية ووزارة الحرب في مستهل القرن العشرين قد يسّر عدداً من الرحلات السرية لاغراض جغرافية او اكاديمية مزدوجة ، وبهذا اعطت غطاء مناسباً للضباط للقيام بمهمات خاصة ، انها ذريعة استعملتها جميع القوى الكبرى .

ووجهت الجمعية الجغرافية الملكية دعوة الى ليجمن استحسنتها وزارة الحرب للقيام بزيارة مجددة الى الجزيرة العربية ، وهي ضرورية لمراجعة الخرائط القديمة لسوريا والجزيرة العربية في ضوء اكمال خطة انكليزية ــ فرنسية للحرب . وثمة حاجة ماسة ايضاً لفتح ملفات حديثة عن القادة العرب ، وتقرر ذهابه الى الرياض والقصيم . وصل ليجمن البصرة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٠ ، وحدثت امور غريبة بعد وصوله البصرة ، ولكن يجب النظر اليها على اساس نشاطات القوى الاوربية الاخرى في المنطقة . فقد قام في نهاية السنة الماضية شريف مكة بهجوم على ابن سعود . وكان ابناء شمر بقيادة ابن رشيد قد ساعدوا شريف مكة ولكن ابن سعود اعترف بسيادة شريف مكة مقابل اطلاق سراح اخيه سعد الذي وقع اسيراً في المعركة .

وفي آذار ١٩١١ التقى شكسبير ابن سعود على مشارف الاحساء ، وساله عن حقيقة اتفاق ابن سعود واعترافه بسيادة شريف مكة على نجد ، ولكن ابن سعود انكر وعلم شكسبير انه جرت مراسلات بعد المعركة بين جميع الشيوخ العرب ، وبضمنهم شريف مكة ــ وزامل رئيس حايل بالوصاية على ان يقوموا بانتفاضة ضد القوة العثمانية وجاء اقتراح للقيام بانقلاب عربي من الضباط العرب بالدرجة الاولى العاملين في الجيش العثماني ، الذين شكلوا جمعية ثورية باسم «العهد» مقرها في دمشق ولها اعضاء مهمون في بغداد والبصرة .

ذهب ليجمن بعد وصوله البصرة الى الكويت لمقابلة ابن سعود قبل مفاتحة الالمان له . ولكن المقابلة تعرقلت . فذهب الى الهند وبقى فيها حتى آذار ١٩١٢ . ثم ذهب الى انكلترة في اجازة وعاد قاصداً الجزيرة العربية . وكان جميع المسؤولين البريطانيين في دمشق والهند وغيرهما يجهلون مهمة ليجمن . وبعد لأي وصل ليجمن لمقابلة ابن سعود مبعوثاً سرياً من لندن بصدد المحادثات الانكليزية التركية لعقد معاهدة تعترف فيها بسيادة تركيا على اواسط الجزيرة العربية واعتبار ابن سعود ملكاً على المنطقة . ولما كان ليجمن سائراً في المدينة مع ابن سعود ، سأل احد الشيوخ عبد العزيز :
لماذا تكرم وفادة هذا النصراني بمثل هذا النحو؟ فاجابه ابن سعود : ان اي انكليزي ، سواء أكان نصرانياً ام لم يكن فانه صديقي ، وهو أعز عندي من كثير من مسلمي المذاهب الاخرى .

وغادر ليجمن الرياض الى البحرين وذهب الى القنصلية ليقدم تقريراً الى الميجر (تريفر Trevor) ولكنه لم يجده ، فقدمه الى صديقه ماكفيرسن Mc Pherson الذي كانت له مصالح تجارية في البحرين وفي البصرة ايضاً .

وفي سنة ١٩١٣ قرر الضباط العرب في دمشق وبغداد القيام بانتفاضة واعلان الاستقلال ، ولكن عملاء فرنسيين سريين كشفوا خطة الثورة واحبطوها .

في ٣ تشرين الثاني ١٩١٤ دخلت تركيا الحرب . وفي كانون الثاني ١٩١٥ ارسل شكسبير في مهمة الى ابن سعود طلباً لمساعدته الحلفاء . واشترك شكسبير مع الجيش السعودي في معركة ضد ابن رشيد ، حليف الاتراك فقتل عند تل جرب وعيّن ليجمن خلفاً لشكسبير . ثم عين بعد ذلك للعمل في العراق فركب باخرة سارت في شط العرب في صباح ١١ آذار ١٩١٥ ، وزوده الحاكم السياسي العام في البصرة ، پرسي كوكس بتعليمات اساسية .

دخلت بعض القوات البريطانية العراق من منطقة الكويت الى جنوبي العراق بحجة حماية النفط في المحمرة ، وكان الاولى ان يدخلوا المحمرة وعرف الاتراك بذلك ولم يفعلوا شيئاً لاعاقة تقدم تلك القوات . واحتلت القوات البريطانية الفاو ودخل الجيش البصرة في ٢٢ تشرين الثاني واعلن پرسي كوكس لاهل البصرة بان البريطانيين جاءوا اصدقاء وحلفاء ، وان دينهم واماكنهم المقدسة ستكون محترمة ، غير ان قبائل [الاحواز] قد التحقت بقبيلة بني لام وكان يقودهم غضبان البنية الشديد البأس ، وقاموا بغارة على انابيب النفط في الاحواز .

وكان ثمة خطر آخر على جناح الجيش البريطاني الايسر في ما وراء الفرات حيث اتحاد المنتفك القبلي تحت قيادة عجمي السعدون ، وكان ليجمن خصماً لدوداً له . وكانت مجموعة كبيرة من الجواسيس البريطانيين في العراق امثال كامبيل ثومپسن ولورنس و وولي وجربون وگريگسن .

سعى ليجمن للعمل في الاستخبارات المدنية والعسكرية ولانشاء شبكة خاصة به بين العرب [على غرار ماكان البريطانيون يعملون في الهند] . وصار ليجمن مسؤولاً عن تهدئة بعض القبائل من القيام باعمال ثورية ضد القوات البريطانية وعدم تعاونهم مع القبائل الثائرة وراح يعمل وراء خطوط الاعداء عند تقدم الجيش البريطاني الهندي نحو بغداد ، فاستأنف علاقاته القديمة باصدقائه في البصرة ، ولم يكتف بذلك فقد

ع .عراء الاطفال بالحلويات لجمع المعلومات ، وكذلك بعض مجموعات من الشباب الذين استطاع ان يكسب ثقتهم به .

وحاول فك الحصار في الكوت واستطاع ان يفلت من الاسر هو و ٥٠٠٠ جندي ودليله خضر بن عباس وخادمه الهندي الشاب حسن ، بعد ان تنكر ليجمن كالمعتاد بملابس عربية وتغلغل في صفوف الاتراك . ولكن القبائل العربية بين العمارة والكوت كانوا يعرقلون سير قطعات الجيش البريطاني ويقطعون خطوط الهاتف . ويطلقون الرصاص عليهم ويقتلونهم . تكبد الجيش البريطاني في عمليات حصار الكوت خسائر قدرت بعشرات الالاف من القتلى والجرحى . ولم تجد محاولات فك الحصار نفعاً برغم جهود كثير من الشخصيات والقادة البريطانيين ، واستعانوا بشخصيتين عربيتين كانا في البصرة آنذاك هما الدكتور الشابندر ، ونوري السعيد الضابط في الجيش العثماني الذي قدم خدماته للبريطانيين .

وقتل الضابط القدير كاولي وهو يقود باخرة تحمل ٢٧ طناً من المؤن الى الجيش البريطاني المحاصر ، واسر ملاحوها . وبكى عليهم ليجمن وهربرت A . Herbert وبيج Beach وهم واقفون على ضفة النهر ناظرين الى الباخرة المأسورة .

واستسلم تاونسند Townsend بعد حصار دام ١٤٧ يوماً . وقاد ليجمن كلًا من هربرت ولونس بين صفوف الاعداء للاجتماع بخليل باشا ، قائد الجيش التركي . فقال احد الاتراك لهم : لماذا لا نكف عن قتل بعضنا بعضاً ونقتل العرب بدلًا من ذلك ؟ فوجد هربرت الفكرة جيدة ولكن ليجمن لم يكن يحب التحالف مع الاتراك او العرب .

بعد ذلك وجد ان الوقت قد حان لاعادة بناء الجيش البريطاني المشتت في العراق ولا سيما في هذا الخضم من الاطماع والمؤامرات والمعارك .

ورأى ان الحرب ستبدأ مجدداً ، لذا فعليه العودة الى اماكن تردده السابقة في الصحراء لبناء سلسلة مواقع لجمع المعلومات وانزال العقوبات باولئك الرجال والشيوخ الذين سلبوا ابناء بلده في محنتهم ! فاختفى طوال سنة ١٩١٦ وقد لبس العباءة والكوفية العربيتين ، ومعه غلامه الهندي حسن الذي كان يرسله بالمعلومات الى المقر العام بين حين وحين لاطلاع القادة .

وقد كتب احد الجرحى قائلًا : كان ليجمن على اتصال بالهيئة القيادية بوصفه ضابطاً سياسياً وضابط استخبارات ، وقد علمت قبل الكارثة التي حلّت بنا في اثناء تقدمنا الى بغداد ان استخباراته ممتازة ، واخبر نكسن Nixon عن عدد القطعات المعادية بالضبط وحتى اسم كل كتيبة ، ولكن نكسن لم يصدقه ، فوقعت الكارثة ، فقد كان ليجمن قادراً على التحرك بين العرب بحرية تامة ولا يضايقه احد .

ثم ذهب ليجمن الى المحمرة . وكانت مهمتهُ هذه المرة فرض حصار صحراوي على الاتراك في اثناء اشتراك جيش مود Naude بالمعارك في الاراضي الاعتيادية بمحاذاة دجلة في طريقه الى بغداد . اصبح ليجمن القائد العام للصحراء OC Desert ، ولكن بلا جيش ، وقد استعان الاتراك بقادة المان مثل بروسير Preusser على طول نهر الفرات .

في ٩ تشرين الثاني ١٩١٧ انطلق ليجمن في ما رآه مهمة صغيرة لـ « عقاب العرب » : فكتب الى اهله رسالة قائلًا : جمعتُ (٦٠٠) خيال عربي من الفرسان الاشداء ، عبرت بهم الجسر في شيخ سعد ، ووصلنا مخيم عرب معادين لنا على بعد خمسين ميلًا وطوقناهم واستولينا على (١٠ر٠٠٠) رأس غنم ... واصاب الاعداء (٣٠٠) من فرساننا . قطعنا نحو (١٠٠) ميل فلم يبق من الغنم سوى (٢٠٠٠) رأس في خلال (٢٤) ساعة .

جاء طيارون فرنسيون لنجدة القطعات الانكليزية وحمايتها ولكنهم كانوا يخشون الطيران فوق الصحراء لئلا يمزقهم العرب ارباً اذا ما اضطروا للهبوط .

اصبح ليجمن قائداً قبلياً معترفاً به . قال عنه تيننت Tennant ، عاش ليجمن في الصحراء طوال العام في ملابس عربية ، متجولًا مع غلامه حسن بين القبائل ، ساعياً في اثر الاتراك ، يقوم بالتنظيم وفرض القوة لاخضاع بعضهم ، والحصول على المعلومات المهمة . كان رأسه مطلوباً ، وعاش وهو يحمل حياته على كفيه ، فقد جرت ثمان محاولات جريئة في ثلاثة اسابيع لقتل ليجمن بعد مطاردته قبائل الفرات . وقد جاء الى شثاثه بسيارته المحملة بقنابل ملز ومعه خادمه حسن ، فقد كان فيها بعض جيوب المقاومة ، بقي خادمه في السيارة ، وحمل هو بعض قنابل ملز في جيوبه وبندقية اوتوماتيكية . وتوجه الى ساحة القرية حيث ترتاح القوافل المتوجهة الى الشام وتطعم حيواناتها وتسقيها الد ء . ولما اقترب اطلقت النار عليه من عدة زوايا فاضطر الى التراجع . وكان شاب عربي على سطح احدى الدور قريباً اليه ، وكان الرمي على ليجمن عشوائياً . وواصل الشاب على سطح الدار الرمي ولكن لم تصبه اي رصاصة ، فنزع ليجمن مسمار قنبلة واقترب ثم رمى القنبلة على السطح فتفجر البيت والقناص .

وفي شباط ذهب الى البصرة لتلقي التعليمات النهائية عن الحملة التي ستحقق الهدف المنشود .. ثم ارسل الى القاهرة حيث التقى سلطان مصر في قصر عابدين وقادة انكليز مرموقين ثم ذهب الى الحجاز حيث اجتمع في (رابغ) و (الوجه) بفيصل

ولورنس وقد شكك لورنس باخلاق ليجمن لملاحقته خادمه دون هوادة مما اثار فضيحة في المعسكر فاضطر الى وضعه في سفينة وابعاده الى القاهرة .

وفي اثناء غياب ليجمن عن العراق قتل اثنان من اصدقائه القادة في العراق هما « ميجل » و « ثورن » .

ونقل ليجمن بعدئذ من العمل العسكري الى إمرة بيرسي كوكس للقيام بمهمات سياسية ، ولا ينكر أحد من الانكليز انه الرجل المناسب للمناطق الصعبة .

وحدثت اضطرابات في كربلاء فعاد اليها واقام مقره فيها مع « رودويل Radwell » . جاء الى البادية التي اعتادها خارج كربلاء حيث التقى فهد الهذال اول مرة قبل عشر سنوات . واستأنف حياة التجوال على فرسه ، وكان المسؤول الوحيد اغلب سنة ١٩١٨ عن منطقة شاسعة من بادية الفرات ، جنوبي النجف الى الرمادي في الشمال ، وكانت المنطقة تغلي بثورة غير معلنة .

وفي ٢١ آذار ١٩١٨ قتل الكابتن « مارشال » ، الحاكم السياسي في النجف . سمع مارشال صوت اطلاق رصاص من بندقية خارج بيته ولما فتح الباب ليرى ماذا يجري ، اطلق الرصاص عليه من قرب وقتل واصيب ضابط آخر جاء لنجدته .

ولكن السيد محمد علي كمال الدين في كتابه الثورة العراقية الكبرى يذكر حقيقة مقتل مارشال . فقد قرر حزب النهضة الاسلامية السري قتل الحاكم السياسي مارشال . دعا الحاج نجم المعروف بالبقال رئيس احدى كتل الحزب الثلاث ، دعا الجناح الفدائي الذي اتفقوا على تسميته بالجناح الدموي . وكان عددهم مئتي شاب مسلح ، حضر نحو مئة عضو اختاروا عشرين رجلًا وبقى الآخرون قوة احتياطية وقاد الحاج نجم البقال الفرقة الفدائية في الساعة الواحدة بعد منتصف ليل يوم ١٩ آذار سنة ١٩١٨ ، اقتحموا السراي بعد قتل الحارس الهندي بخنجر محسن ابو غنيم . وتوزعوا مفتشين حجرات السراي ولكن الكابتن مارشال والطبيب وضابطاً آخر كانوا نائمين على اسرة في وسط ساحة السراي . صوّب الثلاثة مسدساتهم الى المهاجمين واصابوا بعضهم ، وسرعان ما اصلى الحاج نجم وجماعته الثلاثة بنيران اسلحتهم واجهز الحاج نجم البقال بنفسه على مارشال وارداه قتيلًا .

حل محل مارشال الميجر بلفور حاكم الشامية وجرت محاولة اغتياله الا انه نجا من القتل . وجرد الثوار في النجف بعد مقتل مارشال من اسلحتهم وحوصرت النجف خمسة واربعين يوماً وفرضت شروط قاسية على المدينة للاستسلام .

وتشكلت محكمة برئاسة بلفور وعضوية ليجمن وضابطين آخرين ومترجم مصري اسمه جاد غاوي . اصدرت حكمها في مايس ١٩١٨ باعدام احد عشر شخصاً ونفذ الحكم في ٢٠ مايس وكان اولهم الحاج نجم البقال . ونفي كثير من الثوار الى خارج العراق .

كان ولسن الذي تولى الادارة المدنية من وليم ويلكوكس ، قد كلف ليجمن بمسؤولية تعقب القاتلين . واستفاد ليجمن من سور المدينة في حصارها في الوقت الذي كان يجوب البادية متنكراً ، كشيخ من الشيوخ ، مفتح العينين والاذنين ، من اجل معرفة قتلة مارشال . وجرت محاولة اغتياله من شخص كان في احدى بساتين المسيب في اثناء مروره من هناك .

كان ليجمن يختفي في حياة البادية ولا يعلم عنه احد شيئاً واذا صدر طلب عاجل بحضوره الى بغداد فانهم يرسلون مبعوثاً خاصاً للاتصال به .

في ربيع ١٩١٨ . علمت الاستخبارات البريطانية وجود اتفاق بين شيوخ بغداد والفرات للقيام بعصيان مسلح ، بتحريض من جمعية العهد ، وجمعية الفتح في مصر بتمويل مما كان يدفع من كميات كبيرة من الذهب الى شريف مكة واولاده لمساعدتهم في محاربة الاتراك والالمان .

لما عاد ليجمن الى النجف من بغداد في شباط ١٩١٩ ، اخذ ١٢٠ فارساً من عنزه يقودهم متعب بن فهد الهذال الى آبار اللطيف على مسيرة يومين من النجف كما ذكر فهد الهذال في ملاحظات له كتبها قبل موته في سنة ١٩٢٨ قائلًا : صادفوا قافلة تحمل بضائع من السماوة الى الاتراك ، فهاجمها ليجمن وهو على رأس فرساننا ونجح في أسر الرجال والاستيلاء على البضائع ثم ذهب الى بغداد مسروراً ... وما ان عاد ليجمن الى العشائر حتى وصله خبر مقتل مارشال وقد اكتشف بعد قليل ان الجماعة التي هجمت على باب الحاكم السياسي [مارشال] كان يقودها عطية ابو كلل [كذا] الزعيم العربي في النجف . وبعد مقتل مارشال لاذ عطية ابو كلل واعوانه ببادية الشامية في الجنوب والتجأوا الى عجمي بن سعدون ، رئيس المنتفك . فأمر الكولونيل [ليجمن] ولدي متعب بالهجوم على عطية وعلى جماعته وكان عددهم ١٢،٠٠٠ من المحاربين الاشداء وكان ولدنا على رأس عشرة آلاف يرافقهم ليجمن . هاجموهم ودحروهم واستشهد ست مئة من رجالهم والسبب في ذلك قيادة الكولونيل ليجمن الشخصية . ولما رأى عطية ان المعركة كانت موجهة ضده هرب على حصانه الى الشنافية طالباً حماية حاكمها السياسي .

ذهب الكولونيل [ليجمن] بعد تلك الغارة الى بغداد ، وبعد مداولة مع ولسن ، عاد ليجمن وأمر بالهجوم مجدداً على عجمي السعدون أفضل عون لأعداء بريطانيا بين العرب ... كان عجمي

مصدر خطر مستمر فجرد ليچمن حملة من آلاف المقاتلين من رجالنا وقادهم مع ابني متعب وانطلقوا يرومون القبض على عجمي وتتبعوه شهراً حتى هرب ودخل جبل سنجار وعبر النهر والتحق بالاتراك ...

اصبحت مسؤولية ليچمن عندئذ تمتد من منطقة كربلاء الى منطقة قبائل الدليم في اعالي الفرات .

ولكن اقوال فهد الهذال وادعاءه ان عطية ابو كلل كان على رأس المهاجمين لقتل الكابتن مارشال يذكرها كتاب « الثورة العراقية الكبرى » للسيد محمد علي كمال الدين بالقول : ان جماعة عطية ابو كلل استولت في شهر نيسان ١٩١٧ على قافلة تجارية لقبيلة عنزة الموالية للانكليز ، من جماعة فهد الهذال فاستاء الحاكم البريطاني واتهم عطية ابو كلل بالمتاجرة بالمواد المحرمة ... وان جماعة عطية ابو كلل اطلقت الرصاص على مفرزة هندية وقتلت جندياً وجرحت آخر . وبعد مرور شهرين على ذلك امر بلفور يطلب حضور عطية ابو كلل وكاظم صبي وكريم الحاج سعد اليه لمحاسبتهم عن قضية نهب قافلة عنزة فحصلت مشادة بينهم ، صفع كاظم صبي على اثرها بلفور فاطاح قبعته . عززت القوات البريطانية بقوات اضافية . واكتفوا بنفي ابو كلل الى البادية في أواخر ١٩١٧ . ولكن لجمن ، حاكم البادية الجديد ، اوعز الى صنائعه من عنزة ان يغزو ابو كلل على حين غرة فانتهبوا بيوته وجميع امواله وشتتوا عائلته وجماعته وبقي ابو كلل وحيداً في البادية فجاء الى الشنافية وتقدم الى حاكمها فاحاله الى محكمة الكوفة التي حكمت بنفيه ، ونفي اولاده الى الهند في أواخر ١٩١٧ كما ذكر آنفاً ، في حين ان مارشال قتل في ١٩ آذار ١٩١٨ يوم كان ابو كلل منفياً الى الهند . لقد ذكر فهد الهذال ذلك ليبرر عمليته تلك في الانتقام من عطية ابو كلل وجماعته ومن آل السعدون المناهضين للاحتلال الانكليزي بعد ان التجأ اليهم .

وصدر الأمر الى ليچمن بالالتحاق بجيش الجنرال كوب Cobbe في اثناء تقدمه نحو الموصل وكردستان . ووضعت طائرة تحت تصرف ليچمن لكي يبقى على اتصال بشيوخ عنزة وبعض الشيوخ الموالين في منطقة الدليم الذين تعاون بعضهم مع الاتراك ، وهي الآن تنذر بالخطر .

ولا يفوتنا ان نذكر ان الجنرال مود قد مات في تشرين الثاني ١٩١٧ في ظروف غامضة وتقارير متضاربة عن موته ، ولعله مات مقتولاً في اغلب الظن ، وظل السر مكتوماً .

توجه ليچمن ، بعد صدور الامر المذكور آنفاً ، الى الشرقاط واشترك مع ضباط آخرين في تطويق الجيش التركي المتراجع واسروا اكثر من ١١٫٠٠٠ جندي وعين ليچمن حاكماً عسكرياً على ولاية الموصل وظل يراقب نقاط القلق على الفرات ، فضلاً عن حكم أشد مناطق الامبراطورية العثمانية جموحاً وتمرداً على الحكم . وقبل التحاقه بالجيش المتوجه نحو الموصل على نهر دجلة قام بزيارة سريعة بالطائرة الى منطقة الدليم ، وأمر متعب الهذال بمهاجمة شمر ، ولكن متعب مات متأثراً بجروحه في المعركة . وعاد ليچمن في سنة ١٩١٩ بالطائرة من الموصل ليأمر محروث بن فهد الهذال الآخر للقيام بمهاجمة القبيلة نفسها التي كانت موضع ازعاج على طول نهر الفرات ، وحين كان محروث يلاحق شمر قام ليچمن باستطلاع من الطائرة فوجد ان شمر كانوا هاربين ودخلوا المنطقة التركية . فامر محروث بالعودة ، على ما ذكر فهد الهذال .

وذهب ليچمن بالطائرة الى الجبال لتصحيح ما كانت تقوم به قبيلة كردية مناهضة .

وتنامت المعارضة في اثناء سنة ١٩١٩ وغدت تمرداً مكشوفاً . وقتل ثلاثة حكام سياسيين في كردستان هم : النقباء بيرسن و ويلي و ماكدونالد ، فقرر ولسن ان يتمتع ليچمن باجازة في بلاده ، وعين في محله موظفاً مدنياً من الهند له تجربة يمتد بها في تشرين الاول ١٩١٩ اسمه ج . هـ . هـ . بل . ولم يكن هذا ناجحاً في كبت نداءات الجهاد ، فقتل هو ايضاً على يد متمرد كردي خلال شهر من تعيينه . وبعد ذلك بأيام قتل الكابتن ووكر Wallker ، صديق ليچمن .

وذهب ليچمن الى بلاده يصحبه خادمه حسن ولكنه تسلم برقية من ولسن في بغداد تطلب اليه العودة . فقد كانت البلاد في حالة اضطراب عظيم . ووجد ليچمن نفسه والدنيا قد تغيرتا . مات ابوه وشاخت امه ، وامتصت سنوات الخدمة العسكرية المتواصلة دون انقطاع حيويته وقوته ، ولم يكد يبلغ الاربعين ولكنه شعر بالشيخوخة ، بل بدا شيخاً مسناً .

في أواخر شهر كانون الاول ١٩١٩ استدعت دائرة الهند ليچمن الى لندن لتسند اليه الوكالة السياسية في الكويت ليحل محل شكسبير الذي قتل في معركة ضد ابن الرشيد ، ولكن ليچمن رفض الدعوة واعلن انه سيعود الى مناطقه الحربية لان العراق قد يكون على حافة انفجار هائل . وكان ولسن يعتمد عليه اكثر من غيره في زمن الاضطرابات .

عاد ليچمن الى العراق من لندن بسيارته الخاصة التي اشتراها في لندن ، وفي ٣ آذار ١٩٢٠ ذهب بناء على طلب ولسن الى الجبهة في الرمادي . ولدى وصوله مركزه الجديد ، كان القوميون العرب في دمشق والقاهرة قد اعلنوا فيصلاً « ملكاً على سوريا » واخاه عبد الله « ملكاً على العراق » . واجتمعت مجموعة من الشخصيات سراً في بغداد لاعداد صيغة للمطالبة بالاستقلال

العربي . والتقت جرترود بل بممثل الجماعة في ما بعد واثنت على « مشاعرهم الودية » التي نقلتها الى الحاكم العسكري الجنرال ايلمر هولدين A . Haldane ، خليفة مارشال . وصدقتها القيادة العامة فايقت الجنود في التكنات . وتبع فيلبي Philby ، من ضباط ولسن الصغار ، ليجمن في نزهته في مناطق قبائل الدليم بشيء من الافتتان . ووصل ليجمن الرمادي ومنها ذهب ومعه حسن بالطائرة الى البو كمال حيث جبهة ولسن المتقدمة في حربه الخاصة ضد العرب ، كما يقول فيلبي : وقد وجد ستة ضباط قد قتلوا قبل عشرة ايام . فانتقم انتقاماً شنيعاً اذ قام ومعه جماعة من الجند وبعض الموالين له بقتل المتهمين وحرق عشرة أميال من الاكواخ ، وساق الماشية ودمر كل شيء وقع بصره عليه وأباد القلة من العرب الذين وجدوا الشجاعة الكافية في انفسهم لمقاومته . وقال عنهم : هم أسفل السفلة ، ولكنهم خطرون جداً ...

ويعود ليجمن مسروراً الى بغداد بعد ان لقن اشباه البدو درساً ، على حد تعبيره ، وقال : « سابقى هنا حتى اجعلهم تحت سيطرتي . وعندئذ ساعود الى الرمادي حيث « كارفر » وقلة من الضباط الذين لا تزيد اعمارهم عن ٢٥ عاماً » .

وبدأت الامدادات العسكرية تصل من بريطانيا والهند ، جنود صغار لا خبرة لهم بالحرب ، ليحلوا محل الجنود الذين سرحوا بعد الحرب . وارسلت هيئة المساعدين العسكريين القديمة الخاصة به ، وخيوله وكلابه من الموصل ليلتحقوا به والبقاء بصحبته في المنطقة القديمة التي عاد اليها .

في نهاية آذار كتب الى اهله : « اننا متورطون في متاعب عسيرة . ان السبب الذي يدعو الى وجوب بقائنا للسيطرة على هذا الوضع من العراق الذي انا فيه الآن يدفعني الى الخيبة . »

كان فكره مشغولاً بمسالة جمع الغرامات المفروضة على ابناء قبائل البو كمال التي يرفضون أداءها على الرغم من قصفهم بنحو منتظم بالقنابل التي يبدو انهم لا يعيرونها اهتماماً كبيراً .

وكان من نتائج محادثات السلام في باريس ومطالبة القوميين العرب أن دعيت بلاد الرافدين بالعراق ، وصارت المنطقة الممتدة من دير الزور الى البو كمال جزءاً من سوريا . ويبدو ان العراق كان جزءاً من مؤامرة اوسع واكثر تعقيداً مما يتصور المرء .

في ظل هذه الاوضاع كتب أحد رفاق ليجمن في الصحراء ، العريف فرانك ونك Frank Wing ان ليجمن اعتاد استخدام كثير من الاطفال الذين كان يدفع لهم مبلغاً ضئيلاً ، واستخدم رجلاً لتدريب جيشه من الخيالة للقيام بدوريات في الصحراء ومساعدته في جباية الضرائب ... وكانت له دائرة في الرمادي ، وأصبح جدار الحجرة التي يعمل فيها كالغربال من الرصاص الذي اطلقه العراقيون ليلاً ذات مرة ولم يصيبوه ... وخرج جنوده يتعقبون جماعة اغارت على اسلاك التلغراف على طريق دمشق وقطعوها ، ولحقوا بهم وامسكوهم وقتل كثيراً منهم .

وفي ٣٠ أيار اخذ ليجمن ثلاث سيارات مدرعة لقمع معركة شجرت بين قبيلتين شرقي القائم .

وكتب العريف فرانك قائلاً : جاء الكولونيل ليجمن الى المعسكر في الرمادي باوامر سرية ، فقد قام بعض العرب المعادون باخذ ضابطين اثنين من ضباطه السياسيين رهينتين الى عانه وطلبوا مبلغاً باهضاً ثمناً لهما . اختار ليجمن ضابطين وستة جنود ، فضّل ان يكونوا غير متزوجين اذ لم يكن رجوعهم سالمين محتملاً لوجود آلاف العرب المقاتلين في عانة ونصحهم ان يكتبوا وصاياهم ان كان لديهم ما يتركونه ... فقد قرر ان تكون مهمتهم الضرب بعنف والقاء القبض على الخاطفين ... وانطلقوا ليلاً الى هيت قبل طلوع الفجر وجاء احد الجواسيس واخبرهم ان العرب حفروا حفرة عميقة فقطعوا الطريق الى حديثة . وقرر ليجمن الاختباء حتى المساء والقيام بدورة في الصحراء والاتجاه الى عانة . وفي الساعة الرابعة عصراً جاء مخبر آخر بتقرير ان الضابطين قد قتلا . لذا رجعوا الى الرمادي خائبين .

هكذا كان العمل اليومي لرجل هيمن على بادية الفرات والمناطق التي سيطر عليها اعداؤه خمس سنين قاسية . ولم يفش يوماً سر حقيقة طبيعة عمله حتى لعائلته .

وكتب هذا العريف يقول : انهم حين تركوا البو كمال كانت المنطقة بكاملها قد انتفضت وهجموا عليهم ولكن ليجمن وجماعته قاتلوهم بضراوة شديدة على طول طريق العودة الى عانة ، ٧٠ ميلاً . كان المهاجمون العرب في جميع ارجاء المنطقة في الوقت الحاضر وكنا في وضع نستطيع تسديد الضربات اليهم ... وكنت امضي ساعات في الجو امطر مخيماتهم بالقنابل ... انني لا ارى نهاية لهذا الاهتياج العظيم وعلى الرغم من انه عنيف ، غير مريح وخطير فانه أفضل من الجلوس في مكتب الادارة .

انتفضت العشائر في كل مكان من الشمال الى الجنوب وقتل مزيد من الضباط .

وقد اخبر ولسن الاستخبارات تحت عنوان : مساعدة مالية للمتطرفين » بانه « امسك الذئب من اذنيه » . ولكن وزارة الخارجية هي التي مسكت من اذنيها . فقد جاءتها احتجاجات تطالب بـ « فرص متساوية للمواطنين الاميركيين في مفاوضات امتياز النفط »

تجديد الانتداب البريطاني على العراق ... بناء مصفى للنفط شمالي بغداد واعادة النظر في امتياز حقول نفط الموصل .

وقد أصبح الاستعمار النفطي صفقة منافسة في حلقة الاحداث المفرغة التي توشك ان تنفجر في اي لحظة في ثورة عارمة . وتدفع ولسن من الدائرة السياسية الى الترحيب بالسلاح القادم من شركة النفط الانكليزية ــ الفارسية .

وفي حزيران ١٩٢٠ رأى ولسن جمعية من خمسة عشر عضواً من ابناء بغداد تطالب بمجلس تاسيسي بدل الحكومة الموقتة على ان تضمن عصبة الامم ذلك ... وتقل ولسن خبر مقتل اربعة ضباط في تلعفر ، قرب الموصل . وطالب بزيادة جيش مسلح لجعل الانتداب فاعلاً ... فعُين پرسي كوكس مندوباً سامياً في العراق بدلًا من ولسن وصار يتلقى تعليماته من كيرزن Curzon . وطردت فرنسا حكومة فيصل من سوريا .

وقد قال ليچمن في اوائل تموز ان الاضطرابات مروعة في العراق ولكن فرقتي العسكرية مستتب الأمن في أرجاء نفوذها ... وأن الطريقة الوحيدة للتعامل مع القبائل الآن هي المذابح بالجملة في المناطق المتمردة .

واوضح ليچمن ذلك في رسالة الى عائلته قال فيها : اننا نعاني آلاماً مبرحة من صراع داخلي . إذ يبدو ان العراق جميعاً يحاربنا ، ولكني سعيد لان منطقتي ، التي اسيطر عليها برجال القبائل وهي تمتد ١٥٠ ميلًا من الرمادي الى الحدود ، هادئة . ليس لدي جيش ، كارفر وحده مع ٤٠٠ من السقاحين ، قاطعي الحناجر في عانة ، على بعد ١٣٠ ميلًا ، ولدي بعض الضباط المتناثرين في نقاط متباعدة .

وكتب ولسن : « يبدو ان ليچمن كان واثقاً مطمئناً لانه ما دام علي السليمان مسيطراً على الدليم فليس ثمة مشاكل خطيرة بين بغداد والفلوجة او الى شماليها . وقد ترك دائرتي في نحو الحادية عشرة من صباح اليوم التالي قائلًا : انه سيكون في الفلوجة في الساعة الثالثة ، وسوف يرسل لي برقية . واضاف انه اخبر الشيخ ضاري ان يقابله في خان النقطة في منتصف المسافة بين بغداد والفلوجة »

نتساءل لماذا ذهب ليچمن هذه المرة الى ولسن في بغداد ؟ ولماذا رتب لقاءه بضاري على الطريق ؟ ومتى حدد الترتيبات هذه ؟ .

ليس ثمة دليل في اي جملة من كلام ولسن ومن تقارير المخابرات ، فقد جاء مباشرة من الرمادي وليس ثمة ما يوحي انه التقى اياً من شيوخ الدليم في طريقه . ثمة اراء متضاربة بهذا الشأن ، يحسن الرجوع بشأنها الى كتاب الشيخ ضاري تاليف العلوجي والحجية .[٢]

ولا ريب ان ليچمن علم بشأن تكوين مجلس عسكري يكون حاكم بغداد العسكري رئيساً له ، ومعاونه نائباً ، وعضوين من الموالين واصدر أمراً بالقاء القبض على المندوبين الخمسة عشر الذين قدموا مطالبهم بشأن استقلال العراق فهرب من هرب والقي القبض على بعضهم وحكم على آخرين بالنفي خارج العراق ، وعلى جماعة اخرى بالاعدام [٣] .

اقول : لا ريب ان ليچمن يعلم بذلك لانه حين التقى الشيخ ضاري اخبره باعتقال الشيخ احمد الداود وهرب يوسف السويدي وجعفر ابو التمن ، فامتقع وجه الشيخ ضاري وبقي ساكتاً والكربة ترتسم على وجهه .[٤]

ذلك ان ليچمن على علم بصلة الشيخ ضاري بقادة الثورة واخباره بذلك كان تهديداً له واحباطاً لمعنوياته .

لم تكن منطقة الدليم منعزلة عن الثورة في الفرات الاوسط وفي بغداد فقد هبوا لمقاومة الاحتلال البريطاني وقلعوا سكة الحديد من جنوبي المحمودية الى شماليها وانهالت جموع الثوار على القطار القادم من بغداد الى الحلة بالرصاص وقتلوا من جند الانكليز اكثر من مئة وخمسين جندياً وغنموا كثيراً من السلاح والعتاد . ولما سمع ليچمن بتخريب السكة واشتعال الثورة في المحمودية وغيرها ، استدعى رؤساء العشائر في المنطقة فاستجاب له بعضهم ولكن الشيخ ضاري امتنع وتذرع بحجج مختلفة .

الكابتن وليمز مدير شرطة منطقة ليچمن كتب بعد سبع سنوات من مقتل ليچمن قصة مفصلة معقولة في جريدة الديلي ميل Daily Mail قال : « في ١١ آب أمضيت الليلة نائماً في خيمة الشيخ ضاري . وكان ضاري غائباً لحل بعض المنازعات العشائرية ولكني في الحقيقة وجدت في ما بعد انه كان يتداول مع بعض الشيوخ المعادين [لنا] . عدت في اليوم التالي الى الرمادي لتقديم تقرير الى الكولونيل ليچمن بان البلد قد هبّ مستعداً للحرب . فانطلق الكولونيل ليچمن الى بغداد للتشاور مع مركز القيادة وفي طريقه بعث رسالة الى الشيخ ضاري انه يريد لقاءه في خان النقطة .

ولما عاد كان ضاري وولداه ، وحرس قوي من الفرسان العرب بانتظاره . وكان ليچمن وضاري منهمكين بالنقاش حين وصل تجار عرب قالوا : ن قافلتهم تعرضت للسلب ، فارسل الكولونيل ليچمن فوراً الاثني عشر رجلًا من الشبانة (الشرطة العرب) في النقطة لالقاء القبض على اللصوص ، وارسل ضاري ابنه الاصغر وثلاثين خيالًا لتعزيزهم . وبذلك لم يبق في الخان سوى حارس واحد ، واقترح الكولونيل ليچمن على ضاري ان يذهبا الى خيمة ضاري فقال ضاري ان الطريق رطب لا يتحمل سير السيارة ، فترك المركز وعاد مع ابنه خميس وبعض رجاله وامرهم ان يطلقوا النار على

الكولونيل ليجمن وهو جالس داخل مركز الشرطة . قد تكون القافلة المنهوبة حقيقية إم غير حقيقية ، غير ان خيالة ضاري سيطروا على الشبانة في الطريق على بعد ميلين ، وانطلق ضاري وولداه مع منتي خيال ... وهربوا اخيراً الى المنطقة التركية .

غير ان الشيخ سليمان بن الشيخ ضاري يلقي الضوء الحقيقي على دور والده في الثورة العراقية وعلى مصرع لجمن فيقول : ان لوالده الشيخ ضاري يدأ في ثورة العشرين وكانت له مراسلات مع كربلاء والنجف وبغداد . وقد جمع لجمن ذات يوم رؤساء القبائل في الرمادي وكان ابوه معهم . وقال لجمن انه يود الوقوف على رأيهم لانهم يطالبون السلطات الانكليزية بقيام حكومة مستقلة فنهض ابي ليقول : يا لجمن ، ليس في ديننا سنة ولا شيعة ، نحن دين واحد وعراق واحد وكلمة واحدة واجماع على تشكيل حكومة وطنية ، فاذا لبيتم مطاليب الثورة فان الاستقرار والامن يسودان العراق ، وانني في موقفي اخاطبك بلسان المجتمعين ...

وغضب لجمن وحقد على أبي . وبعد مرور شهر او اقل ارسل لجمن رجلين من الشبانة لتبليغ ابي بوجوب مقابلة لجمن صباحاً في مخفر (ابو منيصير) بجوار خان النقطة . واعتذر ابي ... وفي ضحى يوم الخميس ١٢ آب ١٩٢٠ وافق ابي على مقابلة لجمن . وتحرك الى خان النقطة بصحبة أخي خميس وابني عمي مجباس : صعب وصلبي وانا وجماعة من زوبع ... وكان مجموعنا عشرين نفراً .

ثم يروى الشيخ سليمان كيف بلغت المشادة بين لجمن والشيخ ضاري واهانته له .. ولما خرج من باحة المخفر الى المجاز القريب من الباب الرئيس اقتحم سليمان وجماعته المكان فامطروا ليجمن بثلاث طلقات الى راسه وكتفه وظهره . واراد ليجمن ان يختطف بندقية من المشجب القريب ولكنهم أصلوه بثلاث طلقات أخرى وأردوه قتيلاً ، ثم اجهز الشيخ ضاري عليه بضربة شديدة الى رأسه .[٥]

وعلى اثر مقتل ليجمن هبت عشائر زوبع واحلافهم لمجابهة الانكليز واحلافهم الذين استعملوا الطائرات والمدافع واسقط الثوار طائرة واسروا ضابطين كانا فيها . وكلف الانكليز فهد الهذال بالتوسط لدى الشيخ ضاري باطلاق سراحهما ، واستجاب الشيخ ضاري لطلب فهد واطلقهما .

وهدد علي السليمان الشيخ ضاري بالخروج من ديار الدليم وسحب جيشه منها خلال اربع وعشرين ساعة[٦]

واتسعت شرارة الثورة في كل مكان في الجنوب والوسط والشمال ، المنتفك وكفري وقتل ضابط آخر اسمه سالمون في الكوفة ، ووثارت الحلة ، وسامراء ، وديالى ، وأماكن اخرى .

ولكن الجيش البريطاني واتباعه قاموا بقصف قلعة الشيخ ضاري قرب خان النقطة واقترفوا اعمالاً عدوانية رهيبة فاحرقوا قرى زوبع ، وخيمهم ، وقرى وخيم احلافهم وقتلوا النساء والاطفال ..

وقال هولدين : لو كان بعض شيوخ منطقة الدليم واتباعهم مشتركين بالثورة لاثر الثوار في موقف الحكومة البريطانية ، ولكانت بغداد في خطر عظيم مؤكد.

وانسحب الشيخ ضاري واولاده ورؤساء قبيلته ، وامر ولديه بالذهاب الى الشمال ، اما هو فقد ذهب الى الوند .. قرب كربلاء ثم الى النجف ومنها الى الشامية واحتفي بهم حيثما حلوا ... واخيراً اتجهوا نحو الجزيرة حيث كانت زوبع على ابلها ورحلوا جميعاً الى مناطق شمر في الشمال قرب سنجار حيث استقروا هناك .[٧]

وهكذا تمكن الثوار العراقيين من قتل ليجمن ليكون عبرةً لمن يريد ان يدنس ارض العراق ، ويتنكر لمطالب ابناء العراق والامة العربية المشروعة في التحرر والاستقلال .

الهوامش

Leachman : « OC Desert » by H . V . F . Winstone

٢ ــ الشيخ ضاري قاتل الكولونيل لجمن في خان النقطة تاليف عبد الحميد العلوجي وعزيز جاسم الحجية ، مطبعة اسعد ١٩٦٨ ، ص ص ٤٩ ــ ٥٧ .

٣ ــ الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ تاليف السيد محمد علي كمال الدين ، مطبعة التضامن ، منشورات دار البيان ١٩٧١ ، ص ص ٢٢٠ ــ ٢٣١ .

٤ ــ الشيخ ضاري ، العلوجي والحجية ص ٥١ .

٥ ــ الشيخ ضاري : العلوجي والحجية ، ص ص ٤٩ ــ ٥٤ . مصرع الكولونيل لجمان ، عبد الجبار العمر ، دار الشؤون الثقافية ١٩٨٦ ص ١١٢ واماكن اخرى .

٦ ــ الثورة العراقية الكبرى ، محمد علي كمال الدين ، ص ص ٢٥٨ ــ ٢٦٠ .

٧ ــ الشيخ ضاري ، العلوجي والحجية ص ص ٦٩ ــ ٧٠ .

جزء فيه تعاليق من النحو واللغة وابيات معان عن السيرافي رحمه الله

" دراسة وتحقيق "

د. محمد عبد المطلب البكاء

د. مي فاضل الجبوري

نضع بين أيدي طلاب العربية كراسا قديما يحمل جانبا من دروس السيرافي في طلابه. وكان يدرس النحو ولا سيما كتاب سيبويه وشرح الكتاب وكان يقرأ عليه القرآن وقراءاته ويقصده الناس من الاقاصي ولم يكن له نظير في علم العربية وكان يدرس التفسير والفقه واللغة والشعر وما يتعلق به من عروض وقواف ومعان .وكان له علم بالكلام والحساب وقام بتدريسهما.

وهذه القطعة الصغيرة من دروسه وهي مدونة طالبه ابي القاسم عبيد الله بن محمد بن جرو الاسدي تبين لنا تنوع معلومات ذلك العالم الفذ ولعل ابرز ما فيها ابيات المعاني التي قام بتفسيرها فهذه الابيات ليست شائعة بحيث يسمح لتتبعها العثور عليها في المصادر او نسبها الى اصحابها . ان ذلك من دلائل تعمقه في الاطلاع وثراء علمه وتفرده ولا ريب .

فقبيل ان نجلس قريبا من ابي القاسم الاسدي ونسند ظهورنا الى اعمدة قاعة الدرس ولعلها احدى قاعات جامع الرصافة الذي افتى فيه السيرافي خمسين سنة و قبيل ان ننصت الى صوت السيرافي على البعد لحظة الدرس نقدم شيئا عن هذا المخطوط الثمين الذي لم يذكر في مؤلفات السيرافي وتعريفا بصاحبه .

السيرافي : هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان، ابو سعيد السيرافي النحوي(١).

والسيرافي (بكسر السين وسكون الياء) نسبة الى مدينة (سيراف) هذا ما اتفقت عليه كتب التراجم التي ذكرته ، ومنها اصله ايضا، قال ولده ابو محمد يوسف: اصل ابي من سيراف وبها ولد. وكان اسم ابيه بهزاد فسماه ابنه ابو سعيد عبد الله.

ولادته : كانت سنة اربع وثمانين ومائتين، وهو ماذهب اليه الخطيب البغدادي، قال: حدثني هلال بن المحسن، قال: توفي القاضي ابو سعيد يوم الاثنين، الثاني من رجب، سنة ثمان وستين وثلثمائة ، عن اربع وثمانين سنة.

قال ابن النديم: مولده بسيراف، وفيها ابتدأ بطلب العلم وخرج عنها قبل العشرين، ومضى الى (عُمان) وتفقه بها ثم عاد الى (سيراف) ومضى الى (العسكر) فأقام بها مدة ولقي محمد بن عمر الصيمري المتكلم وكان يقدمه ويفضله على جميع اصحابه وقال ياقوت: وبها قرأ فيما أحسب على المبرمان .

---

(١) تنظر ترجمته وما قيل عنه في هذا البحث في : طبقات النحويين ١١٩ ، الفهرست ٦٢ ، تاريخ بغداد ٢٤١/٧ ، الانساب ٢٢١ ، معجم البلدان ١٤٥/٨ ، انباه الرواة ٣١٣/١ ، وفيات الاعيان ٧٨/٢ ، تاريخ ابي الفدا ١٢٦/٢ مرآة الجنان ٢٩٠/٢ ، لسان الميزان ٢١٨/٢ ، النجوم الزاهرة ١٣٢/٤ ، بغية الوعاة ٥٠٧/١ ، كشف الظنون ١٤٠/١ ، شذرات الذهب ٦٥/٢ .

ونقل السيوطي عن تلميذه ابي حيان في محاضرات العلماء قوله: كان دينا ورعا تقيا نقيا زاهدا عابدا خاشعا، له دأب بالنهار من القرآن والخشوع ، وورد بالليل من القيام والخضوع ، ما قرئ عليه شيء قط فيه ذكر الموت والبعث ونحوه الا بكى وجزع ، ونغص عليه يومه وليلته ، وامتنع عن الاكل والشرب.

ونقل السيوطي عن الخطيب قوله: كان زاهدا ورعا ، لم يأخذ على الحكم اجرا ، وانما كان يأكل من كسب يمينه ، فكان لا يخرج الى مجلسه حتى ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم تكون بقدر مؤونته. وقد افتى في جامع الرصافة خمسين سنة لم يأخذ على عمله في القضاء فيها اجرا .

ذكرت كتب التراجم ان السيرافي كان يدرس ببغداد ، القرآن والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والكلام والشعر والعروض والقوافي والحساب وعلوما سوى هذه ، كان اروى للحديث ، واقضى في الاحكام وافقه في الفتوى ، كتب اليه ملوك عدة كتبا مصدرة بتعظيمه ، تسأله فيها عن مسائل في الفقه والعربية واللغة.

اما النحو فقد كان فيه رأسا وكان اعلم الناس بنحو البصريين وعد في طبقة ابي علي الفارسي والرماني ، وتفوق عليهما وعلى معاصريه بشرحه لكتاب سيبويه.

قال ابو حيان التوحيدي: رأيت اصحاب ابي علي الفارسي يكثرون الطلب لكتاب شرح سيبويه ويجتهدون في تحصيله. فقلت لهم: انكم لا تزالون تقعون فيه وتزرون على مؤلفه، فما لكم وله ؟ قالوا: نريد ان نرد عليه ، ونعرفه خطأه فيه .

قال ابو حيان: فحصلوه واستفادوا منه ، ولم يرد عليه احد.

اساتذته : من اشهرهم :

١- محمد بن عمر الصيمري المتكلم ، ذكره اغلب من ترجم للسيرافي ، وكان يقدم السيرافي ويفضله على جميع اصحابه ، والتقى به في عسكر مكرم.

٢- ابو بكر، محمد بن مزيد بن ابي الازهر الخزاعي (ت ٣٢٥هـ) صرح السيرافي باسمه في شرحه لكتاب سيبويه ، وقال: قرأته على ابن ابي الازهر عن بندار في معاني شعر بندار. وروى عنه في اخبار النحويين البصريين.

٣- ابن السراج، ابو بكر محمد بن السري (ت ٣١٦هـ) ، ذكره اغلب من ترجم للسيرافي، وقال عنه السيرافي: اخذت عنه اغلب النحو، وقرأت عليه كتاب سيبويه.

٤- مبرمان، محمد بن علي ، صرح السيرافي باسمه ، وقال: اخذت عنه اكثر النحو ، وقرأت عليه كتاب سيبويه.

٥- ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسين الازدي (ت ٣٢١هـ) قرا عيه السيرافي اللغة ، وقرأ هو عليه النحو.

٦- ابن مجاهد ، ابو بكر احمد بن موسى بن العباس (ت ٣٢٤هـ) قرأ عليه السيرافي القرآن، وقرأ عليه النحو.

٧- عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ، قال الخطيب: انه احد من حدث عنهم السيرافي ببغداد.

٨- ابن حربويه ، ابو عبيد ، علي بن الحسين بن حرب بن عيسى (ت ٣١٩هـ) .

٩- القاضي ابو محمد بن معروف ، خلفه السيرافي في القضاء بالجانب الشرقي من بغداد ثم بالجانبين ثم بالجانب الشرقي ، وكان استاذه في النحو.

تلاميذه : اهمهم:

١- ابو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس: توفي في حدود سنة ثمانين وثلثمائة ، وكان متفننا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام.

٢- علي بن المستنير ، ذكره ابو حيان وقال: كان يختلف الى مجلس ابي سعيد ، وكان ابو سعيد يعرف له تقدمه على كثير من اصحابه.

٣- الحسين بن محمد بن جعفر الرافقي النحوي المعروف بالخالع: كان من كبار النحاة ، وتوفي سنة ثمان وثمانين وثلثمائة.

٤- ابن النديم : (ت ٤٣٨ هـ) صاحب كتاب الفهرست المليء بالنقول عن السيرافي .

٥- ابو عبد الله الحسين بن احمد خالويه النحوي: كان من ائمة اللغة ، توفي بحلب سنة سبعين وثلثمائة.

٦- الجوهري : ابو نصر اسماعيل بن حماد: صاحب الصحاح ، كان من اعاجيب الزمان ، ذكاء وفطنة وعلما، وتوفي سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وقيل في حدود الاربعمائة .

٧- ابو العباس بن ماهان : من اصحاب ابي سعيد ، وممن لازمه سنين عدة ، وعلق عنه على ما ذكره الشاشي ، زهاء عشرة آلاف ورقة من شرحه لكتاب سيبويه وغيره ، درسا ومذاكرة.

٨- الحسين بن مردويه الفارسي : احد من شرح له السيرافي ترجمة المدخل الى كتاب سيبويه.

٩- ابو محمد يوسف بن ابي سعيد السيرافي : قرأ على والده ، وخلفه في جميع علومه ، وتمم كتبا كان شرع فيها ، منها : الاقناع ، وتوفي سنة خمس وثمانين وثلثمائة.

١٠- ابو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الاندلسي : قال عنه الصفدي : كان من فرسان النحو واللغة والشعر ، لازم السيرافي والفارسي والقالي.

١١- ابو العلاء ، صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي : كان مقدما في علم اللغة ومعرفة العويص ، صحب السيرافي والفارسي والخطابي ، وروى عنهم ، وتوفي سنة سبع عشرة واربعمائة.

١٢- ابو علي المحسن بن ابراهيم بن هلال الصابيء : قرأ على ابي سعيد كتاب (ما يلحن فيه العامة) لأبي حاتم .

١٣- عبد السلام بن الحسين بن محمد ، ابو احمد البصري اللغوي : سكن بغداد وحدث بها عن محمد بن اسحاق وجماعة من البصريين ، وكان يتولى ببغداد النظر في دار الكتب واليه حفظها والاشراف عليها.

١٤- علي بن عبيد الله بن الغفار ، ابو الحسن السمسمي ، اللغوي النحوي : كان جيد المعرفة بفنون علم العربية ، صحيح الخط غاية في اتقان الضبط .

١٥- علي بن عيسى بن الفرج بن صالح ، ابو الحسن الربعي النحوي : كان اماما في النحو متقنا له . قال الرضي : قال لي شيخنا ابو الحسن علي بن عيسى النحوي صاحب ابي علي الفارسي : بدأت بقراءة مختصر الجرمي على ابي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي رحمه الله في سنة اربع واربعين وثلثمائة ، ثم انتقلت الى ابي علي.

١٦- ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن جرو الاسدي . قدم بغداد وقرأ على شيوخها علم الادب فأخذ علم الادب عن ابي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي وغيرهما (ت ٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م)

١٧- محمد بن عيسى بن عثمان العطار النحوي : من مصنفاته : شرح امثلة كتاب سيبويه.

آثاره :

ترك لنا السيرافي مجموعة من المؤلفات العلمية الجليلة ، التي تصور شخصية مؤلفها وسعة ثقافته وتنوعها ، الا ان يد الزمان لم تحفظ لنا من هذه الثروة العلمية الا كتابين هما شرح كتاب سيبويه و أخبار النحويين البصريين و مؤلفاته التي عرفت له :

١- كتاب شرح كتاب سيبويه
٢- كتاب اخبار النحويين البصريين
٣- الاقناع في النحو
٤- الفات الوصل والقطع
٥- كتاب جزيرة العرب
٦- كتاب صنعة الشعر والبلاغة
٧- كتاب المدخل الى كتاب سيبويه
٨- كتاب شرح مقصورة ابن دريد

و لا نجد ذكرا للنص الذي نقدمه اليوم بين مؤلفات السيرافي التي ذكرت في الحديث عنه والترجمة له في كتب التراجم لانها أمالٍ املاها على طلابه وفيهم ابو القاسم الاسدي الذي اجتمعت له مجموعة منها زاد عليها شيئا من تعليقاته ثم

ها ذي بين ايدينا نتداولها اليوم بعد كل هذه القرون بالدرس والتأمل في جانب غير جانب النحو المشتهر عن السيرافي هو جانب تتبع كلمات العرب شعرها ونثرها ومعاني لغتهم ولطف تعبيرهم . اذ ان هذا الدرس او مجموعة الدروس التي وجدناها في الجزء المشار اليه في العنوان هو واحد من آثار السيرافي القليلة التي سلمت من الدهر ووصلت الينا غير شرح كتاب سيبويه واخبار النحويين البصريين له . اما الثاني فمنشور وفيه معرفة السيرافي بالنحاة من البصريين واما الشرح فنشرت اجزاء قليلة منه وبقي سواده حبيسا ينتظر من يحرره ليطلع عليه عشاق هذه اللغة والمتطلعون الى علم هذا العلم في النحو والكتاب خاصة . من هنا تبرز اهمية نشر هذا الكراس الصغير وهو اضاءة لجانب من جوانب علم السيرافي .

عبيد الله بن محمد بن جرْو أبو القاسم الأسدي.(١)

النحوي ، العروضي ، المعتزلي . ذكره ابن المقدّر في المعتزلة . من اهل الموصل ، قدم بغداد وقرأ على شيوخها ، فأخذ علم الادب عن ابي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي ، وغيرهما .

وكان ذكيا حاذقا جيد الخط صحيح الضبط . صنف كتبا ، له (تفسير القرآن) و (الموضّح) في العروض و (المفصح) في القوافي و (الأمد) في القراءات . وله شعر .

حكى بعض الاشياخ من اهل صناعة النحو ان عضد الدولة الديلمي التمس من ابي علي الفارسي اماما يصلي به ، واقترح عليه ان يكون جامعا الى العلم بالقراءة العلم بالعربية ، فقال : ما اعرف من قد اجتمعت فيه مطلوبات الملك الا ابن جرو — احد اصحاب ابي علي ، وهو ابو القاسم عبيد الله بن جرو الاسدي — فقال : ابعثه الينا . فجاء به ، وصلى بعضد الدولة.

ومات فيما ذكره هلال بن المحسن في يوم الثلاثاء لاربع بقين من رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . ٣٨٧هـ — ٩٩٧م.

وقد ذكر اسمه اكثر من مرة في هذا المخطوط معلقا على اقوال السيرافي من الصفحة الاولى وسائلا للسيرافي ورادا عليه ومسؤولا عن بعض المعاني ويبدو انه نظر في امالي السيرافي التي دونها بعد ذلك فعلق عليها واضاف اليها ومما يدل على ذلك انه قال في اخرها (قال الشيخ ابو سعيد السيرافي رحمه الله).

ولعل ذلك من اضافات النساخ للمخطوط فيما بعد — ولهم فيه أثر — اذ يبدو انه منسوخ من آخر اختلطت بعض اوراقه فبدأ الناسخ بالعنوان وهو (جزء فيه تعاليق من النحو واللغة وأبيات معان عن السيرافي رحمه الله) ثم اضاف اليه : وفيه تعليق اخر عن غيره وبعد ذلك كتب : قال ابو سعيد السيرافي : المجلة : الكتاب مثل التوراة والانجيل والكتب التي تتعاور قراءتها وتجل . وانشد قول النابغة :

مجلتهم ذات الاله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

وروى قوم : محلتهم . اراد بقوله : مجلتهم : الكتاب الذي يدرسونه من كتب الله المنزلة وكانوا نصارى .

وبعد هذه الصفحة التي استغرقت فيها المعلومات التي نقلت عن السيرافي في كلمة المجلة خمسة اسطر بدأ في الصفحة التالية بالبسملة وكتب بعدها وبه نستعين ثم : قال ابو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي : حدثنا ابو بكر مبرمان ... الخ

مما يدل على ان هذا اول المخطوط حقيقة والسابق سقط منها من مكان ما في صفحة او وريقة مقتطعة واضافه الناسخ الى ما قبل البداية في المجموع الذي منه هذا الجزء .

اما وقد وصلنا الى **المخطوط وحديثه** فلنقدم وصفا له

كتب النص بخط نسخي واضح ومضبوط بالشكل على خمس عشرة صفحة صغيرة تحتوي الصفحة تسعة عشر سطرا تقريبا . احدى عشرة كلمة في السطر، وفي حواشيه تعليقات على ما جاء في متنه من كلمات وابيات بخطوط مختلفة . وفي نهايته كتب التعليق الاتي:

---

(١) تنظر ترجمته وما قيل عنه في هذا البحث في معجم الادباء ٦٢/٢ —٦٨ وانباه الرواة ١٥٤/٢ —١٥٥ وارشاد الاريب ٥/٥ وبغية الوعاة ٢/ ١٢٧ والاعلام ٩٧/٤

الحمد لله مولى النعم وبارئ النسم ومعلم الانسان ما لم يعلم . انهيت هذا التعليق المنسوب الى ابي سعيد السيرافي رحمه الله قراءة بحث بحسب فتور همتي و ضعف قوتي على وحيد دهره وفريد عصره الشيخ نور الدين البحيري المالكي خامس عشر شعبان المكرم سنة ٩٢٤ . كتبه سليمان عبد الرحمن الحربي المغربي حامدا ومصليا ومسلما (١) .

وليس في المخطوط ما يدل على تاريخ نسخه سوى خط الناسخ وقد قدر تاريخ نسخه المختصون في دار الكتب المصرية بسنة ٦٢٥ هـ تقريبا . واثبت ذلك على الصورة التي حصلنا عليها منها .

وهناك نسخة من المخطوط في مكتبة كوبرلي رقمها ١٣٩٢ / ٤ وهو جزء من مجموع يحتل منه الوريقات (٥٠ — ٥٧) .

العنوان الموضوع للمجموع (جزء فيه تعاليق من النحو واللغة وابيات معان عن السيرافي رحمه الله)وضعه ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن جرو الاسدي كما هو باد في تعليقه على احد الابيات وشرحه لاخر على غير ما شرحه استاذه ابو سعيد اذ قال بعد ذلك : وقد مر تفسيره في هذا الجزء . فعلى هذا يكون ابو القاسم صاحب العنوان الذي يحمل كلمة جزء ايضا . وتكون كلمة (وفيه تعليق اخر عن غيره)للناسخ لانه قرا فيه اسم ابي القاسم في اكثر من موضع مع كلمة قال . كما جاء في اول المخطوط في صفحة البسملة .

عملنا في التحقيق والدراسة : لابد اولا ان نسجل ان المخطوط قد وقع الينا منذ زمن وقمنا بتحقيقه ودراسته ومع النهايات واجهنا عسرة الوصول الى كثير من اصحاب النصوص الشعرية فيه فكان ان طلبنا معونة احد الاساتذة المختصين في مجال التحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن . والمفاجأة كانت ان النص قد اخذ نصيبه من التحقيق على يد الدكتور سليمان بن ابراهيم العايد قبل سنين . ولم يشر الاستاذ حاتم الى المكان الذي نشر فيه التحقيق وبعد انتظار كانت نسخة من التحقيق بين ايدينا تفضل بها الدكتور حاتم الضامن . وليس بين المعلومات التي ثبتت عليها مكان النشر وان كان على الوجه مع العنوان اسم الدكتور سليمان العايد وانه استاذ مشارك في كلية اللغة العربية — جامعة ام القرى .

ملاحظتنا الاولى كانت رجوعنا منه الى المصنفات التي يلجأ اليها اغلب المحققين لتخريج معلومات المخطوطات ومن ذلك لسان العرب والمعاجم الاخرى وكتب التراجم والدواوين وهي وامات كتب العربية كانت مصدرا للتحقيقين . والملاحظة الاخرى ان الدكتور العايد وقف عند كثير من الابيات التي وقفنا عندها ولم نجد لها اثرا في الذي مر بين ايدينا من كتب على الرغم من سؤالنا مجموعة من المختصين بالتراث اللغوي العربي القديم . ولكنا استطعنا ان نتوصل الى نسبة مجموعة لاباس بها من الابيات التي لم يظفر الدكتور سليمان بنسبتها و وجدناها مثبتة في المظان . وانتبهنا الى بعض الاخطاء .. وجل من لا يخطئ .. فصححناها في مواضعها ووضحنا كثيرا مما لم يكن واضحا او مطروقا في التحقيق الاول وهذا لايعني عدم افادتنا منه فتحقيقنا مكمل له ان شاء الله.

ولابد ان نذكر هنا ان السيرافي نفسه كان يجهل اسماء بعض الشعراء الذين ذكر ابياتهم في درس المعاني الذي رافقه درس النحو و الصرف في هذه المخطوطة ومما يثبت ذلك انه تحدث عن بيت للخنساء هو قولها

وداهية جرها جارم   جعلت رداءك فيها خمارا

بقوله قال الشاعر او بقوله عند الشرح : يقول خمرت به رؤوس الناس .. وبقوله : وفيه قول اخر : اراد انك جددت في هذه الحرب .. الخ وهذا كله اشارة الى انه لا يدري ان صاحبة البيت امرأة هي الخنساء .

وبعد فقد حاولنا خدمة المخطوط جهد امكاننا ليخرج على ما وضع عليه اصلا فنقدم صورة لدرس اسلافنا في مناحي هذه اللغة الكريمة ونرى ان اهل العربية بين ظهرانينا حقيقون بان يطلعوا على هذا النص الثمين الذي احتوى ما احتوى من ابيات نادرة ومعلومات عزيزة شفعناها بدراسة تناولت تتبع منهج سرد النصوص المدروسة في تلك المخطوطة وعرضت ابيات المعاني على دروس المحدثين في الدلالة ووثقت القضايا النحوية والصرفية من مواضع عزت على كثيرين لنفاستها مثل شرح كتاب سيبويه للسيرافي رحمه الله وغير ذلك . نضع بين ايدي طلاب العربية النص محققا نلحقه بالدراسة .

---

(١) نقل د. سليمان العايد تاريخ القراءة بشكل مختلف في مقدمة تحقيقه وجعله سنة ٩٢٦ هـ ونقل لقب القارئ بكلمة الجربي . ونرى ان ما اثبتناه هو الصحيح . والظاهر من خلال اطلاعنا على تحقيقه ان نسخته من المخطوط هي صورة مثيلة لنسختنا ومن المصدر نفسه .

جزء فيه تعاليق من النحو واللغة وابيات معان

عن السيرافي - رحمه الله



وبه نستعينُ

★ قال ابو سعيدٍ الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ السيرافيُّ : حدثنا ابو بكرٍ مبرمانُ(١)، قال: سمعت أبا العباسِ ثعلباً (٢) يُنشِدُ:

ولا يِتَّمنتُ على مالٍ ولا ولدٍ   الاّ يدَ الخَلَبوتِ(٣) الخائنِ الخُدَعَه(٤)

ويَعيبهُ بانشادِهِ اتَّمنتُ(٥) والصوابُ ولا ائتمنتُ بالهمزِ. وقال أبو القاسم عُبيدُ اللهِ بنُ محمّدِ بن جروٍ الأسديُّ(٦)؛ والذى قال أبو العباسِ فيُخرّجُ على أنه أبدلَ من الهمزةِ واوًا ثم أبدلَ منها تاءً وأُدغمَ وهو ضعيفٌ.

★ ما حكاهُ الكوفيونَ(٧) من حتّاه وحتّاك وحتّاي يؤكّدُ أن علامةَ الإضمارِ ليست بأصلٍ في حتّى؛ لأنها لو كانت اصلاً لَغُيّرتْ كما غُيّرتْ مع على والى، فقيل: حتّيهِ كما قيل: اليهِ وعليهِ.

★ قَرَبٌ قَسْقاسٌ(٨): سريعٌ، والقَسْقاسُ: الجوعُ، قال الشاعرُ:

---

(١) ابو بكر محمد بن اسماعيل العسكري . توفي سنة خمس واربعين وثلاثمائة تنظر ترجمته في طبقات النحويين واللغويين ١١٤ ، وبغية الوعاة ١ / ١٧٥ – ١٧٧ .

(٢) احمد بن يحيى بن يزيد النحوي ، ولد سنة مائتين ، توفي سنة احدى وتسعين ومائتين ، تنظر ترجمته في طبقات النحويين ١٤١ – ١٥٠ ، وبغية الوعاة ١/٣٩٦ – ٣٩٨ .

(٣) الجمهرة واللسان (خلب) : رجل خالب وخلاّب ، وخَلَبوت ، وخَلَبوب ، الاخيرة عن كراع : خدّاع كذّاب .

(٤) الجمهرة واللسان (خدع) : الخدع : اظهار خلاف ما تخفيه .. ورجل خُدَعة : يخدع الناس كثيرا . لم نقف على صاحبه .

(٥) اللسان (أمن) : والامانة والامنة : نقيض الخيانة .... وقد أمِنَه وأمَّنَه وائتَمَنَه واتَّمَنَه ، عن ثعلب ، وهي نادرة .

(٦) اخذ الادب عن الفارسي والرماني والسيرافي ، توفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . تنظر ترجمته في بغية الوعاة ٢ / ١٢٧ وقد سبق الحديث عن ابي القاسم .

(٧) قال ابو حيان في ارتشاف الضرب ٤ / ١٧٥٥ – ١٧٥٦ : ولا يكون المجرور بحتى ضميرا ، هذا مذهب سيبويه . واجاز الكوفيون والمبرد جرها الضمير فتجره متكلما ومخاطبا وغائبا .

(٨) اللسان (قسس) : قرب قسقاس : سريع شديد ليس فيه فتور ولا وتيرة . وقيل صعب بعيد . والمقصود نوع من السير وعلى هامش المخطوطة وجدنا : القرب : قدر من السير . وفي متنها (فرب) بالفاء بدلا من القاف المثناة (تصحيف). وفي اللسان ايضا : القسقاس : شدة الجوع والبرد .

أتانا به القسقاسُ يُرْعَدُ متنُه　　　وليلٍ أسدافُ على البيدِ هُمَّدُ(1)

والقسقاسُ : نبتٌ يُستقاءُ(2) به.وأنشدَ:

وكنتَ مِن دائكَ ذا إقلاسِ　　　فاستسقيَنْ بثمَرِ القسْقاسِ(3)

والنسناسُ : الجوعُ(4)، وأبو عَمرةَ : الجوعُ(5).

* كان رجلٌ قد تزوجَ خمسَ نسوةٍ فمُتنَ كلّهن، ثم إنَّه تزوجَ امرأةً سادسةً، وكانت هذه المرأةُ السادسةُ قد تزوجتْ خمسةَ أزواجٍ فماتوا كلّهم، فتزوجتْ هذا الرجلَ وهو السادسُ، فقال في نفسِه وفيها هذه الأبياتَ: (51 ب)

بَويزِلُ أعوامٍ أذاعتْ لخمسةٍ　　　وتعتدُّني إنْ لم يقِ اللهُ ساديا(6)

ومن قبلِها واريتُ خمسًا حلائلا　　　وساديةً اعتدُّها من رجائيا

كلانا مُطِلٌّ مُشرِفٌ لغنيمةٍ　　　يراها ويقضي اللهُ ما كان قاضيا

وقال آخر في الخامي، وهو يريدُ الخامسَ:

ثلاثةُ آباءٍ كرامٍ ورابعٌ　　　وما الخامِ منها بالبخيلِ الملوَّمِ

أقاموا عَمودَ الدينِ ثم تتابعوا　　　على سُنّةِ الهادي الكريمِ المكرَّمِ(7)

وأنشد الكسائي (8):

---

(1) اللسان (سدف) : السَّدَف بالتحريك : ظلمة الليل .. والجمع اسداف .. ابو زيد (النوادر ١٧٧) : السدفة : في لغة تميم : الظلمة.. قال والسدفة في لغة قيس الضوء وقد سها الدكتور سليمان العايد وظن ان الناسخ كتب اسراف بالراء فقال : (ولم يظهر لي معناه على هذا والذي يظهر لي والله اعلم انه بالشين المعجمة وهو جمع شرف وهو كل نشز من الارض فذا شرف على ما هو له : المكان العالي). والصحيح ان الكلمة بالدال المهملة . اللسان همد : الهمدة : السكتة . همدت اصواتهم اي سكتت . اي جاءنا به الجوع وهو يرتجف في بيداء ليلها مظلم ساكن . ولم نقف عليه .

(2) في المخطوط (يشتفاء) خطأ من الناسخ كما يبدو والصحيح يستقاء وهو من القيء . لان الاقلاس المذكور في الرجز هو رغبة الانسان في التقيـؤ (ينظر اللسان : قلس) والقسقاس يستعمل لذلك من النبات فتكون الكلمة التي في البيت التالي فاستقنا بنون التوكيد الخفيفة والهمز او فاستقين بتخفيف الهمز بدلا من فاستشفين التي في المخطوط .

(3) فاسط على امك سطو الماسي　　وكنت من دائك ذا اقلاس .
فاستقئا بثمر القسقاس　　. مجموع اشعار العرب (ديوان رؤبة) ١٧٥ ومنه ومن اللسان تصحيح البيت .

في اللسان (قسس) : القسقاس : بقلة تشبه الكرفس ، قال رؤبة :

وكنت من دائك ذا اقلاس　　فاستسقين بثمر القسقاس

القسقاس نبت اخضر خبيث الريح ينبت في مسيل الماء له زهرة بيضاء .

(4) اللسان (قسس) : النسناس بكسر النون : الجوع الشديد . وفي المخطوطة بالفتح .

(5) اللسان (عمر) : ابو عمرة كنية الجوع .

(6) البيت في هامش المخطوط بدون اشارة الى موقعه ولعل هذا مكانه الصحيح لانه روي مع بيت اخر قبله كما سيأتي وقد جعله د. سليمان العايد اخيرا في ابيات المخطوطة بتحقيقه . ذكره ابن جني في سر الصناعة ٢ / ٧٤١ وفي هامشه : البيت لرجل كانت له امراة تقارعه ويقارعها ايهما يموت قبل وكان تزوج نساء قبلها فمتن وتزوجت هي ازواجا قبله فماتوا فقال : ومن قبلها اهلكت بالشوم اربعا　　وخامسة اعتدها من نسائيا

بويزل اعوام اذاعبت لخمسـة　　وتعتدني ان لم يق الله ساديا

وذكره ابن عصفور في المقرب ٣٤٣ وانظر في القلب والابدال ٦٠ وتهذيب الالفاظ ٥٩٠ وابدال ابي الطيب ٢ / ٢١٧ وشرح شواهد الشافيه ٤٤٧ . قصد ببويزل اعوام انها مسنة ينظر اللسان(بزل).

(7) شرح شواهد الشافيه ٤٧٧ مع بعض الاختلاف الذي لا يستقيم المعنى معه في البيتين متتابعين اذ في شرح شواهد الشافية (ثلاثة ايام كرام ورابع) ولعله من اخطاء النساخ .

(8) الكسائي علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي ، الامام الذي انتهت اليه رئاسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات وهو احد السبعة وكان يتخير القراءات ولم يكن احد اضبط منه ولا اقوم بالقراءة في زمانه ت ١٨٩ هـ . غاية النهاية في طبقات القراء ٥٣٥/١ .

خلا ثلاثُ(١) سنينٍ منذُ حلَّ بها وعامٌ حلّتْ وهذا التابعُ الخامي(٢)

وقال آخَر:

مررتُ بربعِها فوقفتُ فيـــه على سُفْـعِ جواثـمَ فـوقَ آس
وقد مرّتْ سنــينٌ بعـد عهـدي ثمانيةٌ وهـــذا العــامُ تاسـي(٣)

* قال عُمارةُ العبْسيُّ(٤):

ما احملُ السيفَ الا قد ضربتُ به ولا تبيتُ جيادي وهي اُغمارُ

قال الفراءُ(٥) : معناهُ ما احملُ إلّا سيفًا قد كنت ضربتُ به في الحروب، وجرّبتُ جودةَ ضربهِ. وقال الكسائي : معناه ما احملُ السيفَ الا وقد ضربتُ به، فاضمرَ الواوَ.

وقال النابغةُ(٦) :

لهم لواءٌ بكفّــي باسـلٍ بطلٍ لا يقطعُ الخرقَ الا طرفُهُ سامي(٧)

يريدُ إلّا وطرفُهُ.

وقال آخرَ:

إذا ماسُتُورُ البيتِ اُرخينَ لم يكُنْ سراجٌ لنا الا جبينُـكَ أنْـورُ(٨)

يريدُ إلّا وجبينُك.

وقال آخر:

وما خلوتُ بها يومًا فتُعجبـني إلّا غدٌ أكثرُ الأيامِ لي عجبــا

يريدُ إلّا وغدٌ.

---

(١) ويروى : مضت ثلاث سني منذ حل بها وعام حلت وهذا التابع الخامي
ارتشاف الضرب ٥ / ٢٤٣٧ .

(٢) البيت للحادرة الذبياني ،
ينظر الهمع ٢ / ١٥٧ ، والدرر ٢/ ٢١٢

(٣) الضرائر الشعرية للقيرواني ٢٤١ ومن هامش المخطوطة : الآس : الرماد . وفي اللسان سفع : السفعة : ما في دمنة الدار من زبل او رمل او رماد او قمام ملتبد تراه مخالفا للون الارض .

(٤) عمارة بن زياد العبسي ، شاعر وسيد جاهلي . الاعلام ٥ / ١٩٢ . ولم نهتد لقوله في معاني الفراء . وقوله اغمار اي لم تجرب خوض المعارك .

(٥) الفراء يحيى بن زياد عبد الله ابو زكريا الاسلمي النحوي الكوفي روى الحروف عن ابي بكر بن عياش والكسائي . توفي قبل ٢٠٧هـ غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ٣٧١ .

(٦) النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي صاحب المعلقة تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ٩٢ – ١٠٦ .

(٧) وفي ديوانه ص ٢٢١ : لهم لواء بكفي ماجد بطل لا يقطع الخرق الا طرفه سام

(٨) البيت في شرح القصائد السبع (٤٦٧) وفيه (الا ووجهك انور) وذكره للاستشهاد باظهار الواو لا اضمارها ، قال : وكذلك تقول : مارايت عالما الا وابوك افضل منه ، وان شئت قلت : الا ابوك افضل منه ، وفي اظهارها (البيت) .
وانظر : الازهية ص٢٤٨ وفيها : (الا ووجهك انور) .
قال ابو بكر الانباري : قال ابو العباس : وقال النحويون ، يعني بهذا الفراء وهشاما : (الله اكبر) معناه : الله اكبر من كل شيء ، فحذفت (من) لان افعل خير ، كما تقول : ابوك افضل واخوك اعقل ، فمعناه افضل واعقل من غيره ، واحتجوا بهذا البيت . اراد انور من غيره . انظر : الزاهر ١ / ١٢٤ .
وقال الفراء : ويجوز في (ليس) خاصة ان تقول : ليس احد الا وهو هكذا ، لان الكلام قد يتوهم تمامه بليس وبحرف نكرة ، الا ترى انك تقول : ليس احد ، وما من احد ، فجاز ذلك فيها ولم يجز في (اظن) . قال الشاعر : (البيت) فلو قيل : الا وجهك انور ، كان صوابا . انظر : معاني القرآن ٢ / ٨٣ .
وانظر في تفصيل المسالة ارتشاف الضرب ايضا ٢ / ١١٨٣ وفيه وقال .... لم يكن سراج لنا الا وجهك انور .

(١٥٢)

* قولُ جرير: ما في عطائِهم مَنٌّ ولا سَرَفُ(١)

قال: ليس من الإسرافِ، لأنه لو كان كذلك لم يكن مدحًا، لانهم اذا اسرفوا في العطيةِ فقد جادوا، واذا قصّروا فقد بخلوا، وانما هو من الإغفالِ والخطأ هاهنا. اى: لم يضعوا معروفَهم غيرَ موضعِه. وحُكِيَ عن ابي الجراحِ العُقيلي عن ابى طَيْبةَ(٢) أنه قال: أردتُكم فسرفْتُكم، اى اردتكم فصرتُ الى غيركم.

* قال الشاعرُ(٣):

تابَ جليحٌ توبةً قُرشيـــةً ... مباركةً غرّاءَ حـين يتـــوبُ

وكان بليحٌ فاتكاً في زمانـِه ... له في النساءِ الطامحاتِ نَصيبُ (٤)

فياربِّ فاغفرْ للجَليح ذنوبَه ... فإنّه ياربّـا اليـك منيـبُ

قال: الجليحُ اسمُ ذكرهِ، وقولُه: توبةً قُرشيةً اراد أن يُخْلِصَ توبتَهُ ويتنوّقَ فيها، فقال: توبةً قُرشيةً اى خالصةً لا يعودُ الى شيءٍ من المعاصي. وانشد(٥):

ومـا يُداوي من ضميرِ الحُبِّ ... رُقْيةُ عــرّافٍ ولا ذي طِبِّ

الا التـــزامُ رَكَـبٍ إزَبِّ ... تَنزِعُ منه العَرْدَ نزعَ الضَّبِّ

والضَّـبُ في صَوّانِه مُجَبِّي

* وقال آخر:

وهَمَّتْ رجالٌ يشفعوا لي فلمْ أجدْ ... شفيعاً اليه غيرَ جودٍ يعادِلُهْ(٦)

ويروى يقابِلُه. اراد أن يشفعوا لي فأضمرَ أنْ وأعمَلَها.

* وقال المهلهلُ(٧) يرثى أخاهُ:

قتلوا ربَّهم كُليبــاً سفاهــاً ... ثُمّ قالوا: سفيهُنا مقتولا

يريدُ هذا سفيهُنا فأضمرَ هذا.

* وقال النابغةُ:

---

(١) تمام البيت : اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ... ما في عطائهم من ولا سرف

شرح ديوان جرير ص ٢٨٩ . جرير بن عطية الخطفي الشاعر الاموي المعروف تنظر ترجمته في الشعر والشعراء ٣٧٤ والبيت من قصيدة في مدح يزيد بن عبد الملك ويهجو آل المهلب ، مطلعها :

انظر خليلي باعلا ثرمداء ضحى ... والعيس جائلة اغراضها خنف

وهو في اللسان سرف : والسرف الخطا ، واخطأ الشيء وضعه في غير حقه . والمقصود بالسرف الاغفال . كما في اللسان وقيل : ولا خطا ، يريد انهم لم يخطئوا في عطيتهم ولكنهم وضعوها موضعها اي لا يخطئون موضع العطاء بان يعطوه من لا يستحق ويحرموه المستحق .

(٢) وفي لسان العرب -(سرف)- نقل حديث اردتكم فسرفتكم عن ابي زيد الكلابي .

وابو الجراح العقيلي وابو طيبة من الاعراب الموثوق بهم اخذ عنهما علماء الكوفة مثل الفراء ينظر المزهر ٢ / ٤١٠ .

(٣) لم نعرفه .

(٤) اللسان طمح: طمحت المراة تطمح طماحا وهي طامح : نشزت ببعلها .

(٥) لم نعثر على قائله .

(٦) البيت لم يسم قائله ، ويروى ، وهَمَّ رجال يشفعوا لي فلم أُجد ... شفيعا اليه غير جودٍ يعاد له . همع الهوامع ٢ / ١٧ ، والدرر اللوامع ٢ / ١٢ .

(٧) المهلهل بن ربيعة حياته وشعره ص٣٢٥ . والشطر الثاني مختلف وهو : ثم قالوا ما ان نخاف عويلا . فينتفي الشاهد فيه . قال السيوطي في المزهر ٣ / ٤٣٤ و ٤٧٦ وفي طبقات الشعراء لمحمد بن سلام ان اسمه عدي . وكان اول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل اخيه . وفي اللسان – ربب – قال ابن منظور : ولا يقال الرب بالالف واللام لغير الله وقد قالوه في الجاهلية للملك .

نظرتْ اليك بحاجةٍ لم تقضها ... نظرَ السقيمِ الى وجوهِ العُوَّدِ(١) (٥٢ ب)

(يق)ول : نظرتْ اليك باستحياءٍ وانكسارِ طرفٍ، لأنّها لم تفِ بوعدِها كما أنَّ السقيمَ ينظرُ الى وجوهِ عُوّادِهِ بتكرُّهٍ وخضوعِ (وا)نكسارِ طرفٍ:

وقال النابغةُ:

ولا أنا مأمونٌ بشيءٍ اقولُهُ ... وأنتَ بأمرٍ لا محالةَ واقعُ(٢)

(ق)ال ابنُ الاعرابيِّ(٣) : يريدُ: لا محالةَ واقعٌ بي فأضمرَ كما قال الشاعرُ:

ومقعدِ كُرْبَةٍ قد كنتَ فيه ... مكانَ الإصبعين مِن القِبالِ(٤)

يريدُ مكانَ الاصبعين مِن القِبال مني. فاضمرَ مِنّي، واكتفى بالمعنى، كما قال الشاعرُ(٥) :

إنّ الغوانيَ مَن وعدْنَ كذبْنَهُ ... حتى ينالَ كواكبَ الجوزاءِ

يريدُ : لا ينالُهنّ حتى يُنالَ كواكبُ الجوزاءِ، فأضمرَ واكتفى بالمعنى.

★ وانشدَ الفراءُ (٦) قولَ الشاعرِ يصفُ القانصَ :

قد جعلَ الارطاةَ جُنَّتَينِ

يُقال : لمَ قال : جُنَّتَينِ ولم يقلْ : جُنَّةً، وانما هي شجرةٌ واحدةٌ ؟ فالجوابُ : انَّهُ إنّما أرادَ أنّهُ جعلها جُنّةً للقانصِ الذي يريدُ أن يَرميَ الظَّبيَ، وجُنّةً للظبيِ، لأنّها تسترُ كُلَّ واحدٍ منهما عن صاحبِهِ لكيلا يراهُ، فصارتْ جُنَّةً لهما جميعًا، فقال : جُنَّتَينِ.

★ وانشد الفرّاءُ :

ومَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنْ ... قطعتُهُ بالأَمِّ لا بالسَّمْتَيْنْ(٧)

يُقال : لِمَ قال : ومَهْمَهَيْنِ ثم قال : قطعتُهُ ولم يقلْ : قطعتُهما، قال الفرّاءُ : انما ارادَ به : ورُبَّ مَهْمَهٍ بعدَ مَهْمَهٍ والأَمُّ : القَصْدُ والسَّمْتُ : الطريقُ، ثم ثنّاه على المعنى الاول. وقال الاصمعيُّ (٨) : إنّما أرادَ مَهْمَهًا واحداً فضمَّ اليه آخرَ فسمّاهما مهمهين وانما هما واحدٌ، والعربُ تفعلُ مثلَ هذا، واحتجَّ بقولِ زُهيرِ بنِ أبي سُلمى :

---

(١) وفي ديوانه ص٢٥ : نظرت اليك بحاجة لم تقضها ... نظر المريض الى وجوه العود

ونقل الدكتور شكري فيصل في هامش ص٢٥ ، ٣٦ رواية عن ابي عبيدة :

ورنت اليك بمقلتي مكحولة ... نظر السقيم الى وجوه العود .

والبيت من قصيدة مشهورة للنابغة مطلعها :

امن آل مية رائح او مغتد ... عجلان ذا زاد وغير مزود . التكره : المشقة ينظر اللسان – كره .

(٢) وفي ديوانه ص٥١ ولا انـــا مـــــأمون بقولـــــا

(٢) هو محمد بن زياد ابو عبد الله بن الاعرابي ، توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين . ترجمته في طبقات النحويين ص ١٩٥ – ١٩٧ وبغية الوعاة ٢ / ١٠٥

(٤) البيت لعمرو ذي الكلب ، من كاهل وكان جارا لهذيل ، يقول : توسطتها كما يتوسط قبال النعل الاصبعين .

والبيت من قصيدة مطلعها : الا قالت غزية اذ راتني ... الم تقتل بارض بني هلال .

ينظر ديوان الهذليين ، القسم الثالث ص ١١٩ . والبيت غير منسوب في تحقيق الدكتور سليمان العايد .

(٥) لم نعرفه .

(٦) معاني القرآن للفراء ١١٨/٢ .

(٧) لخطام المجاشعي، و يروى : و مهمهين قذفين مرتين ... ظهراهما مثل ظهور الترسين

ينظر الهمع ٤٠/١ و الدرر ١٥/١ و الخزانة ٣١٤/٢ و في معاني القرآن للفراء ١١٨/٢ ، رواية السيرافي نفسها، و انظر المجالس ص٣١٣ و البغداديات للفارسي ص ٣١٤. اللسان-مهمه : المهمه : المفازة و البرية القفر. و اللسان-قذف : فلاة قذف .. أي بعيدة تقاذف بمن يسلكها و اللسان-مرت : المرت : مفازة لانبات فيها.

(٨) عبد الملك بن قريب ت٢١٦ هـ تنظر ترجمته في طبقات القراء ٤٧٠/١.

دارٌ لأسماءَ بالغَمْرَيْنِ ماثلةٌ   كالوَحْيِ ليس بها مِن أهلها أَرِمُ(١)

قال : انّما هو غَمْرٌ واحدٌ، وضمَّ اليه آخرَ فسماهما الغَمْرَينِ مثلُ قولهم : المِرْبَدَينِ وانما هو مِرْبَدٌ واحد.

★ مسألة : يجوز أن يَّجيءَ في جواب أيُّهما عندكَ نَعَمْ أو لا على وجهين :

أحدُ الوجهين أن يُجعل اي مصدرًا من قولك : أَوَيتُ له أيًّا(٢) وتُحذف ألِفُ الاستفهام.

والجوابُ الآخَر ان تقولَ لرَجُلٍ : قد / جئتُكَ في حاجةٍ، وعلمتُ أنَّ لي عندك فيها نَعَم أو لا، فأيُّهما عندك ؟ فيقول نعَم أو لا. وهذا لغزٌ. (١٥٢)

★ وقال الشاعر :

اذا كوكبُ الخَرقاءِ لاحَ بسُحرةٍ   سُهيلٌ اشاعتْ غَزْلَها في القَرائبِ(٣)

يصفُ امرأةً خرقاءَ، يقولُ : خَرِقَتْ وفَرَّطَتْ فلم تغزلْ حتى طلعَ سُهيلٌ وجاء الشتاءُ فاستغزلتْ قرائبَها.

★ امرؤ القيس :

بردتْ مراشِفُها عليَّ فَصدَّني   عنها وعنْ قُبُلاتِهَا البَرْدُ(٤)

البردُ هُهنا النومُ بعينه، يعني أنّه عانقَها، فلم يَشَمَّ طِيبَ رائحتِها، ووجدَ لينَ مَسِّ جسدِها، ولِبَرْدِ ثناياها وشفتَيْها على فيهِ ذهبَ به النومُ، فصدَّه النومُ عنها وعن قبلاتِها.

★ انشد الفرّاءُ :(٥)

أُحبُّ لحبِّها السودانَ حتى   أُحبُّ لحبِّها سودَ الكلابِ

قال : هذا رجلٌ عَشِقَ جاريةً بيضاءَ، وكان الذي يختلفُ فيما بينهما جاريةٌ سوداءَ، فكان اذا اشتدَّ ما به من الوجدِ واتتْهُ السوداءُ برسالتِها استراح إلى ما توردُ عليه من خبرِها، واذا ابطأتْ عنه السوداءُ اشتدَّ غمُّهُ وقلقُه، فتشوَّفَ إلى كلِّ خيالٍ اسودَ يراه من انسانٍ أو كلبٍ أو غيرِ ذلك، فكان يحبُّ كلَّ شيءٍ أسودَ لحُبِّها.

★ وانشدَ لبعضِ الشعراء (٦):

فلو أنَّ أُمي لم تلدْني لحلّقتْ   بيَ المُغْرِبُ العنقاءُ عند بني كَلْبِ

هذا رجلٌ كانت امُّه كلبيةً، وكان اخوالُه من كَلْبٍ، فقاتلَ، فأسَرَهُ رجلٌ من كَلْبٍ، فلما عرفَ أنَّ أُمَّهُ كَلْبيّةٌ خلّى سبيلَه، ولم يقتلْه، فقال : لو لم تلدْني امرأةٌ من كلْبٍ لكنتُ قد قُتلتُ حينَ أُسِرتُ.

★ قال الاعشى :

---

(١) شرح ديوان زهير ١٤٦. و البيت من قصيدة يمدح فيها هرم بن سنان و مطلعها :

قف بالديار التي لم يعفها القدم   بلى و غيرها الا رواح و الديم.

اللسان-غمر : و الغمر و ذات الغمر : مواضع. و اللسان - و حي / ابو زيد : من امثالهم : (وحي في حجر) يضرب مثلا لمن يكتم سره يقول الحجر لا يخبر احدا بشيء.

و اللسان - أرم : ما بالدار أرم .. اي ما بها احد .. و مثل له ببيت زهير المذكور .

اللسان – ربد : قال الاصمعي / المربد كل شيء حبست به الابل و الغنم، و لهذا قيل مربد النعم الذي في المدينة و به سمي مربد البصرة انما كان موضع سوق الابل.

(٢) لم نجد اويت له أيا في الجمهرة و الصحاح و اللسان (أوا) و وجدنا اويت له أويا و إويا . وشرح اللغز في الدراسة .

(٣) البيت من شواهد المفصل /٨١٣، و انظر الخزانة ١١٢/٢ ، و العيني ٢٥٩/٣. و اللسان(غرب)لان اخر كلماته في رواية اللسان الغرائب بدلاً من القرائب .

(٤) امرؤ القيس بن حجر صاحب المعلقة ترجمته في الشعر و الشعراء ٥٠-٧٥ و قد ذكر الدكتور سليمان العايد انه لم يجد هذا البيت في ديوانه و قد وجدناه في ديوانه ٢٢١. و قال ابو بكر الانباري : و يقال قد برد الرجل، اذا نام، من ذلك قوله عز وجل : لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا (النبأ ٢٤). قال ابو عبيدة : معناه لا يذوقون فيها نوماً. و انشد بيت أمرئ القيس . اراد النوم، و قال غير أبي عبيدة : البرد برد الشراب و زعموا ان العرب تصف فاه المرأة بالبرد، و احتجوا بقول النابغة : (الديوان ٣٧) : زعم الهمام بأنّ فاها باردٌ   عذبٌ إذا ما ذقته قلت ازدد الزاهر/١ ٢٩٧

(٥) معاني القرآن للفراء ١/ ١٣٥

(٦) لم نهتد اليه و عثر عليه الدكتور سليمان العائد في المعاني الكبير لابن قتيبة منسوبا للهذلي ٢٨١/١ و ليس في اشعارهم . اللسان عنق : العنقاء : طائر ضخم ليس بالعقاب و قيل العنقاء المغربُ كلمة لا اصل لها.

الواهبُ المائةَ الهجانَ وعبدَها عُوذاً تُزَجِّي خلفَها اطفالَها(١)

السؤالُ عن هذا كيف تسوقُ هذه الابلُ أطفالَها، وأطفالُها خلفَها وهي قد تقدَّمتْ. فانما اراد أنَّها اذا لم تتبعْ أمهاتِها حَنَّتِ الامهاتُ والتفتتْ / فحينئذٍ تنساقُ الاطفالُ. (٥٣ ب)

ومثلُه قولُ الشاعر :

غدتْ لِفراقِنا سَلْمى، وسَلْمى كأُمِّ الخِشْفِ ذي الجُدَدِ الأَغَنِّ

تُزَجِّيه وتُلْحِقُــهُ إذا مــا تخلَّفَ بالبُغام وبالتَّحَــنِّي(٢)

فارادَ أن أمَّ الخِشْفِ تسوقُ الخِشْفَ بِبُغامِها وبتحنُّنِها، وكان ينبغي ان يقول بالبُغام وبالتحنُّن. وهذا على قوله :

تقضِّيَ البازي إذا البازي كَسَر(٣)

★ انشد ابنُ الاعرابي :

ولنا روايا يحملونَ لنــا اثقالَنا إذ يُكــرَهُ الحَمْــلُ(٤)

الروايا : القومُ الذين يحملون الدِّيَاتِ وهم السادةُ.

ومثلُه قولُ حاتمِ طيِّءٍ :

اغزوا بني ثُعلٍ فالغزوُ دونَكم عُدُّوا الرَّوايا ولا تَبْكوا لمن قُتِلا(٥)

يقول : عدوا الاشرافَ، ولا تبكوا على مَن قُتل.

قال الشاعر :

وداهيةٍ جرَّها جارمٌ جعلتَ رداءَك فيها خِمَارا(٦)

فيه قولان :

احدُهما الرداءُ : السيفُ، يقول خمرتَ به رؤوسَ الناسِ : ضربتَهم به، يُقال : خمرَهُ بالسيفِ وجَلَّلَهُ بالسيفِ إذا ضربَه به، وعَمَّمَهُ بالسيفِ ايضاً.

وفيه قولٌ آخرُ، ارادَ انك جنَّدْتَ في هذه الحربِ وتعصَّبْتَ فيها بردائك كما قال النابغةُ :

---

(١) ديوان الاعشى ص٢٩، و البيت من قصيدة يمدح فيها قيس بن معد يكرب و مطلعها :

رحلت سمية غدوة اجمالها غضبى عليك فما تقول بدا لها

و البيت من شواهد سيبويه، انظر : الكتاب ١/٩٤.

و انظر : المقتضب ٤/١٦٢، الخزانة ٢/١٨١، الهمع ٢/١٤٣، الدرر ٢/٥٧، ١٩٢

و يروى : الواهب المائة الهجان و عبدها عوذا تزجي بينها أطفالها

اللسان-عوذ – عوذا : الابل حديثة النتاج لأن ولدها يعوذ بها اي يلوذ . اللسان- زجا ، تزجي: تسوق برفق. اللسان-هجن : الهجان : كرام الابل .

(٢) لم نهتد الى قائلهما.

اللسان-خشف . الخشف: الظبي بعد ان يكون جداية. و قيل هو خشف اول ما يولد. اللسان- جدد : حبل جديد أي مقطوع. و الجدة نقيض البلى يقال شيء جديد و الجمع أجدة و جدد وجدد . اللسان- غنن : ظبي اغن : يخرج صوته من خيشومه – اللسان بغم : بغام الظبية : صوتها. اللسان-(حنن) تحننت الناقة على ولدها تعطفت

(٣) للعجاج ديوانه ١٢٠ و المقرب ٢٥٨.

(٤) البيت لعمرو بن شأس الاسدي و الروايا : الابل في الاصل ينظر اللسان-روى و البيتان فيه هذا و الذي يليه و ينظر شعر عمرو بن شأس الاسدي ص٤١ و لم ينسبه الدكتور سليمان العائد في تحقيقه.

(٥) و في ديوان حاتم ص ٢٠٢ :

اغزوا بني ثعل فالغزو حظكم عدوا الروايا و لاتبكوا لمن نكلا

(٦) للخنساء تماضر بنت عمرو الشاعرة الصحابية ديوانها ٥٥ مع اختلاف في مقدمته و قد نسبه اليها صاحب اللسان و بالرواية نفسها التي اوردها السيرافي و شرحه كشرحه الاول ينظر اللسان – ردي.

يحثّ الحُداةَ عاصبًا بردائه ... يَقِي حاجبَيه ما تُثيرُ القنابلُ(١)

* وقال الشاعر (٢):

فشبَّهتُهم في الآلِ حين أراهُم ... أَواقي سَدًى تغتالُهُنَّ الحوائكُ

الاواقي قصبةُ الحائكِ التي تكون فيها لَحمةُ الثوبِ يَرمي بها من هذا الجانبِ فتخرجُ من الجانبِ الآخر، فشبَّهَ هذه الابلَ التي عليها / الظعائنُ في الآلِ يخفُونَ عليها مرةً فيغيبونَ كما تغيبُ القصبةُ، ويظهرونَ احيانًا كما تظهرُ القصبةُ. (١٥٤)

* وانشد لكُثيِّر :

تجنبتَ سُعدىٰ عَنوةً أن تزورَها ... وانتَ امرؤٌ لأهلِ ودِّكَ تاركُ(٣)

وانما مدحه بهذا البيتِ؛ لأنَّ معنى تاركٍ مُبقٍ، أي انت تبقي مودَّتَك لاهلِ ودِّك وتبقي عليهم، وفي القرآن ﴿وتَرَكْنا عَلَيْهِ في الآخِرِيْنَ﴾(٤). ومعناهُ - واللهُ أعلمُ - وابقينا عليه ثناءً حسنًا وذكرًا حسنًا.

* قال : يُقال : فلانٌ رخيُّ اللَّبَبِ اذا كان حَليمًا، ورخيُّ اللَّبَبِ اذا كان لا يَمْلأُ قلبَهُ شيءٌ ولا يجبُنُ عند الحربِ. ويقولون للذي يغضبُ سريعًا، وللجبانِ : إنّه لَضَيِّقُ اللَّبَبِ(٥). قال الشاعرُ (٦) :

عنــدَ [illegible] بهــابٍ وهَبِ
امهتي خِندِفُ و[illegible]اسُ أبــي
إنّي لدىٰ الحربِ رخِيُّ اللَّبَبِ

• وقال الشاعرُ(٧) :

آتي النديَّ فلا يُقرِّبُ مجلِسي ... وأقودُ للشَّرفِ الرفيعِ حِمَاري

أي لا اقدرُ أن اركبَ من الارضِ، لأني قد ضَعفتُ وصِرتُ شيخًا، فآتي إلى موضعٍ رفيعٍ ليُمْكِنَني أنْ أركَبَ.

---

(١) في الاصل يحث الغداة. اللسان-قنبل : القنبلة : طائفة من الناس و من الخيل و في ديوان النابغة ص١١٧ :

يحث الحُداة جالزا بردائه ... يقي حاجبيه ما تثيرُ القنابلُ

و نقل الدكتور شكري فيصل في الهامش رواية الاصمعي ... يقي حاجبيه المائرات . و في هامش الديوان جالزا، و الجالز : الذي يشد وسطه و رأسه بردائه و انما اخذ من جلزالاسهم، و كل شد جلز. و البيت من قصيدة للنابغة يرثي بها النعمان بن الحارث .

(٢) لم نعرفه، الال : السراب ينظر اللسان – آل.

و في اللسان – سدا : السدى المعروف : خلاف لحمة الثوب و قيل اسفله و قيل ما مد منه و احدته سداة.

(٣) البيت في ديوانه : تجنبت ليلى عنوة ان تزورها ... و انت امرؤ في اهل ودك تارك

و البيت من قصيدة في مدح يزيد بن عبد الملك في ديوانه ٣٤٩

(٤) الاية مكررة في سورة الصافات ثلاث مرات في الايات ٧٨، و ١٠٨ ، و ١٢٩ ينظر تفسير الطبري للاية.

(٥) ينظر اللسان – لبب : اللبب البال : التذهيب : يقال فلان في بال رخي و لبب رخي اي في سعة و خصب و امن.

(٦) هذا الرجز منسوب لقصي بن كلاب في الخزانة ٢٠٦/٢ و هو موجود برواية اخرى في جمهرة ابن دريد – هلا :

عند تناديهم بهال و هبي ... امهتي خندف و الياس أبي

و في المخطوط بهاب وهبي و كذلك و إلياس بالهمز

(٧) لم نعرفه لكن بيته هذا في اللسان – شرف .

★ وقال آخرَ :

نشينَ صِحَاحَ البيدِ كُلَّ عشيَّةٍ		بعوجِ السَّراءِ عند بابِ مُحَجَّبِ(١)

يعني أنهم يفتخرون عند بابِ الملكِ ويخطّون في الارضِ بقسيِّهم، فعلنا كذا وكذا. ومثلُه :

إذا اقتسمَ الناسُ فضلَ الفِخارِ		أطلنا إلى الارضِ ميلَ العصا(٢)

ومثلُه : / (٥٤ ب)

حكمتْ لنا في الأرضِ يومَ مُحَرِّقٍ		أيّامُنا في الأرضِ يومًا فيصلا(٣)

يقولُ : ايامُنا التي خططناها في الارضِ حكمتْ لنا بفُلْجٍ (٤) ذلك اليومِ حيثُ تَفاخرنا.

★ وقال الشاعر :

لو جسرُ دجلةَ عن يزيدَ سألتَهُ		والجسرُ مُنقطعٌ به معقودُ (٥)

يعني انه وقف على الجسرِ فقاتلَ فمنعَه وهو منقطعٌ لا يحافزُه(٦) أحدٌ وهو معقودٌ.

★ انشدَ بيتَ معنى :

على قِلاصٍ بُراها في مسامِعِها		من حيثُ ما ارتحلوا باتوا يَحلّونا(٧)

يصفُ نساءً بُراها في أذُنها مِنَ القرطِ، من حيثُ ما ارتحلوا باتوا يَحلّونَ، يقولُ : يرتحلونَ من عندِهنَّ ويبيتونَ عندَهُنَّ.

★ انشدَ للأسودِ بن يَعْفَرَ (٨)

أيا جازيَ الأقوامِ بالنعمِ أجزِنا		بمَحْمَلِنا بابانَ فوقَ الكواهلِ

فكائنْ كسرْتَ مِن هَتُوفٍ مُرِنَّةٍ		مِن السِّدْرِ كانتْ فيلكونَ المعابلِ

فقدنا زعمَنا حين نرفعُ نعشَهُ		ثمانينَ عِبْءً من وزونِ المثاقلِ

بابانُ اسم شاعرٍ كان معهم فاعتلَّ فكانوا يتعاهدونَهُ ويقومونَ بحوائجِه. وقولُه : وكائنْ كسرْتَ من هَتوفٍ مُرِنَّةٍ يعني قوسًا، وذلك انه ثَقُل فلم يُطِقِ القيامَ فكانوا اذا ارادَ المخروةَ حملوه على قسيِّهم. مُرِنَّة : ذاتُ صوتٍ، وقوله : فقدنا زعمَنا حين نرفعُ نعشَهَ يعني أنَّه كان / كثيرَ الاكلِ، كبيرَ البطنِ، ثِقْلًا. (١٥٥)

★ ابو مالكٍ : اسمُ الهرمِ، وانشدَ :

أبا مالكٍ إنَّ الغواني هجرنَني		أبا مالكٍ إنّي أظنُّك دائبا(٩)

وابو زيدٍ الهرمُ، وانشد :

---

(١)(٢)(٣) الابيات في البيان و التبيين ٢٧٢/١ و فيه رواية البيتين الثاني و الثالث كالاتي :

اذا اقتسم الناس فضل الفخار		اطلنا على الارض ميل العصا

كتبت لنا في الارض يوم محرق		ايامنا في الارض يوما فيصلا

(٤) الجمهرة – فلج : فلج الرجل على خصمه و افلج اذا ظهر عليه و المصدر الفلج.

(٥) خرجه الدكتور سليمان العايد من المعاني الكبير ص٩٧٢.

(٦) الجمهرة – حفز : الحفز الاعجال . و حفزني اعجلني و ازعجني

(٧) لم نعرف قائله. و برى جمع برة : الحلقة في انف البعير . اللسان – بري

(٨) جاهلي ينظر الشعر و الشعراء ١٧٦-١٧٧. و في اللسان – فلكن : البيت الثاني و قد نسب للاسود بن يعفر وفيه قليل اختلاف

وكائن كسرنا من هتوف مرنة		على القوم كانت فيلكون المعابل		ينظر ديوانه ٥٧

قال ابن جني : ان سأل سائل فقال ما تقول في كائن هذه و كيف حالها هل هي مركبة او بسيطة ؟ فالجواب انها مركبة . والذي علقته عن ابي علي ان اصلها كأين . اللسان – ايا . الهتوف المرنة : القوس ذات الصوت . اللسان – هتف . فيلكون المعابل:قوس عظيمة . الزعم : القوة .

(٩) نقل ابن منظور في اللسان – ملك عن ابن الاعرابي قوله : ابو مالك : كنية الكبر والسن كني به لانه ملكه وغلبه ونقل البيت المذكور مع اختلاف في الكلمة الاخيرة اذ هي في المعجم دائبا. ثم قال وابو مالك الهرم وقال ابو مالك كنية الجوع ايضا .

أعارَ أبو زيدٍ يميني سلاحَه ... وللدهرِ في صُمِّ السِلامِ كُلـومُ(١)

قال أبو سـعيدٍ : ذكـرَ أبـو عمـروٍ الشيبانيُّ (٢) في الجيـمِ (٣)أنَّ عَبيـدةَ وعُمَيلـةَ جميعًـا في غَـنيٍّ يُنسبُ اليـهما عَبيـديٌّ عُمَيليٌّ بإثباتِ الياءِ. وأنَّ بني حُوَيزةَ من تيمِ الرِّبابِ.

وحكَتْ أبو سعيدٍ من حفظِهِ قال : نزلَ مُعاويةُ بحيٍّ من أحياءِ كَلْبٍ، فقال لامرأةٍ منهم : هل عندَكِ مِنْ طعامٍ؟ فقالتْ : نَعَم يا أميرَ المؤمنين، خُبزٌ خَميرٌ(٤)، وحَيْسٌ فَطيرٌ (٥)، وماءٌ نَميرٌ(٦)، ولَبَنٌ جَهيرٌ، فجاءتْـهُ بـه فـأكلَ، فلمـا اكلَ قـال لهـا : حاجتُكِ؟ فقالت : أهلَ الوادي والحيَّ، قال لها : حاجتُكِ في نفسِكِ. قالت : أُعيذُ بـالله اميـرَ المؤمنـينَ ان يَـنزلَ واديًـا فيـدعُ أوّلَهُ يرفُّ وآخِرُهُ يَقِفُّ(٧).

قال الشيخُ أبو سعيدٍ : الجهيرُ من اللبنِ الذي لم يُخلطْ به ماءٌ فهو خالصٌ.

* وقال الاصمعيُّ : سُئلَ أسيرٌ في بعضِ الأحياءِ عن حالِهِ، فحمدَ القومَ وقـال : كنـتُ أُوثَـرُ بالكسورِ وغُـرَرِ القُـدورِ، وأُغبَـقُ الوغيرَ وأُجلسُ على الوثيرِ، وأُجَنَّبُ اللهائدَ، و[illegible]فُني الولائدُ. الكس[illegible] المفاصلُ، والوغيرُ : اللبنُ يُحمَّضُ بحَجَرٍ يُسَخَّنُ ويُلْقى فيه، واللهائدُ : الضربُ والذلُّ، وتَنصفُني : تخدمُني.

* وقال أبو حاتِمٍ (٨)في كتاب خَلْقِ الإنسانِ : أخبرني كَيْسانُ (٩) أبو سليمانَ مولى هُجيمٍ / عن العـربِ : أنَّ الثعلبـةَ الاستُ، وأُنشد لحاتِمٍ : (٥٥ ب)

فقلتُ لها إني اتيتُكِ راغبًا ... بثعلبةٍ تدمى وإنِّي امرؤٌ عـانِ(١٠)

قال : وأنشدني - ايضا - :

ثعالبُهم من الإدلاجِ تدمى ... على قُلُصٍ أضَرَّ بها الرسيـمُ(١١)

ولم يعرف الاصمعيُّ هذا.

قال الشيخُ أبو سعيدٍ : كَيْسانُ هذا هو الذي قال فيه أبو عبيدةَ (١٢): انه يمسَخُ العِلمَ أربـعَ مِـرارٍ : يكتُـبُ غيـرَ مـا يسمعُ، ويسمعُ غيرَ ما يُقالُ، ويحفَظُ غيرَ ما يَكتُبُ، ويتحدّثُ بغيرِ ما يحفَظُ.

* قال أبو القاسم بن إجرو : سألني بعضُ اصحابِنا عن قولِ الشاعرِ :

(١) لم نقف عليه .

(٢) لغوي الكوفة . ت نحو ٢٠٥ هـ . ينظر تاريخ بغداد ٣٢٩/٦ ومعجم الادباء ٧٧/٦ .

(٣) الجيم ١٨٩/٣ .

(٤) نقل صاحب اللسان –(خمر)القول مقتطعا فقال : يقال : عندي خبز خمير وحيس فطير . أي خبز بائت، وقد نقله الدكتور سليمان العائد . وليس المقصود بالبائت الذي مر عليه يوم وليلة انما المقصود الذي خمر عجينه فذهبت فطورته .

(٥) وفي – فطر قال : وفي حديثي معاوية : ماء نمير وحيس فطير أي طري قريب حديث العمل . وفي – حيس : الحيس : التمر البرني والاقط يدقان ويعجنان بالسمن عجنا شديدا حتى يندر النوى منه نواة نواة ثم يسوى كالثريد .

(٦) وفي - نمر قال : الماء النمير : الناجع في الري .

(٧) وفي – رف قال : يقال للشيء اذا كثر ماؤه من النعمة والغضاضة حتى يكاد يهتز : رف يرف رفيفا . وفي حديث معاوية قالت له امرأة : اعيذك بالله ان تنزل واديا فتدع اوله يرف واخر يقف . وفي – قف قال : قفت الارض تقف قفا وقفوفا : يبس بقلها .

(٨) السجستاني سهل بن محمد . ت ٢٥٥ هـ . ترجمته في انباه الرواة ٥٨/٢ .

(٩) ترجمته في انباه الرواة ٢٨/٣ .

(١٠) لم نجده في ديوان حاتم الطائي فلعله قصد به اخر او اخل به ديوانه .

(١١) لم نهتد اليه . في اللسان – دلج : ادلجوا ساروا الليل كله . والفعل الادلاج . وفي – رسم : رسمت الناقة ترسم رسيما : اثرت في الارض من شدة وطئها .

(١٢) ابو عبيدة معمر بن المثنى . توفي بين ٢٠٨ – ٢١٣ هـ . تنظر ترجمته في معجم الادباء ١٥٤/١٩ .

أقسِمُ باللهِ يميناً والضحىٰ   لأنتَ خيرٌ من تفاريقِ العَصا(١)

فقلتُ : يحتمِلُ أن يكونَ عنى فرساً له، وأقسمَ عليها باللهِ والضحى أنّها خيرٌ أي مباركةٌ، وليس خيرٌ هنا من باب أفعلَ فيكونَ يتعلّقُ بمِن. ولكنه ارادَ انتِ خيرٌ، ثم قال : من تفاريقِ العصا أي انتِ من تفاريقِ العصا. والعصا : فرسٌ كانت لقَصيرٍ (٢)، وهي التي نجا عليها عند قتلِ الزبّاءِ جَذيمةَ، وتفاريقُها ما نتجَ منها في القبائلِ.

وقيلَ فيه غيرُ هذا قيل : ان امرأةً أخذَ ابنَها فقُطِعتْ يداه ورِجلاه فطالبتْ بديتِه فدُفعتْ اليها فقالت تخاطِبُهُ :

أنتَ خيرٌ من تفاريقِ العصا التي تجعلُ منها الشظاظانِ وغيرُ ذلك للرَّحْلِ.

* قال أبو سعيد : يُقال : اليَرَنّأُ واليُرَنّأُ بالفتحِ والضمّ : الحِنّاءُ.

وأنشد لبعضِ بني أسدٍ :

كـــأنّ باليَرَنّأِ المعلولِ   ماءَ دَوالي زَرَجُونٍ مِيلِ (٣).

* قال أبو سعيد : يقال : دَرَجَةٌ ودُرُجَةٌ وأُدْرُجَةٌ(٤)، وشك في دُرُجَة، وهي التي يُصعَدُ عليها.

* قال أبو القاسم بنُ جَروٍ : سألنا أبا سعيدٍ عن بيتٍ انشدَه أبو عمروٍ الشيبانيُّ في كتابِ الجيمِ (٥)في حرفِ العينِ : / (١٥٦أ)

فلو أنّ أمي لم تلِدْني لَجَرّني   إلى جُحْرِه أعثَى مِّنَ الضَبعِ أهْلَبُ

فسألتُه عن تفسيرِه فقال : هذا على المبالغةِ كأنّه قال : لو كنتُ في العدمِ لم اولدْ لكنتُ مِمَّنْ يُقاتِلُ فيُقتَلُ فتجرُّه الضبعُ، وانما اراد بهذا لزومَ الضبعِ للجرِّ ولزومَهُ للقتالِ، وبالغَ حتى أحالَ. ومثلُه قولُ أبي نواس (٦) :

.... حتى إنّــهُ   لتخافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخلَقِ.

قال ابو القاسم : (فلم يَصِحّ لنا معناهُ في الوقتِ) (٧) ثم نظرتُ في معناه بعدُ فلم أرَ الوجهَ ما فسّرَه بل رأيتُ معناه أنّه رجلٌ اسرَهُ قومُ اخوالِه يقول : فلو أنّ أمي لم تكنْ مِّنْ هؤلاءِ القومِ لقتلوني ولم يأسِروني.

ومثلُه :

فلو أنّ أمي لم تلِدْني لَحلّقَتْ   بي المُغْرِبُ العَنقاءُ عندَ بني كَلْبِ

وقد مرَّ تفسيرُه في هذا الجزءِ.

---

(١) نقل صاحب اللسان – فرق الرجز ببيت مختلف اولا هو : اشهد بالمروة يوما والصفا
وببيت ثان اختلفت بعض الفاظه هو : انك خير من تفاريق العصا. ونقل عن ابن بري ان الرجز لغنية الاعرابية . وقيل لأمرأة قالتهما في ولدها وكان شديد العرامة مع ضعف اسر ودقة وكان قد واثب فتى فقطع انفه فأخذت امه ديته ثم واثب اخر فقطع شفته فأخذت امه ديتها فصلحت حالها فقالت البيتين تخاطبه بهما .

(٢) وفي اللسان – عصا : والعصا : اسم فرس عوف بن الاحوص ، وقيل فرس قصير بن سعد اللخمي ... قال الازهري : كانت العصا لجذيمة الابرش وهي فرس كانت من سوابق خيل العرب .

(٣) في اللسان – زرجن ذكر ابن منظور ان بيتي الرجز لدكين بن رجاء وقيل لمنظور بن حبة . والزرجون بالتحريك : الكرم . او هو قضبان الكرم . او هو صبغ احمر . او هو الخمر . وقد زاد ابن منظور بيتين اخرين في حديثه عن اليرنأ واليرناء وقال وفي حديث فاطمة رضوان الله عليها : انها سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن اليرناء فقال : ممن سمعت هذه الكلمة ؟ فقالت من خنساء.

(٤) في جمهرة اللغة – درج : الأُدْرُجَة : التي تسميها العامة دَرَجَة ، والتُّرُجَة في وزن رُطَبَة افصح من الدَرَجَة . وفي حاشية المخطوطة اثبت : قال الاثرم : وسمعت الفراء يقول : دُرَّجَة .

(٥) كتاب الجيم : ٢٢٦/٢ غير معزو . والأعثى : الضبع الكبير كثير الشعر . والأهلب : خشنه . ينظر اللسان – عثا وهلب .

(٦) البيت : واخفت اهل الشرك حتى انه   لتخافك النطف التي لم تخلق
ديوانه ٤٠١ . والبيت من قصيدة في مدح الرشيد .

(٧) هذه جملة اثبتها الناسخ في الهامش وهي من الاصل ولم يشر الى موقعها في المتن .وضعناها هنا وبدا لنا ان ذلك انسب مَن وضعها قبل قال ابو القاسم كما وجدنا في تحقيق د. سليمان العايد .

★ المُوَلَه : العنكبوتُ(١)، وأنشد :

تمشي إلى الماءِ كمشي المُولَهِ (٢)

قال أبو سعيد : هذا البيتُ يُروى على الاطلاق اطلاق (له)، وعلى التقييد. فمن اطلق قال : المولَه من الوَلَه، لأنـه يُقال : أولهتُ الرجلَ فهو مُولَهٌ(٣)، ومن رواهُ بالتقييدِ ففيه وجهان : يكون المُولَه العنكبوتُ ويكون المُولَه من الوَلَه، ففي العنكبوتِ تكونُ الهاءُ للتأنيث، ولا يجوزُ اطلاقُها لا تصير تاءً مجرورةً ومعها مرفوعٌ، وهو :

حاملةً دلوكِ لا محمولَهْ

فلا يجوزُ في هذا البيتِ ولا الذي قبلَه الا التقييدُ.

★ قال الاعشى (٤):

ونهيضُ ظالعنا فليـ ـس لِعَظْمِ مَكسورٍ جُبارُه (٥)

يقول : ما ظَلَعَ من مَالنا نحرْناه واطعمْناه الناسَ، ولا نَجبِّرُهُ ونُداويه.

★ وقال طَرفةُ (٦):

رأيتُ سُعودًا من شُعُـودٍ كثيرةٍ فلم أرَ سَعْدًا مثلَ سَعْـدِ بن مالكٍ(٧)

أبرَّ وأوفى ذمـــةً يعقدُونَهـــا وخيرًا اذا ساوى الذّرىٰ بالحَوَارِكِ

يعني هُزلتِ الابلُ فتساوتْ اسنمتُها بحواركِها (٨)، وانما يكونُ في الجَدْبِ، يقول : يبذلون خيرَهم للناسِ في هذه السنةِ.

(٥٦ ب)

★ اذا قلت : ليس يكونُ زيدٌ قائما جاز من جهتين : احداهما أن يُجعلَ زيدُ اسمَ يكونُ وقائمًا خبرَها، وفي ليس اسمٌ مُضمرٌ، وهو الأمرُ، والجملةُ خبرُ ليسَ. والجهةُ الأخرى أن يكونَ زيدُ اسمَ ليس، ويكونُ خبرُها، وفي يكونُ اسمٌ مضمرٌ وهو هو، وقائما خبرُ يكون.

★ ثمانٍ بمنزلةِ رَجُلٍ يَمانٍ منسوبٌ إلى اليمن خُفِّفتْ ياءُ النسبِ فيه وأُلحقتِ الألِفُ بدلًا فيها (٩)، قال الأعشى :

ولقد شربتُ ثمانيًا وثمانيًا وثمانَ عشرةَ واثنتين وأربعا(١٠)

فصرف ثمانيا، إذ كان على ما اخبرتُك.

---

(١) وفي اللسان -- وله : نقل ابن منظور عن ابن دريد استاذ السيرافي قوله : وزعم قوم من اهل اللغة ان العنكبوت تسمى المولَه ، قال : وليس بثبت .

(٢) وفي اللسان ايضا رواية ابي عمرو لهذا البيت : تمشي من الماء كمشي المولَه.
قال ابن بري : يعني انها دلو كبيرة فاذا رفعها من البئر رفع معها الدلاء الصغار فهي ابدا حاملة لامحمولة لان الدلاء الصغار لاتحملها .

(٣) اللسان – وله : الوله : الحزن وقيل هو ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد او الحزن او الخوف ... المولَه مفعل من الوله .

(٤) الاعشى هو ميمون بن قيس ، جاهلي أدرك الاسلام ولم يسلم . ينظر الشعر والشعراء ١٧٨ .

(٥) اخل به ديوانه ونظنه قد سقط من قصيدته التي يهجو بها شيبان بن شهاب الجحدري وهي من مجزوء الكامل ومطلعها .
يا جارتا ما كنت جاره بانت لتحزننا عفاره
أ ر من الابيات المطموسة التي لم يستطع المحقق قراءتها ، واشار الى بعض كلماتها .
اللسان ظلع : ظلع الرجل والدابة في مشيه يظلع ظلعا : عرج وغمز في مشيه . واللسان – هيض : هاض الشيء هيضا : كسره . وهاض العظم .. كسره بعد الجبور او بعدما كاد ينجبر .

(٦) ينظر الشعر والشعراء ١١٧ .

(٧) ديوانه ٩٩ وفيه من (من شعوب) وفي المخطوطة من سعود وفي الديوان (فلم ترعيني مثل سعد) والبيت من شواهد سيبويه ٢٩٦/٢ في جمع سعد على سعود. وقد اثبت د. سليمان العايد في تحقيقه اذا سام الذرى بالحوارك .
وقال ابو العباس المبرد (في المقتضب ٢٢٠/٢) . لو سميت رجلا (عمرا) او (سعدا) تقول في الكثير عمور ، وسعود ، كما كنت قائلا : فلس وأفلس وفلوس ، واستشهد بهذا البيت من دون ان ينسبه وسعد بن مالك ، هو : سعد بن مالك بن ضبيعة ، أحد شعراء العرب وفرسانهم في الجاهلية .

(٨) اللسان – حرك : الحرك : اعلى الكاهل .

(٩) في شرح السيرافي لكتاب سيبويه ٢٧٥/٤ :وقد ذكر ان بعض العرب ترك صرف ثمان على مذهب الجمع كأن الواحد ثمني والجمع ثمان .

(١٠) المقرب ٣٢٧ ، منهج السالك ٧٢/٤ ، لسان العرب (ثمن) وليس في ديوانه وهو منسوب له في الشعر والشعراء ١٧٨٩ وفي كشف المشكل في النحو ٦٨ .

وشبيهٌ به - وان لم يكن مثلَه في النسب - برذونٌ رباعٍ، فاذا نصبتَ قلتَ : ركبتُ برذونًا (١) رَباعيًا.

★ اعلمْ أنّ كُلّ مُذكّرٍ سمَّيتَهُ باسمٍ مؤنّثٍ على ثلاثةِ أحرفٍ فإنّهُ منصرفٌ في المعرفةِ والنكرةِ سواءٌ كان وسطه ساكنًا أو متحركًا.

فإن جاوزَ الاسمُ ثلاثةَ أحرفٍ فصاعداً لم ينصرفْ في المعرفةِ كرجُلٍ سمَّيتَه بزينبَ أو كُراعَ. وان سمّيتَهُ بذراعٍ صرفتَه ولم تصرفْهُ، لأن الذراعَ تُذكّرُ وتُؤنّثُ. فإن سمّيتَ المؤنث باسمٍ مُذكّرٍ لم ينصرفْ في المعرفةِ (٢) قلّتْ حروفُه أو كثُرتْ سكنَ الأوسطُ منه أو لم يسكنْ كامرأةٍ سمّيتَها بزيدٍ وجَعْفرٍ.

فان سمّيتَ المذكرَ بالمذكرِ انصرفَ في المعرفةِ الا أن يَكونَ فيه علةٌ أخرى، فلا ينصرفُ كرجلٍ سمّيتَهُ بزيدٍ ودِرْهَم ودينار او فَرَزْدقٍ. وإن سمّيتَ رجُلا بضَرَبَ لم ينصرفْ(٣)، لأنّ هذا مثالٌ يخصّ الافعالَ، فإنْ قيل : فقد جاء بُقّمٌ قيل : هذا أعجميٌّ، وليس بعربيّ.

فان صغّرتَ ضَرَبَ أو ضَرَّبَ وسمّيتَ بهما انصرفا / كقولكِ ضُرَيْبٌ وضُرَيْرِبٌ، لانـهما قـد آلا في حال التصغير إلى مثالِ عُمَيرٍ وجُعَيفرٍ فلذلك انصرفا (٤). (١٥٧)

فإن سميتَ رجلا بقُمْ (٥)قلتَ : هذا قومٌ قد جاءَ، ورايتُ قومًا، ومررتُ بقومٍ، فرددتَ الواوَ لأنّها كانت تسقطُ في الأمرِ لالتقاءِ الساكنين، فلما تحركت الميمُ للاعرابِ رددتَ الواوَ وصرفتَه، لانّه ليس في أوّلهِ زائدٌ يَمنعُه، ووزنُه فُعْلٌ فهو يُشبه قُفْلا وخُرْجًا من الاسماءِ.

★ لو قلت : ضربتُ اللذين ضَرَبا عَمْرًا أباك وأخاك نصبتَهما على البدلِ من اللذين فإن جعلتَهما بدلا من الالفِ رفعتَهما، لأنّ الالفَ مرفوعةٌ، لأنها ضميرٌ عن الفاعلِ. ولو قلتَ : جاءني اللذانِ مرَّ بهما زيدٌ خالدٌ وبشرٌ رفعتَهما، لأنّهما بَدلٌ من اللذانِ، فإن قلت : خالدٍ وبِشْرٍ جاز ذلك على البدلِ من هما.

★ لا يقعُ الاستثناءُ بعد ما زال ولم يزل، لأنّ هذه الاشياءَ تحقيقٌ، والاستثناءُ معناه التحقيقُ ولا يدخلُ تحقيقٌ على تحقيقٍ.

★ تُكْتَبُ لِثمانٍ خَلونَ بغيرِ ياءٍ، فاذا اضفتَ إلى الليالي كتبتَ لثماني ليالٍ خَلَوْنَ.

★اذا قلتَ : جاءني القومُ ما خلا زيدا وما عدا خالدا نصبت زيدا وخالدا بخلا وعدا، لانهما في صلةِ ما، ولا يكونُ في صلةِ ما الا فعلٌ(٦).

★ قال الشاعرُ(٧) :

لو غيرُهُ قرعَ المنابرَ بعــــدَه   لنكرنَهُ فنبذْنَهُ عنهُنَــــه

★ قال الشيخُ ابو سعيدِ السيرافي رحِمَهُ اللهُ : لما بنى هشامُ بنُ عبدِ الملكِ بن مروانَ المسجدَ الجامعَ بدمشقَ وجدَ فيه رقعةً فيها :

---

(١) البراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العراب . ينظر اللسان – برذن . ورباعيا : هو للذي يلقي رباعيته وهي احدى الاسنان الاربع التي تلي الثنايا.

(٢) جعل السيرافي لهذا كلاما متابعا الكتاب في شرحه ٢٨٨/٤ باب تسمية المؤنث .

(٣) ينظر كشف المشكل في النحو ٣٣ وما ينصرف وما لاينصرف ٥١ .

(٤) في شرح السيرافي للكتاب ٢١٢/٤ ذكر التصغير في شبه الفعل قال انه على ثلاثة اوجه في حكم الصرف فمنها اسم لاينصرف في التصغير والتكبير نحو هذا الباب وغيره . واسم لاينصرف فاذا صغر انصرف ... الخ .

(٥) في شرح السيرافي للكتاب باب لما ينصرف من الافعال اذا سميت به رجلا ويبدأ في ٢٢٤/٤ قال في اوله هذا الباب يذكر فيه من سمي بفعل لا ضمير فيه ولا زيادة في اوله وله نظير من الاسماء . فابو عمرو ويونس والخليل يرون صرف ذلك وعيسى بن عمر لا يرى صرف ذلك في المعرفة .

(٦) قال السيرافي في شرحه للكتاب ٣٢٦/٣ واما ماعدا وماخلا فلا خلاف بين البصريين والكوفيين انهما موضع نصب وان ما خلا كالمصدر وفاعل عدا وخلا مضمر تقديره ماعدا بعضهم وما خلا بعضهم كأنا قلنا : اتاني القوم مجاوزتهم زيدا .

(٧) لم نعرفه .

رأيتُك تبني مسجدا من خيانةٍ	لعمرُك قبلَ اليوم ما لم تُوَفَّقِ
كسارقةِ الرّمّان ثم تصدقَـتْ	برمانها فعلَ الزكـيِّ الموَفَّـقِ
فقـال لها أهلُ النباهةِ والتّقى	لكِ الويلُ لا تزني ولا تتصدقي (١).

وقال جرير (٢):

ولقد نظرتُ وَرَدَّ نظرتيَ الهوى	بكثيبِ رامةَ والمطـيُّ سوام

يقول : نظرتُ نحوَها يعني نحو المراةِ التي يحبُّها، فحمَلَني هواي على أنْ نظرتُ الثانيةَ، والسوامي: المرتفعاتُ في السير.

آخرُ كلامِ السيرافيّ، والحمدُ لله أولاً وآخرًا، وصلى اللهُ على محمدٍ وآلهِ وصحبهِ وسلّمَ تسليما.

صورة الصفحة الاولى من المخطوط

جزء فيه تعاليق من النحو واللغة
وأبيات معان عن السيرافي رحمه الله

وفيه تعليق آخر عن غيره

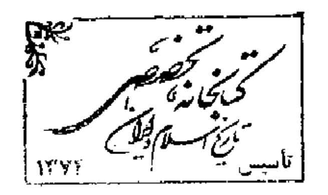
قال أبو سعيد السيرافي في المجلة الكتاب مثل التوراة
والإنجيل والكتب التي تتعاور قراءته وتحمل وأنشد قول النابغة
مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب
وروى قوم محلتهم أراد بقوله مجلتهم الكتاب الذي
يدرسونه من كتب الله المنزلة وكانوا نصارى

(١) في نهاية نص المخطوطة بعد ان قال اخر كلام السيرافي ... قال ويروى عن علي بن ابي طالب (ع) انه مر بمسجد الكوفة فقال من بنى هذا ؟ فقالوا فلان يا امير المؤمنين ، وكان عاملا له يتهمه بغلول في اموال المسلمين فكتب على الجص في ناحية منه

رأيتك تبني مسجدا من خيانة	فكنت بحمد الله غير موفـق
كصاحبـة الرمان لما زنت به	جرت مثلا للخائن المتصـدق
فقال لها اهل البصيرة والتقى	لك الويل لاتزني ولاتتصدقي

(٢) ديوانه ٥٥٢ وفيه اختلاف وروايته :

كذب العواذل لو رأين مناخنا	بحزيز رامة والمطي سوام



صورة الصفحتين الاخيرتين من المخطوط

الدراسة

المادة والمنهج :

اذا قلبنا صفحات هذه المخطوطة وتأملنا سطورها نستطيع ان ندرك انّ معظمها ملاحظات سريعة في المعاني والنحو . وفي مجال المعاني يعرض النص بمرافقة معناه والغالب ان يترك استنتاج المعنى انعام للقارئ وذلك بالاكتفاء باشارة الى المراد بكلمة او كلمتين . وقد يؤتى بنص آخر يعزز صحة المعنى المشار اليه . وقد تشرح قصة النص فيتضح معناه . يمثل ذلك قوله عند البيت :

((ولنا روايا يحملون لنا اثقالنا اذ يكره الحمل

الروايا : القوم الذين يحملون الديات وهم السادة .

ومثله قول حاتم طيء :

اغزوا بني ثعل فالغزو دونكم عدوا الروايا و لاتبكوا لمن قتلا

يقول عدوا الاشراف ولا تبكوا على من قتل))

يبين السيرافي المعنى من وجوه عدة ويوصل اليه بالطرائق الاتية :

١ - بالبحث الصرفي في الكلمات

٢ - بالالتفات الى القضايا النحوية

٣ - من خلال اختيار أحد معاني المشترك اللفظي

٤ - بذكر المرادفات

٥ - بتعريف الكلمات وتفسيرها بوصف مدلولها

٦ - بملاحظة الكلمات في سياقاتها

وقد ذكر ياقوت في معجم الادباء[1] ان السيرافي كان يُسأل عن كلمات وابيات شعر ومسائل اخرى فله جواب لسؤالات سألها ابو جعفر ملك سجستان بلغت سبعين مسألة في القرآن ومائة كلمة في العربية وثلاثمائة بيت من الشعر واربعين مسألة في الاحكام وثلاثين مسألة في الاصول عن طريق المتكلمين . ومثلها جوابات لسؤالات من المرزبان بن محمد ملك الديلم سأله عن مئة و عشرين مسألة و جواب لسؤالات من نوح بن نصر تزيد على اربعمائة مسألة تغلب عليها الصعوبة وجواب لسؤالات من ابن حنزابة جمعها له الدار قطني . فالذي نجده في هذه المجموعة من التعليقات شروح فيها منافذ تلك الخبرة الواسعة التي تمثلت في اجوبته عن ما سئل عنه .

ولان ما بين ايدينا امال لدروس السيرافي فانها تحتوي ما يحتويه كل درس عادة من تداعيات حرة . ولان هذه الامالي رهن بكاتبها يسجل ما يشاء فيها وبالطريقة التي يشاء فاننا نتبع منهجها وننظمها في سلك يضمها ولكننا نفقد احيانا هذا الناظم ولا نتبين رابطا يربط بعض الملاحظات بغيرها في المجموع . ولكن المعنى بالتاكيد هو الابرز في اكثر المواضع. والاتي سرد لمحتويات المخطوطة مشفوعا بتتبع مواضعها في منهج دراستها .

١ - ابدال نادر نقل عن العرب في بيت في كلمة اتّمنت ومن خلال معرفة هذا الابدال تبين ان المعنى ائتمنت ويدخل في معرفة المعنى عن طريق التحليل الصرفي .

- من تداعيات الابدال قوله (علامة الاضمار ليست باصل في حتى لانها لو كانت اصلا لغيرت كما غيرت مع على والى فقيل حتيه كما قيل اليه وعليه) . فهنا لم يحدث الابدال المتوقع والى ذلك استند الرد على الكوفيين القائلين بدخول حتى على الضمائر .

- معاني القسقاس (المشترك اللفظي) : السريع ، الجوع ، اسم نبت . مثل لها بابيات . ثم ذكر ان معنى النسناس : الجوع . فهذا ابدال القاف نونا والمعنى واحد . ومن تداعيات هذا المعنى قوله ايضا : وأبو عمرة : الجوع

- ابدال السين ياء في أبيات لغير ضرورة في سادسة ، قال الشاعر

ومن قبلها واريت خمسا حلائلا وسادية اعتدها من رجانيا

(١) ٨ / ١٧٩

٥- من تداعيات الابدال في الاعداد قوله وقال آخر في الخامي وهو يريد الخامس

ثلاثة آباء كرام ورابع وما الخام منها بالبخيل الملوم

وقد اتبع بشاهد آخر انشده الكسائي للخامي .

٦- ومن ذلك ايضا قوله : وقال آخر ٠٠٠٠٠٠٠

وقد مرت سنين بعد عهدي ثمانية وهذا العام تاسي

والتاسي هو التاسع ابدلت العين فيه ياء . فمن معرفة الابدال في هذه الاعداد عرفت معانيها ودلالاتها وهو في التحليل الصرفي لهذه الكلمات . وقد قلنا ان (٥ و ٦) في تداعيات الابدال للاعداد لأنها تدخل في الضرورة الشعرية ولا يدخل سابقها في ذلك . مع ان القيرواني قد ادخلها جميعها (الضرائر الشعرية) . لانه عرف سادي أي سادس في نهاية بيت اخر ولم يطلع على كل الابيات كما يبدو. والبيت الذي في كتابه هو:

بو يزل اعوام اذاعت لخمسة وتعتدني ان لم يق الله ساديا

٧- اضمار الواو في قوله :

ما احمل السيف الا قد ضربت به ولا تبيت جيادي وهي اغمار

قال الكسائي : معناه ما احمل السيف الا وقد ضربت به فاضمر الواو وقد نقل هذا القول السيرافي فاوضح المعنى . التحليل النحوي للنص . وقد ضرب أُمثلة ثلاثة أُخرى من الشعر فيها اضمار الواو .

٨- معنى السرف (مشترك لفظي) في بيت ذكر عجزه وهو قول جرير :

.... ما في عطائهم من ولا سرف

وصدره : اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية

ولعله من تداعيات ذكر الاعداد السابقة واخرها البيت المذكور اولا في (٦) بين النقاط التي نذكرها للمنهج وقد استشهد له بنص نثري عن الاعراب .

٩- من تداعيات غموض المعنى ذكره ابياتا ثلاثة لمعنى فاحش فهذه لابد فيها من تقليل الوضوح . شرح منها ما يحتاج الى شرح . ثم انشد خمسة ابيات رجزية في معنى فاحش اخر . لم يشرح منها شيئا .

١٠- عود الى الاضمار ، قال :

وهمت رجال يشفعوا لي فلم اجد شفيعا اليه غير جود يعاد له

٠٠٠ اراد ان يشفعوا لي فاضمر ان واعملها . ويدخل في التحليل النحوي لتوضيح الدلالة.

١١- اضمار اسم الاشارة ممثلا ببيت . وتعليقه يوضح المضمر في البيت ما هو ؟ لفهم المعنى.

١٢- في قول النابغة :

نظرت اليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم الى وجوه العود

شرح السيرافي للبيت اوضح ان المضمر في لم تقضها تقديره هي وليس : انت . و الاخير مما يتبادر الى الذهن لولا التوضيح فلا يفهم المعنى صحيحا .

١٣- وفي قول تال قد يتوهم القارئ مضمرا غير الذي اوضحه السيرافي قال الشاعر :

ولا انا مأمون بشيء اقوله وانت بأمر لا محالة واقع

قال ابن الاعرابي يريد لا محالة واقع بي فاضمر وكان يمكن ان يتبادر الى الذهن : واقع بك . فهذا اضمار شبه الجملة . وتقدير الضمير فيها . وبعده ضرب مثالا اخر لاضمار شبه الجملة.

١٤- في الاضمار ايضا ذكر بيتا اضمرت فيه الجملة الفعلية .

١٥- في استعمال اسلوب التثنية والمُتَحَدَّث عنه واحد قد يعود الضمير الدال على مفرد الى اثنين كما في القول الذي ذكره السيرافي من انشاد الفراء

ومهمهين قذفين مرتين قطعته بالأم لا بالسمتين

يقال : لم قال : ومهمهين ثم قال : قطعته ولم يقل قطعتهما .

فهذا حديث اخر في الاضمار . وقد ضرب له السيرافي امثلة من شعر العرب وشرحها .

١٦- من تداعيات التثنية مسألة ذكرها السيرافي قال يجوز ان يجيء في جواب ايهما عندك ؟ : (نعم) او (لا) على وجهين وذكر الوجهين شارحا المعنى المراد من السؤال عند كل منهما .

١٧- يضع السيرافي امام طلابه مجموعة من الابيات لا يتضح معناها للقارئ بسهولة وتحتاج الى تفسير وهو المقصود بقول الجامع في العنوان : وابيات معان . وقد يكون من بينها النص الذي في بداية المخطوط قبل البسملة (مجلتهم ذات الاله...)

١٨- تتخلل الابيات المذكورة شواهد شعرية لتأييد صحة التفسير الذي ذهب اليه السيرافي فيها وشواهد قرآنية وشواهد نثرية من اللغة ومعاني مفردات نقلت مع معاني الابيات عن العلماء الذين سبقوا السيرافي .

١٩- المادة النحوية في مجموعة التعليقات في النص المحقق تحتل الجزء الاخير منها وتبدو كأنها اجوبة عن اسئلة سئلها السيرافي . فالتعليق الاول في اعراب : ليس يكون زيدا قائما ، على وجهين .

٢٠- التعليق الثاني في صرف (ثمان) . وجر هذا الى الدخول في الاسماء المنصرفة وغير المنصرفة والحديث عن بعضها . فتناول ما يدخل في العلمية والتأنيث وما يخرج منه . والعلمية ووزن الفعل ، ما يدخل فيها وما يخرج من الاسماء ، فتمنع الصرف او تنصرف على ذلك الاساس .

٢١- مسألة في البدل

٢٢- الاستثناء لا يقع بعد ما زال ولم يزل .

٢٣- عود الى ثمان وطريقة كتابتها عند الإضافة وعدمها في المعدود المؤنث .

٢٤- رجعة الى الاستثناء والحديث عن نصب المستثنى بعد ماخلا وماعدا لانهما فعلان .

٢٥- امثلة (غير) عندما لا تكون للاستثناء .

المعاني واللغة : نستعرض هنا مجموعة الابيات التي اشرنا اليها بالنقطتين (١٧ و ١٨) من المنهج ونتتبع من خلالها طريقة السيرافي في تقريب المعنى والدلالة في الابيات التي اشير اليها بأبيات معان في العنوان .

* إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة سهيل اشاعت غزلها في القرائب

المشكل في المعنى قوله كوكب الخرقاء ثم ابدل بسهيل شرحَ السيرافي المقصود بكوكب الخرقاء . فهذا التركيب في البيت من المضاف والمضاف اليه ليس على سبيل العلمية .

* في بيت امرئ القيس

بردت مراشفها علي فصدني عنها وعن قبلاتها البرد

مشترك لفظي فكلمة برد لمعنيين لا يتضح منهما الثاني وهو البرد بمعنى النوم والمشترك كما هو معروف من مشكلات المعنى. بوضع اليد على المعنى المقصود للكلمة منه يتضح المقصود .

* قال الشاعر

احب لحبها السودان حتى احب لحبها سود الكلاب

السؤال الذي يتبادر الى الذهن هنا لماذا يحب لحبها السودان وما معناه ؟ بتوضيح مغزى البيت فهم المعنى . وهكذا توصل الى الدلالة من خلال السياق .

* في قول الشاعر

فلو ان أمي لم تلدني لحلقت بي المغرب العنقاء عند بني كلب

يستوقف القارئ والسامع قوله : فلو ان أمي لم تلدني ، ما علاقته بالموت ورمزه تحليق العنقاء به لقد خدم السياق بمعرفة قصة البيت في إيضاح المعنى . ومعلوم ان السياق يشمل قضايا كثيرة يدخل فيها كل ما يحيط بالاقوال من ظروف وبيئات .

* الواهب المئة الهجان وعبدها عوذا تزجي خلفها اطفالها

زجى الشيء وازجاه : ساقه ودفعه ، وقد وضع السيرافي جواباً للسؤال كيف تسوق هذه الابل اطفالها خلفها ؟ قال اذا لم تتبع امهاتها حنت الامهات و التفتت، فحينئذ تنساق الاطفال والحق ان البيت يروي برواية اخرى لايشكل فيها المعنى بالتناقض بين معنى التزجية او السوق برفق ووجود المزجى خلف المزجي بحسب هذا البيت . والرواية هي

.... تزجي بينها اطفالها

* قال الشاعر :

ولنا روايا يحملون لنا   اثقالنا اذ يكره الحمل

قال ابن الاعرابي : يقال لسادة القوم الروايا . فكيف يحمل السادة الاثقال اذ يكره الحمل ؟ ان توضيح المقصود بالاثقال وهو الديات . كان بسبب من ملاحظة السياق فالضمير يحملون يدل على جمع من الذكور العقلاء في حين يدل اجتماع الروايا وهي الجمال التي تحمل الماء مع الانقال على هذه الحيوانات لا السادة لولا ان دلالة يحملون مرتبطة بدلالة الروايا التي تطورت دلاليا بطريقة انتقال المعنى .

* قالت خناس :

وداهية جرها جارم   جعلت رداءك فيها خمارا

في تفسير جعلت رداءك فيها خمارا قولان الاول : الرداء السيف وهذا تطور دلالي للرداء جاء عن طريق توسيع المعنى . ويعني توسيع المعنى ان يصبح عدد ما تشير اليه الكلمة اكثر من السابق او يصبح مجال استعمالها اوسع من قبل . وقيل للسيف رداء لان متقلده بحمائله مترد به كما جاء في اللسان .

القول الثاني : ارادت : انك جددت في هذه الحرب وتعصبت فيها بردائك ، وهذا توسيع لمعنى الخمار . فقد قال ابن منظور : والخمار للمراة وهو النصيف وقيل الخمار ما تغطي به المراة راسها .. .. وفي حديث ام سلمة : انه كان يمسح على الخف والخمار . ارادت بالخمار العمامة لان الرجل يغطي بها راسه كما ان المراة تغطيه بخمارها .

* و قال الشاعر

فشبهتهم في الآل حين اراهم   اوافي سدى تغتالهن الحوائك

قرب السيرافي معنى البيت بشرح التشبيه الذي فيه فالابل التي تتهادى وتحمل احباء الشاعر بعيدا تبدو وتختفي عند السراب مثلما تبدو وتختفي قصبة يدفعها الحائك فتختفي وتذهب عند النسج ثم تخرج . والصورة واضحة في البيت لكن الالفاظ احتاجت الى تفسير .

* قال كثير :   تجنبت سعدى عنوة ان تزورها   وانت امرؤ لاهل ودك تارك

وجه السيرافي معنى البيت الى المدح بتفسير تارك وهي من الاضداد على ذلك فمعناها في قول كثير : مبق . والاضداد من مشكلات المعنى وتدخل في المشترك اللفظي ايضا وقد أوضحه السيرافي في هذا الاستعمال فتخلص من الاشكال الدلالي الذي يقع فيه المتلقي.

* في الرجز المنسوب لقصي بن كلاب:

اني لدى الحرب رخي اللبب

قال السيرافي : (يقال فلان رخي اللبب إذا كان حليما) ولا يتناسب هذا مع الحرب ، فقال : (ورخي اللبب إذا كان لا يملأ قلبه شيء ولا يجبن عند الحرب) .

فأوضح هذا المشترك لكي لا يشكل المعنى .

* في قوله :   آتي النديّ فلا يقرب مجلسي   واقود للشرف الرفيع حماري

يشكل الشطر الثاني في المعنى لان كلمة شرف من المشترك اللفظي فلها معنى الحسب بالآباء . والمعنى الآخر العلو والمكان العالي . وقد شرح السيرافي معنى الشطر وبين ان المقصود من الشرف فيه هو الموضع الرفيع أي المرتفع . وقد شرحه الجوهري أيضا قال : يقول اني خرفت فلا ينتفع برأيي وكبرت فلا أستطيع ان اركب من الأرض حماري إلا من مكان عال (الصحاح شرف) .

* قال الشاعر :   نشين صحاح البيد كل عشية   بعوج السراء عند باب محجب

الشين : العيب . والبيداء : الفلاة . والجمع : البيد . قال صاحب اللسان يريد انهم يتفاخرون ويخطون بقسيهم على الأرض فكأنهم شانوها بتلك الخطوط .

وكذلك قال السيرافي : ويخطون في الأرض بقسيهم . فالبيد هنا للأرض وليس للصحراء . فهو تطور دلالي يدخل في باب توسيع المعنى استعمله لبيد . والتوضيح كان في تعاليق السيرافي وقد استدل على ذلك الاستعمال ببيتين من ابيات ذلك المعنى .

★ و قال الشاعر :

لو جسر دجلة عن يزيد سألته	والجسر منقطع به معقود

قوله منقطع به معقود غامض اتضح من خلال شرح السيرافي لطريقة وقوف يزيد وقتاله على الجسر . فأعان السياق على إيضاح المعنى المراد وابعاد فكرة التناقض التي يرتبك لها فهم المتلقي .

★ وذ... ...ك بيتا آخر هو :

...ص براها في مسامعها	من حيث ما ارتحلوا باتوا يحلونا

فهنا التناقض نفسه في ... من حيث ما ارتحلوا باتوا يحلونا . وقد بين السيرافي سياق الكلام فاتضح الغامض من المعنى عندما ذكر ان ... ...ء يرتحلون من عندهن ويبيتون عندهن .

★ قول الأسود بن يعفر :

ابا جازي الاقوام بالنعم أجزنا	بمحملنا بابان فوق ...
فكائن كسرت من هتوف مرنة	من السدر كانت ...
فقدنا زعمنا حين نرفع نعشه	ثمانين ...

المشكل فيه قوله فكائن كسرت من هتوف مرنة . فقوس هتوف وهتفى : مرنة ... القسي العظيمة . فلم يكسر هذه القسي ؟ وما علاقتها بحمل بابان ؟ . لقد شرح السيرافي مقصد الشاعر بهذه الابيات ... ...انوا يحملون هذا المريض على تلك القسي العظيمة فبين علاقة الأبيات ببعضها والمعاني المرادة منها .

★ قال الاخر : ابا مالك ان الغواني هجرنني ابا مالك اني اظنك ...

يشكل قوله ابا مالك اني اظنك دائبا فكيف يكون ابو مالك داءه ؟ اوضحه السيرافي عندما قال ابو مالك ... اسم الهرم . ومعرفة ذلك من متابعة هذه الكنية من كونها كنية معتادة الى تطورها الدلالي اذ صارت علماً للهرم . وهذا من باب التطور الدلالي بانتقال الدلالة او نقل المعنى . يقول فندريس[1] في تحديد المراد بنقل المعنى : يكون الانتقال عندما يتعادل المعنيان او اذا كانا لايختلفان من جهة العموم والخصوص .

★ ومن تداعيات السابق انشاد ابي سعيد قول الشاعر :

اعار ابو زيد يميني سلاحه	وللدهر في صم السلام كلوم

العلاقة بين شطري البيت ليست واضحة لولا قول السيرافي وابو زيد : الهرم . وفي هذه الكنية التطور الدلالي الذي سبق ذكره في ابي مالك .

★ وحدث أبو سعيد من حفظه حديثا عن نزول معاوية بحي من احياء كلب ولعل الذي اتى به في هذا الموضع حديثه في نص اسبق عن بني عبيدة وعميلة وحويزة وتيم الرباب من العرب وهو نص في النسب بعد حديثه عن الكنى المذكور انفا . فسر السيرافي من محادثة المراة الكلبية معاوية قولها : لبن جهير . فقال لم يخلط به ماء فهو خالص . ولعله فسر باقي الغريب من كلامها لكن صاحب المدونة لم يدرك الباقي ليكتبه . ويدخل قول السيرافي في الجهير في تعريف الكلمات وتفسيرها بوصف مدلولها وهذا نوع من التفسيرات المعجمية وهي المقصودة في العنوان بتعاليق في اللغة . والتالي من ذلك ايضا .

★ نص نقله الاصمعي وذكر في هذه التعاليق وهو من مستوى حديث الاعرابية السابق من حيث احتمال ان يكون في اللهجات ومن حيث سجعته وغريب كلماته نقله عن أسير في بعض الاحياء حمد القوم فقال : كنت أوثر بالكسور وغرر القدور واغبق الوغير واجلس على الوثير واجنب اللهائد وتنصفني الولائد . قال السيرافي : الكسور : المفاصل . وهو من ذكر المرادف في التفسيرات المعجمية للوصول الى الدلالة . ثم فسر الوغير بانه اللبن يحمض بحجر يسخن ويلقى فيه . فهذا من تعريف الكلمة بوصف مدلولها . واللهائد قال فيها : الضرب والذل . ويدخل في نوع من اشباه الترادف وهو التقارب الدلالي ويتحقق ذلك حين تتقارب المعاني لكن يختلف كل لفظ عن الاخر بملمحة مهمة واحدة في الاقل . قال صاحب اللسان : اللهد : الدفع الشديد في الصدر . ورجل ملهد : اذا كان يدفع تدفيعا من ذله . ونلاحظ مرافقة الذل للهد وهو يدخل في الحقل الدلالي الخاص بالضرب ويختلف عن اللكسيم بطريقته وهي الدفع وما اشير اليه من الذل . اما قول السيرافي : وتنصفني : تخدمني . فهو من الترادف الكامل .

(١) اللغة ٥٦ ؟

* قال الشاعر : فقلت لها اني اتيتك راغبا   بثعلبة تدمى واني امرؤ عان

وقال الاخر : ثعالبهم من الادلاج تدمى   على قلص اضر بها الرسيم

استعان السيرافي بتبيين معنى الثعلبة نقلا عن العلماء وذكر مرادف هذه الكلمة وبذكر البيت الثاني على توضيح معنى البيت الاول . وقوله بثعلبة تدمى كناية عن المعاناة اتضحت من الاستعمال نفسه دلالة على المعاناة في البيت الثاني . اذ معناه انهم مروا برحلة طويلة متعبة لتواصلها ليلا ونهارا لطلبهم العجلة والسرعة فيها .

* تفسير ابي القاسم لقول الشاعر : اقسم بالله يمينا والضحى   لانت خير من تفاريق العصا

الاول : يحتمل ان يكون قد عنى فرسا له اراد انت خيرٌ من تفاريق العصا والعصا فرس وتفاريقها ما نتج منها . فالعصا كلمة حدث فيها انتقال دلالي فكانت اولا للعصا المعروفة ثم سميت بها فرس فصارت علماً لها وبايضاح ذلك ظهر معنى لانت خيرٌ من تفاريق العصا .

الثاني : امراة تخاطب ولدها الذي اخذت ديته في ما اصابه بعد ان واثب الفتيان فقطعت اعضاؤه فصلحت حالها فقالت له انت خير من تفاريق العصا وهي العصا المعروفة . والمقصود بها كما نقل ابن منظور عن ابن الاعرابي : ان العصا تكسر فيتخذ منها ساجور فاذا كسر الساجور اتخذت منه الاوتاد فاذا كسر الوتد اتخذت منه التوادي تصر بها الاخلاف . وليس في المذكور شيء لابي سعيد السيرافي .

* كأن باليرنأ المعلول   ماء دوالي زرجون ميل

بين السيرافي معنى اليرنأ بطريقتي ضبطه وهو واحد : الحناء . وهذا من المترادف اذا لم تكن الكلمة في المعرّب. فأن كانت فيه فهو في الترجمة له . وبيتا الرجز هذان لبعض بني اسد. والهدف من تعليق السيرافي هنا توضيح معنى الكلمة في البيت الاول وطريقة لفظها. ولم ينقل لنا ابو القاسم تفسير البيت الذي يليه وهو متعلق به للتشبيه ولكن الكتب نقلت لنا اهتمام السيرافي بتفسير كلمة زرجون اذ نقل ابن منظور في انها الخمر الآتي : قال السيرافي : هو فارسي معرّب شبه لونها بلون الذهب لان زر بالفارسية : الذهب ، وجون : اللون ، وهم مما يعكسون المضاف والمضاف اليه عن وضع العرب . وهذا من الترجمة وهي من طرائق التفسير المعجمي للوصول الى الدلالة .

* قال الشاعر : فلوا ان امي لم تلدني لجرني   الى جحره اعشى من الضبع اهلب

فسره ابو سعيد على المبالغة : فلو لم اولد لكنت ممن يقاتل فيقتل فتجره الضبع وبالغ حتى احال أي دخل في المستحيل ومثل بقول ابي نواس .... حتى انه   لتخافك النطف التي لم تخلق

في باب تقريب الفكرة باستعمال تعبير مماثل او جمل مترادفة وهو عند علماء اللغة المحدثين من اشباه الترادف ويكون حين تمتلك جملتان المعنى نفسه في اللغة الواحدة وتستعمل هذه الطريقة لايصال المتلقي الى استنتاج دلالة الجملة .

* وقال الاخر : تمشي الى الماء كمشي المولهِ - وَمَطْـ : حاملة دلوك لامحموله .

ربط السيرافي بين دلالة المولهِ وهي كلمة من المشترك اللفظي وطريقة لفظ القافية مقيدة بالهاء الساكنة او مطلقة معربة فيصادف قائلها الاقواء . وهو من عيوب القافية . لانها ستكون عند ذاك في احدى القافيتين مكسورة للاضافة وفي الاخرى مرفوعة . وقد ذكر ان المولهِ هو العنكبوت في احد معاني هذا المشترك اللفظي وباستطاعتنا تخيل هذه الدلو الكبيرة التي تحمل الدلاء الصغار اذا ارتفعت حاملة الماء معلقة بحبلها مثل شكل العنكبوت المعلق بخيطه . واذا كان المولهِ من الوله أي الذي ذهب عقله من شدة الوجد والحزن فالصورة ستكون عدم اتزان الدلو عند نزولها وسرعتها في ذلك . او تقاطر الماء منها عند صعودها كالدموع . فههنا الربط بين الدلالة والاشتقاق والضرورة الشعرية وقيود النحو .

* قال الاعشى   ونهيض ظالعنا فليـــــــــس لعظم مكسور جباره .

هاض الكسر أي عاد فكسره قبل ان يلتئم والظالع الذي يعرج من الناس والابل . فالذي يتبادر الى ذهن المتلقي قد يكون انهم لايجبرون كسور الادميين وليس الابل على سبيل الكرم . وقد اشكلت المعنى كلمة ظالع لانه لم يستعمل كلمة خاصة بالابل والمال وحده . انما استعمل كلمة تجوز على كليهما . فهذا شبيه بمشكل المشترك اللفظي في الدلالة فضه السيرافي بتحديد المعنى المقصود بالكلمة .

* قال طرفة : رأيت سعوداً من سعود كثيرة   فلم ار سعدا مثل سعد بن مالــك

أبر واوفى ذمة يعقدونهـــا   وخيرا اذا ساوى الذرى بالحــوارك

المعنى ان سعد بن مالك واهله خير من الناس لانهم يبذلون خيرهم عند الجوع الذي يذيب حتى اسنمة الابل. فهذا الكرم الموصوف هنا من تداعيات الوصف السابق . شرح السيرافي : ساوى الذرى بالحوارك بهزال الابل عند الجدب فتساوي اسنمتها حواركها وهي كواهلها ، وذلك في تبيينه ان الاسنمة هنا هي الذرى ويقود الى ذلك السياق اذ جاءت مع الحوارك او الكواهل . وسياق المدح ايضا يهدي الى هذا المعنى . والذرى تدخل في باب التطور الدلالي بتخصيص العام .

* قال النابغة : مجلتهم ذات الاله ودينهم   قويم فما يرجون غير العواقب

بشكل قوله مجلتهم ذات الاله ، ففسره بأن الكتاب الذي تكثر مطالعتهم له ويجل هو انجيلهم لانـهم نصارى . فالكتـاب المنزل هو المجلة ذات الاله ووصفها كان باضافتها الى منزلها لتعريفـــها وتوضيحها . وتفسير السيرافي للمجلة كان بالتعريف بتقديم وصف لها .

★ قول جرير : ما في عطائهم من ولا سرف

فسره السيرافي بذكر المشترك اللفظي في سرف ، فيقال اسرفوا في العطاء : جادوا . واسرفوا فيـه أي : وضعوه في غير موضعه . وساعد السياق على اختيار احدى دلالتي المشترك .

★ قول جرير : ولقد نظرت ورد نظرتي الهوى

كلمة ردّ من المشترك اللفظي فهي تحتمل النهي عن النظر وتحتمل اعادة النظر . وفي السياق الذي يتحدث فيه يجب ان يكون المعنى الثاني هو المطلوب بالكلمة في البيت . وضح ذلك السيرافي باختيار المعنى المناسب للكلمة من هذين .

النحو والصرف

١- الابدال

ذكرنا في المنهج ان للسيرافي اكثر من وقفة مع الابدال ومن شروط الابدال كما هو معروف ان لايؤثر تغيير الفونيم المستعمل له في المعنى . ومن المواضع التي تبين لنا ان حديث الابدال كان سببا في تناولها بالدرس المثبت في المخطوطة .

أ- ابدال الهمزة تاءً في اتمنت والاصل ائتمنت في قوله ولا اتمنت على مال ...... الخ وقد قال السيرافي في ما ذكره الكوفيون من الادغام : (اذا كان اتخذ (افتعل) من الاخذ فالقياس فيه ان يقال ائتخذ يأتخذ ائتخاذا كما يقال في افتعل من الامر ائتمر يأتمر ائتمارا. ومن الاكل : ائتكل الفرس يأتكل ائتكالا. ويمكن ان يكون قلبوا الهمزة واوا ثم ادخلوه في باب اتزن واتعد من الوعد والوزن)[1] وقد نقل (اتّمن) في التعليقات ثعلب . واقر ذلك اللسان ففي أمن – نجد : (وقد أمنه وأمّنَه وَاتمنَه واتّمنه عن ثعلب وهي نادرة. وعذر من قال ذلك ان لفظه اذا لم يدغم يصير الى صورة ما اصله حرف لين فذلك قولهم في افتعل من الاكل ايتكل .... فاشبه حينئذ ايتعد في لغة من لم يبدل الفاء ياء فقال اتّمن لقول غيره إيتمن).

والذي حدث في هذه الكلمة من وجهة نظر علم الاصوات الحديث هو الالتجاء الى نبر الشدة بدلاً من نبر الهمز . وهو معروف في العربية وقرى به القرآن . وذكر ابو حيان في الارتشاف[2] قراءة (اتّمن أمانته)[3] مثالا نادرا وذكرها ابن خالويه قراءة لابن محيصن[4] وقال جعل التشديد عوضا عن الهمزة . وهذا يحدث عند بعض من اعتاد على تخفيف الهمز ولاسيما عند مضاعفته .

ب- الابدال في خامس وسادس وتاسع بما يجعل الحرف الاخير منها حرف المد الياء ذكر في القلب و الابدال لابن السكيت واهتم ابن جني في سر الصناعة بذكر الحروف التي تبدل بعضها من بعض . وأول العلماء منذ سيبويه الابدال بالتقارب والتداني بين المخارج او التشابه في بعض الصفات . ونلاحظ ان الابدال في الكلمات المذكورة ادى بالكلمات الى ان تشبه عددا مألوفا هو (الثاني) فضلا عن انها جاءت في قافية تستلزم الياء. وقد وجدنا كلمة سادية داخل البيت بالياء ونرى ان الشاعر ناسبها مع قوله في مجموعة الابيات نفسها عند القافية : ساديا وقد تكون لغة لاحدى القبائل في الاعداد خاصة. او ضرورة شعرية فحسب .

جـ- ذكر السيرافي في التعليقات التي مر نصها ان علامة الاضمار ليست باصل في حتى لانها لو كانت اصلا لغيرت كما غيرت مع على و الى فقيل حتيه أي انه كان ينتظر ان تبدل الف حتى ياء كما ابدلت الالف في على و الى فقيل عليه واليه لكنهم لم يقولوا ذلك وفي ذلك قال سيبويه : و اما الى فمنتهى لابتداء الغاية تقول : من كذا الى كذا. و كذلك حتى .. و لها في الفعل نحو ليس لالى. و يقول الرجل انما انا اليك، اي انما انت غايتي و لا تكون حتى ههنا. فهذا أمر الى وأصله و ان اتسعت. و هي اعم في الكلام من حتى، تقول : قمت اليه فجعلته منتهاك من مكانك و لاتقول : حتّاه[5] . و قد اجازه الكوفيون و المبرد. قال ابو حيان في ارتشاف الضرب من كلام العرب : و لايكون المجرور بحتى ضميرا هذا مذهب سيبويه و اجاز الكوفيون و المبرد جرها الضمير[6] . و في شرح سيبويه للسيرافي علل السيرافي منع سيبويه الاضمار في حتى بالسماع من العرب:(لانهم استغنوا بقولهم حتى ذاك و من ذاك و انما يريد ان العرب استغنوا بشيء عن شيء و ليس لاحد ان يجيز ما استغنت العرب عن الكلام به ببدل جعلوه مكانه)[7] .

---

[1] ما ذكره الكوفيون من الادغام ٧٤ وهو باب من الابواب التي الحقها السيرافي بشرحه لكتاب سيبويه .

[2] الارتشاف ٢٦٧/١ وينظر البحر ٢٥٦/٢ .

[3] البقرة ٢٨٣ .

[4] مختصر شواذ القراءات ٢٥

[5] الكتاب ٢٣٠/٤-٢٣١.

[6] الارتشاف ١٧٥٥/٤.

[7] شرح السيرافي على كتاب سيبويه ٤٠٦/٢.

فهذه مجموعة من تعليلات القضية المذكورة. لاتقترب كثيرا من فكرة السيرافي و توقعه الابدال (او القلب وهو نوع منه)لو كانت مسألة دخول حتى على الضمير مألوفة في كلام العرب.

د- القسقاس و النسناس كلمتان استعملتا للدلالة على الجوع و الظاهر ان القاف و النون قد تبادلتا المواقع فيها و هي في الاصل كلمة واحدة لان بناءهما واحد. والغريب هو تباعد مخرجيهما واختلاف طريقة نطقهما . وقد ذكرنا ان العلماء اشترطوا التقارب او الشبه .

٢- الحذف و الاضمار:

هذا باب واسع في العربية. و قد كان من المعتاد في لغتنا ان يلجأ المتكلم الى الحذف و الاضمار في مجموعة من المواضع اهمها الضرورة بمساعدة السياق على ذلك فيتخفف المتكلم مما هو مفهوم. و قد تناول السيرافي في تعليقاته مجموعة من الاقوال و بين فيها مواضع المضمرات . فاضمرت واو الحال في قوله : ما احمل السيف الا قد ضربت به

و قوله : لا يقطع الخرق الا طرفه سامي .

و قوله : الا جبينك انور

و قوله : الا غد اكثر الايام لي عجبا [١]

و نلاحظ اهمية الوزن الشعري في غياب الواو وحذفها و غيرها.

و في قول الشاعر : و همت رجال يشفعوا لي.

حذفت ان و بقي عملها فنصب الفعل بها و مضمرة.

و اضمر القائل : ثم قالوا سفيهًا مقتولا. اسم الاشارة هذا

و في قول النابغة : نظرت اليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم الى وجوه العود . حذفت اداة التشبيه و كان يمكن ان يقول كنظر السقيم و الوزن لا يحتمل كل المحذوفات و المضمرات السابقة.

و هكذا الامر في : مكان الاصبعين من القبال. و المضمر شبه الجملة مني و قد ذكر السيرافي الاضمار و الاكتفاء بالمعنى لانه يعين على ذلك و تلك اهمية السياق . و قد ظهر ايضا في قوله : حتى ينال كواكب الجوزاء

فأضمر الشاعر : لاينالهن أي الغواني .

وفي جواب ايهما عندك نعم ام لا. يجوز ان يكون المتكلم قد اضمر اداة الاستفهام الهمزة قبل أي و المقصود أيهما عندك؟ فيكون أي من اويت. فهذا داخل في موضوع الاضمار الذي تحدث فيه السيرافي.

وفي قضية التثنية والتحدث عنه واحد نقل السيرافي عن الاصمعي ان العرب تفعل مثل هذا . و هو من اساليب العربية و سننها و الذي تناوله السيرافي بالبحث قول الشاعر الراجز :

و مهمهين قذفين مرتين قطعته بالأمِّ لا بالسَّمْتَين

فقال قطعته و هو حديث عن مفرد. فهذا تجوز اضحى من اساليب العربية المعتادة في عصور الفصاحة لمساعدة السياق على فهم المقصود منه و لانه اعتيد في كلامهم. وقد قاد الى هذا الموضع حديث الاضمار اذ المقصود بالضمير في قطعته هو الشكل . ونجد اهتماما بهذا الموضع في كثير من الكتب التي اهتمت بفقه اللغة كفقة اللغة وسر العربية للثعالبي والمزهر للسيوطي وغيرهما .

٣- الممنوع من الصرف

كان تناول ابي سعيد لهذه المادة في التعليقات تناولا ميسرا وفيه شبه كبير بالمادة التي قيلت في شرحه لكتاب سيبويه ولكن بشكل مختصر وسريع . وهذا التشابه في الجمل يوثق نسبة المخطوطة التي بين ايدينا الى صاحبها السيرافي مليا بغض النظر عن جامعها . ومن ذلك قوله في التعاليق : وان سميت رجلا بضرب او بضرب لم ينصرف لان هذا مثال يخص الافعال فأن قيل فقد جاء بقم قيل هذا اعجمي وليس بعربي . وفي شرحه لكتاب سيبويه قال:(فأن سميت رجلا بفعل لا نظير له من الاسماء كقولك ضرب وضرب مشددة وضرب لم تصرفه لانه لا يشبه الاسماء . وقد جاء في الاسماء المعارف اسماء على فعل كلها غير مصروف فمن ذلك خضم وهو اسم العنبر بن عمرو بن تميم وشلم وهو اسم بيت المقدس ... فأن قال قائل لم منعتم صرف ذلك وقد رأينا في الاسماء بقم وهو اسم جنس ؟ قيل له : بقم ليس بأسم عربي وتكلمت به العرب ووافق كلامها) [٢] وقد حاولنا مقابلة المادتين بالشرح والتعليقات في مواضع من هذا التحقيق ومادة الممنوع من الصرف المذكورة في هذه المخطوطة هي مادة عامة نجدها في اكثر كتب النحو .

---

[١] ينظر في ذلك الارتشاف ١٨٣/٢ و تنظر مواضع الحذف الكثيرة التي بينها صاحب الكتاب المنشور بعنوان : اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج.

[٢] شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤٢٥/٤ .

٤- الاستثناء

تطرق السيرافي في تعليقاته الى مواضع من درس الاستثناء فنبه اولا على ان من معانيه التحقيق فلذلك لايقع بعد ما زال ولم يزل وهما للتحقيق ايضا ولايدخل تحقيق على تحقيق كما ذكر .
ثم تناول النصب بما خلا وما عدا لانهما من الافعال لدخول ما المصدرية عليهما ومثل هذا موجود في معظم كتب النحو منها شرحه للكتاب ([3]).

ثم يمكن ان نستنتج من مجموعة ابيات ذكرها بعد ذلك انه ينبه على استعمال (غير) الذي يكون للاستثناء ولغيره . فأتى بأمثلة (غير) فيها ليست للاستثناء من ذلك قول الشاعر :

لو غيره قرع المنابر بعده ‏‏ — لنكرنه فنبذنه عنهنه

وقد استغرب الدكتور سليمان العايد وجود هذا البيت في هذا الموضع ولم يدر ما هدفه والذي بدا لنا انه لهذا الذي ذكرناه .
القول الاخر وله اكثر من رواية ذكرت في المخطوط قوله :

رأيتك تبني مسجدا من خيانة — فكنت بحمـــد الله غير موفق

ورواية السيرافي : رأيتك تبني مسجدا من خيانة — لعمرك قبل اليوم ما لم توفق.[4]

يضاف الى هذا ان السيرافي تناول مسألة في كل من النسب والبدل واعرب جملة تركبت فيها كان وليس وقد ظهرت في المخطوطة اشارات كثيرة الى ثمان وثماني .
بهذا ننهي بحثنا في مجموعة التعليقات التي نقلت عن السيرافي ونرجو ان ينفع الله بعملنا .

اهم المصادر والمراجع

- القران الكريم .
- الاعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- الاغاني ، ابو الفرج الاصفهاني ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ .
- انباه الرواة ، القفطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- البحر المحيط ، ابو حيان النحوي ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٨ هـ ، طبع بالاوفسيت في بيروت ونشرته ، مكتبة النصر، الرياض .
- البغداديات ، لابي علي الفارسي ، (المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات)، دراسة وتحقيق صلاح الدين السنكاوي ، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الدينية العراقية ، مطبعة العاني - بغداد . ١٩٨٣ .
- بغية الوعاة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ١٩٦٥ .
- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، طبعة احمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٦.
- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٣١.
- جمهرة اللغة ، ابن دريد ، طبعة بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت.
- الجيم ، ابو عمر الشيباني ، تحقيق عبد العليم الطحاوي واخرين ، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة .
- الدرر اللوامع على همع الهوامع ، احمد بن الامين الشنقيطي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- ديوان ابي نواس ، تحقيق وشرح احمد عبد المجيد الغزالي ، مطبعة مصر ، ١٩٥٣ .
- ديوان الاسود بن يعفر ، جمعه نوري حمودي القيسي ، وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، مطبعة الجمهورية ، ١٩٧٠ .
- ديوان الاعشى الكبير ، شرح وتعليق الدكتور م. محمد حسين ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ١٩٥٠ .

([3]) نفسه ٣٢٦/٣ .

([4]) ورد البيت الاول في هامش المخطوطة والثاني في الاصل .

- ديوان الخنساء ، دار الاندلس ، بيروت .
- ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ، دار الفكر ، بيروت ١٩٦٨ .
- ديوان الهذليين ، منشورات الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ديوان امرئ القيس ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- ديوان حاتم الطائي ، د. فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، ١٩٦٩ .
- ديوان رؤبة بن العجاج مجموع اشعار العرب ، تصحيح وليم بن الورد البروسي ، . منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٩ .
- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٥ .
- ديوان كثير عزة ، جمع وشرح د. احسان عباس ، در الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١ .
- الزاهر في معاني كلمات الناس ، لابي بكر محمد بن القاسم الانباري ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٧٩ .
- شرح كتاب سيبويه للسيرافي ، مصورة نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، رقم (٥٢٨ نحو – تيمور).
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري ، بتحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- شرح ديوان جرير ، نشر محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ، مطبعة الصاوي ، القاهرة .
- شعر عمرو بن شأس الاسدي ، د. يحيى الجبوري ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، ١٩٧٦ .
- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مطبعة الباب الحلبي ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ.
- ضرائر الشعر للقيرواني ، تحقيق محمد زغلول سلام ورفيقه ، الاسكندرية ، ١٩٧٢ .
- طبقات النحاة واللغويين ، لابن قاضي شهبة ، تحقيق د. محسن غياض ، النجف ، ١٩٧٣ .
- طبقات النحويين واللغويين ، الزبيدي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- عيون الاخبار ، لابن قتيبة الدينوري ، شرحه د. يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- الفهرست لابن النديم ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .
- القلب والابدال ، لابن السكيت ، مطبوع بضمن الكنز اللغوي ، نشر اوكست هافنر ، مكتبة المثنى ، بغداد.
- كتاب سيبويه ، دار القلم بمصر ، طبعة عبد السلام هارون ، ١٩٦٦ وط ـ بولاق
- لسان العرب ، لابن منظور ، طبعة دار صادر ، بيروت .
- ما ذكره الكوفيون من الادغام ، لابي سعيد السيرافي ، تحقيق د. صبيح التميمي ، دار البيان العربي ، جدة ، ١٩٨٥ .
- ما ينصرف وما لاينصرف للزجاج ، تحقيق د. هدى قراعة ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- المحتسب ، لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وزميله ، دار سزكين ، استانبول ، ١٩٨٦.
- مراتب النحويين ، ابو الطيب اللغوي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مكتبة نهضة مصر . القاهرة ، ١٩٥٥ .
- معاني القرآن ، الفراء ، تحقيق احمد يوسف نجاتي . دار الكتب المصرية . ١٩٥٥ .
- معجم الادباء ، ياقوت ، نشر عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
- المقتضب ، لابي العباس المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، ط ٢ ، مطابع الاهرام ١٩٧٩ .
- المقرب ، ابن عصفور ، تحقيق د. عبد الستار الجواري و د. عبد الله الجبوري ، وزارة الاوقاف ، بغداد ، ١٩٧٢ .
- المهلهل بن ربيعة حياته وشعره ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية ٨٦ لنافع الراجحي
- همع الهوامع ، جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة ، بيروت .
- وفيات الاعيان لابن خلكان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٤٨ .

فائت شعر

أبي عبد الله بن الحداد الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٠ هـ

جمع وتحقيق وتقديم
منال منيزل

بقلم
عبد العزيز الساوري

أبو عبد الله بن الحدّاد، هو محمد بن أحمد بن عثمان القيسي ثم النميري، مروي[١] السكنى، وادي آشي[٢] الأصل، أمه أخت القاضي أبي عمر بن الحَذّاء.[٣] روى عن خاله أبي عمر المذكور، روى عنه عبد الله بن عوف وأبو عبد الله بن أحمد بن سليمان بن الصفار.

قال ابن عبد الملك المراكشي عنه إنه: «كان شاعراً مجيداً مفلقاً، مفخرة من مفاخر عصره، متصرفاً في فنون من العلم، متقدماً في التعاليم والفلسفة، مبرِّزاً في فك المعمَّى لا يكاد يدرك فيه شأوه».[٤]

وكان لابن الحداد ديوان شعر كبير معروف،[٥] وقف ابن عبد الملك المراكشي على نسخة منه في ثلاثة أسفار[٦] ضخمة مبوّباً على حروف المعجم،[٧] إلّا انه ضاع فيما ضاع من نفائس تراثنا الشعري.

وقد نهدت لجمع شعره الأستاذة منال منيزل ونشرته في ديوان سمته: «شعر أبي عبد الله بن الحداد الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٠ هـ جمع وتحقيق وتقديم»، وجعلته في قسمين: تناولت في الأوّل سيرة الشاعر وقامت بدراسة مختصرة لشعره، وأوردت في القسم الثاني ما استطاعت جمعه مما تناثر من شعر ابن الحداد من قصائد ومقطّعات وقد وجدتها في إحدى وسبعين قصيدة ومقطوعة بلغ مجموع أبياتها ستمائةٍ وأربعةً وعشرين بيتاً. وقد رتّبت هذه القصائد والمقطوعات حسب الحروف الهجائية لقوافيها.

وقد تجمعت لدي استدراكات على شعر أبي عبد الله بن الحداد مما لم يرد في مجموعه، أوردها لعلّي أضيف لبنة جديدة في خدمة شعرنا الأندلسي.

ـ الهمزة ـ

ـ ١ ـ

قال: (الكامل)

١ ـ عافَ النهارَ مخافةَ الرقباءِ
فَسَرى يضمِّخُ حُلّةَ الظُّلماءِ

٢ ـ يَطوي شَذاه عن الأنوف نهاره
ويجود في الظّلماء بالإفشاءِ

٣ ـ متهتِّكٌ في طبعِه متستِّرٌ
وكذا تكون شمائلُ الظُّرفاءِ

٤ ـ لمّا رأى حُبَّ الأنوف لعُرفِهِ
لَبِسَ الغياهبَ خِيفةَ الرُّقباءِ

٥ ـ كالطَّيف لا يصل الجفونَ لسُهدِها
ويَهُبُّ فيها ساعةَ الإغفاءِ

نهاية الأرب ١١ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ومفتاح الراحة ص٢٦١ ـ ٢٦٢

ـ ٢ ـ

وقال يصف الدهر وتقلبَه بأهله ، وذلك من فعل الله لا من فعله :

(المجتث)

١ ـ النّاسُ مثلُ حَبابٍ
والدّهرُ لُجّةُ[8] ماءِ

٢ ـ فعالِمٌ في طُفُوٍّ
وعالِمٌ في انطفاءِ

قال ابن عبد الملك المراكشي: « لم تستعمل العرب « انفعل » مطاوع « أفعل » إلا شاذاً ، فقوله : « انطفاء » لا يستقيم على مشهور كلام العرب ، وقد قالوا : أطلقته فانطلق » .[9]

الذيل والتكملة س ٦ ص١١ ويروى البيتان لأبي القاسم خَلَف بن فرج الإلبيري المعروف بالسّميْسر في المطرب ص ٩٦ ونفح الطيب ٣ / ٢٩٣ وهما بلا نسبة في الاستبصار في عجائب الأمصار ص١٤١ .

ـ الباء ـ

ـ ٣ ـ

وقال يَصفُ الشمس وقد طَفَلت للغروب :

(الكامل)

١ ـ إني أرى شمس الأصيلِ عَليلةً
تَزتادُ منْ بين المغاربِ مَغرِبَا

٢ ـ مالتْ لتحجُبَ شخصها فكأنها
مَدَّتْ على الدُنيا بساطاً مُذهبَا

معاهد التنصيص ٢ / ٩٦ونسبهما ابن بسام في الذخيرة ق١ م ٢ ص ، ٧٥٦ لأبي أحمد عبدَ العزيز بن خِيرَة المُنفَتِل .

وقال في مليح حيا بنرجس :

ـ ٤ ـ (البسيط)

١ ـ وشادن أهيف حيا بنرجسة
كأنها إذ بدت في غاية العجبِ

٢ ـ كف من الفضة البيضاء ساعدها
زبرجد حملت كاساً من الذهبِ

حلبة الكميت ص٢٠٠ .

ـ التاء ـ

ـ ٥ ـ

وقال في النرجس :

(البسيط)

١ ـ أنظر إلى النَّرجِس الوضّاح حينَ بَدا
كأنَّه ناظِرٌ من عينِ[10] مَبهُوتِ

٢ ـ كاذْرُع الغِيدِ في خُضر البُرودجَلَتْ
على أنامِلها صُفْرَ اليَواقِيتِ

٣ ـ كأنّهُ وضِعافُ القضْبِ تحملُهُ
أوائلُ النّارِ في أطرافِ كبريتِ

[١ ـ٢ ـ٣] لمح السحر ورقة ٢٦ بـ ـ ٢٧ أ .

[١ ـ٢] غرائب التنبيهات ص٧٨ وحلبة الكميت ص٢٠٠ .

ـ التاء ـ

ـ ٦ ـ

وقال يرثي :

(البسيط)

١ ـ شمسُ الظَّهيرةِ هَل تَدرين ماحَدَثا ؟
شَمسُ العشيرةِ حلَّتْ[11] مَغرِباً حَدَثا

٢ ـ انظُرْ ثبيراً هَلِ انهدَّتْ جَوانبُه
لحادثٍ من[12] ثبير الحِلْم قد حَدَثا

السحر والشعر (تحقيق قنور ابراهيم ...) ص ١٤٢ رقم ١١٥ وص ٣٨ من تحقيق ج . م . كونتي ..) وزهر الأكم ٢ / ٢٢ - ٢٣ .

ـ ٧ ـ

وقال :

(الخفيف)

١ ـ إنَّ قوماً يلْحون في حُبِّ سُعْدَى
لا يَكادُون يفقَهُونَ حَديثاً

٢ ـ سَمِعُوا وصْفَها فَلامُوا[13] عَلَيْها
أخَذُوا طَيِّباً وأعْطَوا خَبِيثاً

زهر الأكم ١/ ١٥٢ ، ٢ / ٢١ .

– الراء –

– ٨ –

وقال يصف رمانة :

(البسيط)

١ – وفتية لم يزالوا طولَ يومهمُ
في ظلِّ رمانةٍ قد مدَّ[*] أشتارَه

٢ – يا حُسْنهُ وهبوبِ الريح تعطفه
وكلُّ غصن له قد كان[١٥] نُوَّارَهْ

٣ – كأنها شمعة خضراء مضرمة
في كف نشوان وافى ببت خَمَّارَهْ[١٦]

مباهج الفكر ص٩١

(٩)

وقال :

(الكامل)

١ – اشدُدْ يديك علي اخيك تكن به
في كلِّ أمرٍ تَبْتغيه قديرا

٢ – لو لم يكن بأخٍ أخٌ متأيداً
لم يَتَّخِذْ موسى أخاه وزيرا

نزهة الأبصار ص١٥١

(١٠) أ

وقال في حمة بَجَّانة[١٧] المرية :

(الطويل)

١ – وبالحمة الزهراء قد أسعد المنى
وبان كمثل الروض أزهر معطارُ

٢ – وردنا بها ماء سخونا كأنه
دموع محب والاحبة قد ساروا

٣ – بها اجتمع الضدان فالامر مغرب
فللماء اظهار وللنار اضمار

٤ – كفائدة تبغي خلاف الذي تعي
فللود اظهار وللحقد اسرار

جذوة الاقتباس ١/١٩٠ – ١٩١

– الضاد –

(١٠) ب

وقال :

(الكامل)

١ – وأجلُّ مفقودٍ شبابٌ ذاهبٌ
وأعزُّ موجودٍ حبيبٌ ممحضُ

جنة الرضا ٣ / ٦٥

– اللام –

(١١)

وقال من أبيات يرثي فيها صديقاً :

(الطويل)

١ – تيقَّن أنَّ الله أكرمُ جيرةً
فأزْمَعَ عن دار الفناء[١٨] رحيلا

٢ – فإن أقفرتْ منهُ العُيونُ فإنَّه
تعوَّضَ[١٩] منها بالقُلوب بديلا

٣ – ولم أرَ أُنساً بعده[٢٠] صار[٢١] وَحْشَةً
وبَرْداً على الأكبادِ صار[٢٢] غليلا

٤ – ومَنْ ئَنْ[٢٣] أيامُ السرورِ قصيرةً
به كان ليلُ الحُزْن فيه طويلا

المنازل والديار ص ٢٤٨ – ٢٤٩ وتروى الابيات لابن خفاجة في ديوانه ص ٣٦٩ – ٣٧٠ رقم ٣١١ وخريدة القصر ٢ / ١٦٣ ونفح الطيب ٤ / ١٠٧ .

(١٢)

وقال يهجو السّمنيسر[٢٤] :

(البسيط)

١ – يا أهل غرناطة[٢٥] (....) سميسركُمْ
ففي رميلينا عنه لنا شُغلُ

الذخيرة ق ١ م٢ ص ٩٠٤

وقال : * في الموضع كلمة فاحشة حذفناها

(١٣)

(البسيط)

وقال :

١ – وفي الظعائن[٢٦] مخطوفُ الحشا غَنِجٌ
يعطو بأعطاف نشوان الخُطا ثمِلِ

٢ – ظَبْيٌ مشى الورد من لحظي بوجنته
مشي اللواحظ من عينيه في أجلِ

السحر والشعر (تحقيق قدور ابراهيم ..) ص٤٤٥ رقم ٨٠٨ ، وسقط البيتان من تحقيق ج . م . كونتي ..) .

– النون –

(١٤)

وقال :

(المتقارب)

١ – بفعلك تقبُحُ أو تَحْسُنُ
وما مَن يُسيءُ كمن يُحْسِنُ

الدر الفريد جـ ٢ (غير مرقم ، انظر : حرف الباء) ولمح السحر ورقة ٢٤ أ .

(١٥)

وقال :

(البسيط)

١ ـ بعثتُ بـالياسَمِينَ الغضّ مبتسماً
وحسنُـــه فـــاتِنٌ للنفس والعينِ

٢ ـ بعثتُـهُ مُنبئاً عن صدقِ مُعتقدِي
فـأنظر تجـدْ لفظه يـاسـاً من المَيْنِ

نهاية الأرب ١١ / ٢٣٩ وحسن المحاضرة ٢ / ٢٤٢ .

ـ الهاء ـ

(١٦)

وقال في شاعر يعرف بابن الفزاء :[٢٧]

(مجزوء الرمل)

١ ـ لابن فـــراء[٢٨] قـــريضٌ
زمهـــريـــرُ البـــرْدِ فيـــهِ

٢ ـ وإذا[٢٩] مـــا قـــالَ شعـــراً[٣٠]
نَـفَـقَـتْ ســــوقُ أبـيـهِ

البيتان للمنقل في الدخيرة ق ١ م ٢ ص ٧٦٠ ونفح الطيب ٣ / ٣٨٧ ، وينسب البيت الثاني إلى ابن الحداد في خريدة القصر ٢ / ١٩٤ والى المنقل[٣١] في بدائع البدائه ص ٤٠١

ونفح الطيب ٣ / ٣٣٢ ونسبه ابن سعيد في المغرب ٢ / ١٨٤ لابن زيدون[٣٢] ، وهما بلا نسبة في الوافي في نظم القوافي ص ٧٠[٣٣] .

ـ الياء ـ

(١٧)

وقال :

(الطويل)

١ ـ نـأتْ باضطِباري يصل النّأيا
ولم تَـزِعْ مني هَائِماً يـدمن الـرُّغيا

٢ ـ وفي الجنّة الالفافِ للحُسْنِ جنّةٌ
تـلازم أنهـار الـدُّموع بهـا جَـرْيَـا

٣ ـ غـزاليةُ المرأى هـلالية الـرُّنا
مَنَـاريَـةُ المَجْلَى نُـوَاريَـةُ اللُّقْيـا

٤ ـ رمتنـا بـالحـاظٍ تَلَذُّ سِهَـامُهَـا
فيـاليتها في القلبِ لم تَـرمِ الـرَّميَـا

٥ ـ فقد صاد لميثَ الغاب ظبْيُ كنيسة
فـأعجِبْ به لَيْثـاً وأعجِبْ بـه ظَبْيَـا

خريدة القصر ٢ / ٢٦٨ ـ ٢٣٩[٣٤] .

* * * * * * *

بعض المآخذ التي دوناها على المجموع :

١ ـ ص ١٠ قالت المحققة : تذكر المصادر .. أنه حدثت في سنة ٤٦١ هـ جفوة بين ابن الحدّاد والمعتصم بن صادح اضطرت شاعرنا إلى الفرار إلى سرقسطة والخدمة في بلاط ملكها المقتدر ابن هود وابنه المؤتمن حيث رعياه وأكرماه .

قلت : شرح ابن عبد الملك المراكشي سبب هذه الجفوة ، وذلك أن أخا إبن الحداد قتل رجلًا فقبض عليه واعتقل ، ونالت الشاعر بسببه مطالبةٌ أخفى نفسه من أجلها حيناً ، إلى مرسية ونفذ منها إلى سرقسطة ، فاحتلها يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان أحد وستين وأربعمائة ، فاغتنم وفادته المقتدر أحمد بن المستعين بن هود ، وقابله من الإقبال عليه والتحفي به بما لا كفاء له ، وأقام في كنفه مدة وامتدحه ولجنه الحاجبَ المؤتمن ثم فصل عنه في جمادى الأولى سنة أربع وستين وأربعمائة ، وعاد الى المرية قاصراً أمداحه على أميرها المعتصم .

انظر : الذيل والتكملة س ٦ ، ص ١١ .

٢ ـ ص ١٦ ذكرت أن ابن الحداد ألف كتاباً في العروض مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية والآراء الخليلية وردّ فيه على السرقسطي المنبوز بالحمار ، وفي التكملة أن اسم هذا الكتاب هو المستنبط .

قلت وصوابه : « الامتعاض للخليل » ذكر في الذخيرة ق ١ م ٢ ص ٦٩٢ والذيل والتكملة س ٦ ص ١٠ والاحاطة ٢ / ٣٣٤

ومركز الاحاطة ورقة ١٩ أ وطبقات النحاة واللغويين ١ / ١٩ ونفح الطيب ٣ / ٥٠٢ ، ٧ / ٢٦ وقال عنه ابن عبد الملك المراكشي : « هو كتاب مزج فيه الأنحاء الموسيقية بصناعة العروض يرد فيه على سعيد بن فتحون السرقسطي المنبوز بالحمار[٣٥] في ما تعقبه على الخليل وانفرد به من احكام العروض » .

واستدرك على الأخت الكريمة بعض مافاتها من آثار ابن الحداد المفقودة مما وقفت عليه في بعض المصادر ، فمن ذلك :

ـ قيد الأوابد وصيد الشوارد في إيراد الشواذ والردّ على الشُذّاذ : ذكر في الذيل والتكملة س ٦ ، ص ١٠ .

ـ المستنبط في علم الاعاريض المهملة عند العرب مما تقتضيه الدوائر الاربع من الدوائر الخمس التي تنفك منها أشعار العرب : ذكر في التكملة ١ / ٣٩٨ والذيل والتكملة س ٦ ، ص ١٠ وقال عنه أستاذنا الدكتور شوقي ضيف : « ولا أرتاب في أنه لو وصل إلينا لكان دليلًا قوياً على ما قلته في حديثي عن الموشحات[٣٦] من أن الاعاريض المهملة التي يُنْظم فيها والتي أشار اليها ابن بسام ونقلناها عنه هناك إنما هي أعاريض العرب المهملة التي نصّ عليها الخليل في دوائره العروضية لا أعاريض أشعار رومانسية كما توهم « خوليان ريبيرا » ومن تابعه .. ولا أرتاب كذلك في أن كتب ـ ابن الحداد القَيْسي ـ جميعاً تؤكد ماذهبت إليه

في فهم كلمة ابن بسام عن نظم الموشحات في الأوزان المهملة التي أشار إليها الخليل في وضعه لدوائره العروضية ، وهي مرسومة بدقة في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه »[٣٧] .

٣ - في الهامش رقم ٦ ص١٦ ورد مايلي :

سعيد بن فتحون السرقسطي ، له عدد من المؤلفات في العروض والموسيقى ، أما كتابه الذي عارضه ابن الحداد فهو كتاب «الامتعاض للخليل » .

وهو غلط وصوابه : كتاب « المطول في العروض ؛ بيّن فيه الموسيقى بزعمه » ، ومن تصانيفه الاخرى : « المختصر في العروض » و « المقتضب في العروض ؛ أشار فيه إلى الموسيقى » .

إنظر : الذيل والتكملة س٤ ص٤١ وهامش رقم ٣٥ من الفائت .

أما كتاب « الامتعاض للخليل » فهو لابن الحداد كما بيّنا من قبل .

٤ - ق٣ / ١ ، ٢ ، ٣ ص٤٠ :

وردت الأبيات التالية منسوبة الى ابن الحداد :

(الطويل)

وزهّدني في النـاس معـرفتي بهم — وطول اختباري صاحباً بعد صاحب

فلم تُرني الأيّام خلّا تسرّني — بواديه إلّا ساءني في العواقب

ولاصرت أرجوه لدفع ملمّةٍ — من الدهر إلّا كان إحدى النوائب

والصحيح أنها للمعتصم أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح الاندلسي ، كما وردت في[٣٨] : الحلة السيراء ٢ / ٨٤ - ٨٥ وقلائد العقيان ق١ ص١٥٢ وشرح مقامات الحريري ٢ / ٢٤١ وخريدة القصر ٢ / ٨٣ وطراز المجالس ص١٣٦ وتمام المتون ص٥٤ - ٥٥ ووفيات الأعيان ٥ / ٤٠ والمخلاة ص٢٣٩ - ٢٤٠ وجوهر الكنز ص٣٢٧ وتسهيل السبيل ص٢٦١ ولمح السحر ورقة ٥٩ أ والوافي بالوفيات ٥ / ٤٦ والمطرب ص١٦٠ والدرر الفرائد ورقة ٣١ أ والمحاضرات ١ / ٣٤٩ - ٣٥٠ ومغاني المعاني ص٦٥ وأنوار الربيع ٢ / ٣٤٤ - ٣٤٥ والمغرب ٢ / ١٩٧ .

٥ - ق٢٣ / ٢ ص٥٧ :

(المتقارب)

فهـلّا خُسِفْتَ وكـان الخسـو — فـ جـداداً لبستَ على فقـده

قلت : كتابة البيت بهذه الصورة يخل بالوزن ، والصحيح أنه غير مدور .

فهلا خسفت وكان الخسوف

... .

٦ - ق ٥٦ / ١ ، ٢ ص٨١ - ٨٢ :

(المتقارب)

ومـا النـاس إلّا فعـالهمْ — فـدع مـا تـزخـرفـه الالسن

سجيّـة أصـل الفتى فعلـه — بمـا عنـده يفـرق المعـدن

وصواب الرواية :

ومـا النّـاسُ إلا بـأفعـالهم — فـدعْ مـا تُـزخـرفـه الالسُن

سجيـة أصـل الفتى فعلُـهُ — بمـا عنـده يَقـذِفُ المعـدن

كما في الدر الفريد جـ٢ (غير مرقم ، انظر : حرف الباء والسين) ولمح السحر ورقة ٢٤ أ .

٧ - ق٥٧ / ٢٤ ، ٢٥ ص٨٣ :

(الكامل)

والـروض مـا اشتملت عليـه شمولـه — لا الـورد ملتفتٌ ولا النسـرين

قـد عطّـل الأزهـارَ زاهـرُ حسنـه

... ...

قلت : ترتيبهما الصحيح وتمامهما كما في خريدة القصر ٢ / ٢٧٩ .

والـروض مـا اشتملت عليـه شمُولـه — لا مـاحـوتْـه أبـاطـح وحـزون

قـد عطّـل الأزهـارَ زاهـرُ حسنـه — لا الـوردُ مُلْتَفِتٌ ولا النّسـرين

٨ - ق٦٥ / ٥ ص٩٣ :

(الكامل

وعلمت أنّ السعي ليس بمنجـح — مـالا يكـون السعْدُ مِنْ أعـوانـه

وصوابه : من لا يكون .

ملحق : فائت شعر أبي عبد الله بن الحداد الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٠ هـ .

الهوامش

(١) المرية : مدينة بنيت أيام عبد الرحمن الناصر ، وازدهرت في أيام المرابطين واشتد فيها الرخاء ، وتقع على الساحل الشرقي إلى الجنوب الشرقي من بَجّانة .
انظر : الروض المعطار ص٥٣٧ ـ ٥٣٨ .

(٢) وادي آش : مدينة بالاندلس قريبة من غرناطة . انظر : الروض المعطار ص٦٠٤ ـ ٦٠٥ .

(٣) انظر ترجمته في : جذوة المقتبس ص٢٧٥ رقم ٩٤٧ وبغية الملتمس ص٥١١ ـ ٥١٢ . رقم ١٥٣٨ .

(٤) الذيل والتكملة س٦ ، ص١٠ .

(٥) التكملة ١ /٣٩٨ والمغرب ٢ /١٤٣ ـ ١٤٤ والوافي بالوفيات ٢ /٨٦ وفوات الوفيات ٣ /٢٨٣ والإحاطة ٢ /٣٣٤ وعقود الجمان ٢ / (غير مرقم) ونفح الطيب ٧ /٢٦ وكشف الظنون ١ /٧٦٥ .

(٦) السفر عند القدماء أكبر من المجلدة والمجلدة مجموعة ملازم صغيرة .

(٧) الذيل والتكملة س ٦ ص١٠ .

(٨) الاستبصار : « بركة » .

(٩) أخبرني أستاذي الدكتور رمضان عبد التواب في بيته بمنيل الروضة ليلة ٨ /٥ /٨٩ أن « سبب الشذوذ هو عدم وجود الثلاثي المتعدي إذ لا يقال في العربية (طفاته) ولكن لعل هذا الفعل المتعدي كان موجوداً في يوم من الايام عندما اشتقت منه العرب صيغة المطاوعة ومما يمكن أن يستانس به في هذا المجال قول ابن جني : (الفعل حاصل في الكف) ونصه : قال ابن جني : قال لي أبو عليّ بالشام : إذا صحّت الصفة فالفعل في الكفّ » . انظر : الخصائص ١ /١٢١ .

(١٠) غرائب التنبيهات : « جفن » .

(١١) السحر والشعر (تحقيق ج . م . كونتي ..) : « خلت » .

(١٢) المصدر السابق : « في » .

(١٣) زهر الاكم ١ /١٥٢ : « ولاموا » .

(١٤) في الاصل : « مر » .

(١٥) في الاصل : « حان » .

(١٦) في الاصل : « غماره » .

(١٧) بَجّانة : مدينة كانت من أهم قرى أرش اليمن ، أي الإقليم الذي نزل عليه بنو سراج القضاعيون وكانوا ياخذون أرشه ، وهي قريبة من المرية بينهما ستة أميال ، وقال ابن سعيد : مُخدثة بُنيت في دولة بني أمية . انظر : الروض المعطار ص٧٩ ـ ٨٠ والمغرب ٢ /١٩٠ .

(١٨) الديوان والخريدة والنفح : « الحياة » .

(١٩) الخريدة : « يُعوِّض » .

(٢٠) الديوان والخريدة والنفح : « قبله » .

(٢١) الديوان والخريدة والنفح : « عاد » .

(٢٢) الديوان والخريدة والنفح : « عاد » .

(٢٣) الديوان والخريدة والنفح : « تكُ » .

(٢٤) هو أبو القاسم خلف بن فرج الالبيري المعروف بالسُّمَيْسِر ، من أعلام الشعراء في زمن ملوك الطوائف ، وكان كثير الهجاء ، وله كتاب سماه بـ « شفاء الامراض في أخذ الاعراض » .

انظر ترجمته في : الذخيرة ق١ م ٢ ص٨٨٢ ـ ٩٠٤ والمغرب ٢ /١٠٠ ـ ١٠١ رقم ٤١١ وخريدة القصر ٢ /١٦٧ ـ ١٦٩ رقم ٢٥ ونفح الطيب ١ /٥٢٧ ـ ٥٢٨ ؛ ٣ /٢٢٧ ـ ٢٢٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٩٠ ، ٤١٢ ؛ ٤ /٢٠ ، ١٠٨ ، ١١٦ ـ ١١٧ وتاريخ الادب العربي (عصر الدول والإمارات ـ الاندلس) ص٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

(٢٥) أيضاً : أغرناطة : مدينة بالاندلس بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً ، وهي من مدن إلبيرة . انظر : الروض المعطار ص٤٥ ـ ٤٦ .

(٢٦) في الاصل : « الضغائن » .

(٢٧) يعرف بالاخفش بن ميمون أو بابن الفَزّاء ، أصله من حصن القبذاق من أعمال قلعة بني سعيد ، وتادب في قرطبة ، ثم عاد إلى حضرة غرناطة ، واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودي ابن النغريلي (النغرلة) ، ومدح بعد قتله رفيع الدولة بن المعتصم بن صمادح .
انظر ترجمته في : المغرب ٢ /١٨٢ ـ ١٨٤ رقم ٤٧٣ ونفح الطيب ٣ /٣٨٧ ـ ٣٨٨ رقم ١٧٣ .

(٢٨) الذخيرة ونفح الطيب ٣ /٣٨٧ : « لابن ميمون » .

(٢٩) بدائع البدائه والمغرب والوافي ونفح الطيب : « فإذا » .

(٣٠) الذخيرة : « فإذا بت بيتا » .

(٣١) بدائع البدائه : « المعقبل » ، وهو تحريف .

(٣٢) ليس في ديوانه .

(٣٣) أشار محقق خريدة القصر في حاشية ص١٩٤ أن ابن فضل الله العمري نسب البيت الثاني إلى أبي محمد الطبيب المصري .

(٣٤) هذه القصيدة تتخللها أبيات أربعة : اثنان منها بعد البيت رقم ٢ ، واثنان كذلك بعد البيت رقم ٤ ، وهذه الابيات الاربعة موجودة في مجموعة ق ٦٨ / ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ص٩٦ عن الذخيرة ق١ م ٢ ص٧٠٩ ، ونسبتها مع هذه الابيات التي ننشرها الآن الى ابن الحداد أصح من نسبة العماد الاصفهاني لكل الأبيات إلى من اسمه الا سعد بن بلِّيطة القرطبي ، ومما يرجح ذلك الى ان ابن الحداد مشهور بمخاطبة حبيبته النصرانية نويرة ـ واسمها في الحقيقة جميلة ـ وذكر الكنائس بكثرة في شعره .

(٣٥) هو أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مُكَرَّم ـ بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء ـ التجيبي الملقب بالحمار المشهور في نسبته أنه سرقسطي ، ونسبه ابن عبد الملك المراكشي إلى قرطبة ، كان متمكناً في علوم اللسان ، والف في العروض مختصراً ومطولاً بيّن فيه الموسيقي بزعمه ومقتضباً اشار فيه الى الموسيقى ؛ ومن مؤلفاته أيضاً رسالة في المدخل إلى علوم الفلسفة سماها « شجرة الحكمة » ورسالة في تعديل العلوم وكيف درجت إلى الوجود من انقسام الجوهر والعرض ، وامتحن من قبل المنصور بن أبي عامر ، فسجن ثم أطلق ، فاستوطن صقلية إلى أن مات بها .
انظر ترجمته في : التشبيهات ص١٠٥ ، ١٣٧ ، ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، ٣٠٤ ورسائل ابن حزم ٢ /١٨٥ وطبقات الامم ص٧٨ وجذوة المقتبس ص٢١٦ رقم ٤٧٨ وبغية الملتمس ص٢٩٩ رقم ٨١٣ والذيل والتكملة

س٤ ص٤٠ ـ ٤١ رقم ٩٤ وبغية الوعاة ١ /٥٨٦ رقم ١٢٣٢ .
(٣٦) تاريخ الادب العربي (عصر الدول والإمارات ـ الاندلس) ص١٤٦ ـ ١٦٣ .
(٣٧) المرجع السابق ص١٩٧ .
(٣٨) وفيها في تصديرها : « وقال فيما كتبه إلى أبي بكر بن عمّار الاندلسي يعاتبه : ... » .

المصادر والمراجع

١ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة ، تاليف لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ـ الجزء الثاني ـ تحقيق محمد عبد الله عنان ـ مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الاولى ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

٢ ـ الاستبصار في عجائب الامصار (وصف مكة والمدينة ، ومصر ، وبلاد المغرب) ، لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري (١٢ م) ـ نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ـ مطبعة جامعة الاسكندرية الاسكندرية ١٩٥٨ .

٣ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع ، تاليف السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني ١٠٥٢ ـ ١١٢٠ هـ ـ الجزء الثاني ـ تحقيق شاكر هادي شكر ـ مطبعة النعمان النجف الأشرف الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

٤ ـ بدائع البدائه ، تاليف علي بن ظافر الازدي المصري المتوفى سنة ٦٢٣ هـ ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٠ .

٥ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس ، تاليف أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ ـ مطبعة روخس مجريط ١٨٨٤ .

٦ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تاليف جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ـ الجزء الاول ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار الفكر بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

٧ ـ تاريخ الادب العربي رقم « ٧ » (عصر الدول والإمارات ـ الاندلس) رقم « ٣ » ـ الدكتور شوقي ضيف ـ دار المعارف القاهرة الطبعة الاولى ١٩٨٩ .

٨ ـ تسهيل السبيل إلى تعلم الترسيل بتمثيل المماثلات وتصنيف المخاطبات ، تاليف أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ـ تحقيق ودراسة عبد العزيز الساوري (تحت الطبع) .

٩ ـ التشبيهات من أشعار أهل الاندلس ، تاليف أبي عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب المتوفى قريباً من سنة ٤٢٠ هـ ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ دار الشروق بيروت القاهرة الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

١٠ ـ التكملة لكتاب الصلة ، تاليف أبي عبد الله محمد بن الابار القضاعي البلنسي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ ـ الجزء الاول ـ عنى بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني ـ مكتب نشر الثقافة الاسلامية القاهرة ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ .

١١ ـ تلخيص كنز البراعة = جوهر الكنز .

١٢ ـ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، تاليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار الفكر العربي القاهرة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

١٣ ـ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس ، تاليف أحمد بن القاضي المكناسي (ت ١٠٢٥ / ١٦١٦) ـ دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط ١٩٧٣ .

١٤ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر ، تاليف أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ـ تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ـ مكتب نشر الثقافة الإسلامية ـ مطبعة السعادة مصر الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م .

١٥ ـ جنّة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى ، تاليف أبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي المتوفى سنة ٨٥٧ هـ ـ الجزء الثالث ـ تحقيق صلاح جرار ـ دار البشير عمان ـ الاردن ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م .

١٦ ـ جوهر الكنز « تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة » ، تاليف نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الاثير الحلبي المتوفى سنة ٧٣٧ هـ ـ تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ـ منشاة المعارف الاسكندرية (بدون تاريخ) .

١٧ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تاليف جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ـ الجزء الثاني ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة (بدون تاريخ) .

١٨ ـ حلبة الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات ، تاليف شمس الدين محمد بن حسن النواجي المتوفى سنة ٨٥٩ هـ ـ المطبعة الاميرية القاهرة ١٢٧٦ هـ .

١٩ ـ الحلة السيراء ، تاليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الابار المتوفى سنة ٦٥٨ هـ ـ الجزء الثاني ـ تحقيق الدكتور حسين مؤنس ـ الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة الطبعة الاولى سنة ١٩٦٣ .

٢٠ ـ خريدة القصر وجريدة العصر ، تاليف أبي عبد الله عماد الدين محمد الاصفهاني الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ـ (قسم شعراء المغرب والأندلس) ـ الجزء الثاني ـ تحقيق اذرتاش آذرنوش ـ نقحه وزاد عليه محمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي ـ الدار التونسية للنشر تونس الطبعة الثانية ١٩٨٦ .

٢١ ـ الخصائص ، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ـ الجزء الاول ـ تحقيق محمد علي النجار ـ دار الكتاب

العربي بيروت (بدون تاريخ) .

٢٢ ـ الدرر الفرائد من غرر القلائد ، تاليف أبي العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ـ مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة تحت رقم ٦٣٦ تاريخ تيمور ميكروفيلم رقم ١١١٠٦ .

٢٣ ـ الدر الفريد وبيت القصيد ، تاليف محمد بن سيف الدين أيدمر المتوفى سنة ٧٠٦ هـ ـ الجزء الثاني (وهو الاوسط من ثلاثة أجزاء) ـ مخطوط بمكتبة أسعد أفندي استانبول (تركيا) برقم ٢٥٨٦ . . . سورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية القاهرة تحت رقم ٢١٩ أدب .

٢٤ ـ ديوان ابن خفاجة ، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي ـ منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٦٠ .

٢٥ ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٩٨٠ .

٢٦ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تاليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ ـ القسم الاول المجلد الثاني ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ دار الثقافة بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٢٧ ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تاليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي المتوفى سنة ٧٠٣ هـ ـ بقية السفر الرابع والسفر السادس ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ دار الثقافة بيروت الطبعة الاولى ١٩٦٤ ـ ١٩٧٣ .

٢٨ ـ ذيل وفيات الاعيان = عقود الجمان .

٢٩ ـ رسائل ابن حزم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (٥ ـ رسالة في فضل الاندلس وذكر رجالها) ـ الجزء الثاني ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت الطبعة الاولى ١٩٨١ .

٣٠ ـ رسالة في فضل الاندلس وذكر رجالها = رسائل ابن حزم الاندلسي .

٣١ ـ الروض المعطار في خبر الاقطار (معجم جغرافي مع مسرد عام) ، تاليف محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (؟) ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ مؤسسة ناصر للثقافة بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠ .

٣٢ ـ زهر الاكم في الامثال والحكم ، تاليف الحسن اليوسي المتوفى سنة ١١٠٢ هـ ـ الجزء الاول والثاني ـ تحقيق الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الاخضر ـ دار الثقافة الدار البيضاء الطبعة الاولى ١٤٠١ ـ ١٩٨١ .

٣٣ ـ السحر والشعر ، تاليف لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ .

• تحقيق ودراسة قدور ابراهيم عمار بن محمد ـ رسالة ماجستير تحت إشراف الاستاذ الدكتور لطفي عبد البديع ـ كلية الآداب جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٤ / ١٩٧٥ ـ مكتبة جامعة القاهرة قسم الرسائل الجامعية رقم ١٤١٦ .

• تحقيق ج . م . كونتي نانتيه فيزير ـ المعهد الاسباني العربي للثقافة ـ مطابع « كرافيكاس مولينا » للطباعة العربية مدريد ١٩٨١ .

٣٤ ـ شرح مقامات الحريري ، تاليف أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي المتوفى سنة ٦١٩ هـ ـ الجزء الثاني ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ المؤسسة العربية الحديثة القاهرة ١٩٧٦ .

٣٥ ـ شعر أبي عبد الله بن الحداد الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٠ هـ ـ جمع وتحقيق وتقديم منال منيزل ـ مراجعة الدكتور صلاح جرار ـ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

٣٦ ـ طبقات الامم ، تاليف أبي القاسم صاعد بن أحمد الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ـ مطبعة محمد محمد مطر القاهرة (بدون تاريخ) .

٣٧ ـ طبقات النحاة واللغويين ، تاليف ابن شهبة الاسدي المتوفى سنة ٨٥١ هـ ـ الجزء الاول ـ مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة تحت رقم ١١٩٨٨ ح ميكروفيلم رقم ٣٦٦٤٢ .

٣٨ ـ طراز المجالس ، تاليف شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ ـ المطبعة الوهبية المصرية ١٢٨٤ هـ .

٣٩ ـ عصر الدول والإمارات « الاندلس » = تاريخ الادب العربي .

٤٠ ـ عقود الجمان وتذييل وفيات الاعيان ، تاليف بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ (وهو ذيل لوفيات الاعيان لابن خلكان) ـ الجزء الثاني ـ مخطوط بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت المدينة المنورة برقم ٤٥٩ تاريخ .. منه مصورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية القاهرة تحت رقم ١١٤١ تاريخ .

٤١ ـ غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، تاليف علي بن ظافر الازدي المصري المتوفى سنة ٦٢٣ هـ ـ تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام والدكتور مصطفى الصاوي الجويني ـ دار المعارف القاهرة ١٩٨٣ .

٤٢ ـ فوات الوفيات والذيل عليها ، تاليف محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ـ الجزء الثالث ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ دار الثقافة بيروت ١٩٧٤ .

٤٣ ـ قلائد العقيان ومحاسن الاعيان ، تاليف أبي نصر الفتح بن محمد ابن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان المتوفى سنة ٥٢٩ هـ ـ القسم الاول ـ حققه وعلق عليه الدكتور حسين يوسف خريوش ـ مكتبة المنار الزرقاء ـ الاردن الطبعة الاولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م .

٤٤ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تاليف مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ـ الجزء الاول ـ المطبعة الاسلامية طهران الطبعة الثانية ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٤٧ م .

٤٥ ـ لمح السحر من روح الشعر وروح الشُحر ، تاليف أبي عثمان سعد ابن أحمد بن ابراهيم النجيبي المري المشهور بابن ليون (٦٨١ ـ ٧٥٠ هـ) ـ مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة تحت رقم ١١٦٢٧ ز ميكروفيلم رقم ١٨٣١٣ .

٤٦ ـ مباهج الفكر ومناهج العبر ، تاليف محمد بن ابراهيم بن يحيى ابن علي الانصاري المعروف بالوطواط (٦٣٢ ـ ٧١٨ هـ) ـ مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة

تحت رقم ٤٠ طبيعة وكيمياء ميكروفيلم رقم ١٤٩٨٢ .

٤٧ ـ المحاضرات في الادب واللغة ، تاليف الحسن اليوسي المتوفى سنة ١١٠٢ هـ ـ الجزء الاول ـ تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوي اقبال ـ دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٤٨ ـ المخلاة ، تاليف بهاء الدين محمد بن حسين العاملي المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ ـ المطبعة الادبية مصر الطبعة الاولى (بدون تاريخ) .

٤٩ ـ مركز الاحاطة في أدباء غرناطة تاليف أبي البقاء محمد بن ابراهيم بن محمد بدر الدين البشتكي المتوفى سنة ٨٣٠ هـ ـ مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة تحت رقم ٢٢٢١٤ تاريخ تيمور ميكروفيلم رقم ١٢٩٨٧ .

٥٠ ـ المطرب في أشعار أهل المغرب ، تاليف ابن دحية ذي النسبين أبي الخطاب عمر بن حسن المتوفى سنة ٦٣٣ هـ ـ تحقيق الدكتور مصطفى عوض الكريم ـ مطبعة مصر الخرطوم الطبعة الاولى ١٩٥٤ .

٥١ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تاليف عبد الرحيم بن أحمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ ـ الجزء الثاني ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة مصر ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٧ م .

٥٢ ـ مغاني المعاني ، تاليف زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي المتوفى سنة ٦٩٦ هـ ـ تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ـ منشاة المعارف الاسكندرية ١٩٨٧ .

٥٣ ـ المغرب في حلى المغرب ، لابناء سعيد ـ الجزء الثاني ـ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ـ دار المعارف القاهرة ١٩٥٥ .

٥٤ ـ مفتاح الراحة لاهل الفلاحة ، لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري ـ تحقيق ودراسة الدكتور محمد عيسى صالحية والدكتور إحسان صدقي العمد ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ـ قسم التراث العربي ـ السلسلة التراثية(٩) ـ الكويت الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

٥٥ ـ المنازل والديار ، تاليف أسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ ـ تحقيق مصطفى حجازي ـ نشر المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ الكتاب الخامس عشر ـ القاهرة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م .

٥٦ ـ نزهة الابصار في محاسن الاشعار ، تاليف شهاب الدين أبي العباس المنابي أحمد بن محمد بن محمد بن علي (٧١٦ ـ ٧٧٦ هـ) ـ تحقيق السيد مصطفى السنوسي وعبد اللطيف أحمد لطف الله ـ دار القلم الكويت الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م .

٥٧ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تاليف أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى سنة ١٠٤١ هـ ـ الاجزاء ـ ١ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٧ ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .

٥٨ ـ نهاية الارب في فنون الادب ، تاليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى سنة ٧٤٤ هـ ـ الجزء الحادي عشر ـ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٥ .

٥٩ ـ الوافي بالوفيات ، تاليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ـ الجزء الثاني والخامس ـ تحقيق س . ديد رينغ ـ دار النشر فرانز شتايز فيسبادن الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م ؛ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م .

٦٠ ـ الوافي في نظم القوافي ، تاليف أبي البقاء أو أبي الطيب صالح ابن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف النفزي (٦٠١ ـ ٦٨٤ هـ / ١٢٠٤ ـ ١٢٨٥ م) ـ مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة تحت رقم ٦٠٣ أدب تيمور ميكروفيلم رقم ٢٥٥١ .

٦١ ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تاليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ) ـ الجزء الخامس ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ دار الثقافة بيروت (بدون تاريخ) .



مقابسات في الفلسفة الصوفية
ملاحظات حول ترجمة اربري
لـ « نصوص النفري »

القسم السابع

عزيز عارف
بغداد



تمهيد :

الشيخ محمد بن عبدالجبار النفري (ت ٣٥٤ هـ/٩٦٥ م) صوفي فيلسوف ، لا نعرف عن حياته الا النزر اليسير . ويعود الفضل في التعريف به وبكتابيه النفيسين (المواقف) و (المخاطبات) الى المستشرق الانكليزي الاستاذ آرثر يوحنا آربري (١٩٠٥ - ١٩٦٩) حيث قام بتحقيق هذين الكتابين وترجمهما الى اللغة الانكليزية وقدم لهما بدراسة قيمة وعلّق على أغلب نصوصهما تعليقات مفيدة ، وصدرا في القاهرة سنة ١٩٣٤ عن دار الكتب المصرية ، ثم أعادت طبعهما بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد .

وترجمة الاستاذ أربري لكتابي المواقف والمخاطبات رائعة الاسلوب الا أنها تفتقر الى الدقة احياناً ، وقد تفوته احياناً دلالة بعض نصوص النفري وعمق معانيها .

ولقد عرضت ، على سبيل التمثيل بعضاً من هذه النصوص في مجلة المورد الغراء (الأعداد : ١٩٨٨/٣ ، ١٩٨٩/١ ، ١٩٩٤/١ و ١٩٩٥/١) وسأعرض هنا بعضاً آخر منها مع ترجمة الاستاذ آربري لها بالانكليزية وسنرى كيف ان هذه الترجمة قد ابتعدت عن المعنى الصوفي العميق الذي أراده النفري وقصد اليه .

(١)

ـ القضاء والقدر ـ

نص النفري[1]

« ياعبد ! تُبْ اليَّ مما اكره ، أقدِّر لك ما تُحب »

ترجمة آربري[2]

« Turn to me from that which I hate and I will put in thy power that which thou lovest »

استدراك وتعليق

١ ـ نلاحظ ان الاستاذ آربري ذهب في ترجمته للعبارة « أقدّر لك » الى معنى « سأجعل في قدرتك » ـ (I will put in thy power) فهي هنا من القدرة اذن .

اما الذي نراه فهي من القضاء والقدر لا من القدرة . ويمكن ان تفهم العبارة (أقدّر لك) بمعنى اهيىء لك سبيل ما تحب دون اي عناء او توقع منك ، ودون اي قدرة عندك .

٢ ـ ولعل مَنْ يتساءل : او ليس من قضاء الله وقدره ان يمنح الانسان القدرة على نوال ما يحب ؟

بلى : ولكن القضاء والقدر من علم الغيب وميدانه رحب جد واسع ماله من حدود .

ويرد القدر في نص النفري مطلقاً غير محدّد ، اما تحديده بالقدرة (كما يرد ذلك في ترجمة آربري) فليس له ما يبرره .

(٢)

ـ (ديوان العرض) ـ

نص النفري[3]

« يا عبد ! كل مقال تعلّق بمعقول او خيال ممثول فهو في ديوان العرض ، حُسْنه في الحَسَن وقُبحه في القبيح » ـ

ترجمة آربري[4]

« Every speech is connected with an intelligible object or a Simlified fancy : it is in the register of accident , its beauty in the beautiful , and its ugliness in the ugly »

استدراك وتعليق

جاءت ترجمة الاستاذ آربري لهذا النص بعيدة كل البعد عن المعنى الذي أراده النفري وقصد اليه ، والامر يحتاج الى شيء من الشرح .

١ ـ إن عبارة (ديوان العرض) الواردة في نص النفري ظهرت في ترجمة اربري على النحو التالي :

(The register of accident) بمعنى (سجل الحدث العارض) اي الصدف والحوادث العارضة . ومن هنا وقع الخلل في الترجمة .

٢ ـ والذي نراه ان النفري اراد أن يقول : ان كل قول او عمل يصدر من الانسان ، حتى الخاطر يخطر له ، يكتب له او عليه . يكتب ان كان حسناً في صحيفة الأعمال الحسنة ، وان كان سيئاً ففي صحيفة الأعمال السيئة . هذا هو سجل أعمال الخلق ، او ديوان العرض ، يُعرض على الله يوم القيامة فيقدّر لهم ما يستحقون من ثواب او عقاب . والى هذا المعنى قصد الشيخ النفري وليس كما ذهبت اليه الترجمة .

٣ ـ ويشير نص النفري ـ كما نرى ـ الى قوله تعالى : « ويوم نسيِّرُ الجبالَ وترى الأرض بارزةً وحشرناهم فلم نغادرْ منهم أحداً ، وعُرضوا على ربك صفاً ، لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة ، بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعداً ، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربُك احداً »[5] .

٤ ـ وفي كتاب (تفسير القرآن العظيم) لابي محمد سهل بن عبدالله التستري نقرأ مايلي :

« قوله تعالى : ـ (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ـ قال : لما نزلت هذه الاية خطب رسول الله (ﷺ) فقال في خطبته : ألا وأن الدنيا عَرضٌ حاضر يأكل منه البرّ والفاجر ، الا وان الآخرة اجل صادق يقضي فيها ملك قادر ، الا وان الخير كله بحذافيره في الجنة ، ألا وان الشر كله بحذافيره في النار ، الا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، وأعلموا انكم معرضون على أعمالكم ـ (فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ، ومنْ يعمل مثقال ذرة شراً يره)[6] .

٥ ـ ويقول الشيخ ابراهيم بن أدهم :

« .. ينبغي للعبد ان يزن نفسه قبل أن يوزن ، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، ويتزين ويتهيأ للعرض على الله العلي الاكبر »[7] .

٦ ـ ويصور لنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتابه (الفتح الرباني) مشهد يوم العرض **تصويراً** جميلاً فيقول :

« ... ما منكم الا من يُؤتى به يوم القيامة ومعه ملائكته الذين كانوا موكلين به في الدنيا ، يكتبون عليه حسناته وسيئاته ومعهم تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل منها مد البصر ، فيها حسناته وسيئاته وجميع ما صدر منه .. اذا جحد أحدكم ما في سجلاته نطقت جوارحه بما فيها ، تنطق كل جارحة على حدة بجميع ما عملته في الدنيا .. »[8] .

(٣)

ـ صحائف الاعمال ـ

نص النفري[٩]

« يا عبد ! لك وعليك في ديوان العرض ، كثر مالك ، وكثر ما عليك »

ترجمة آربري[١٠]

« Thou hast credit and debit in the register of accident : much is thy credit , and much thy debit »

استدراك وتعليق

لنا على ترجمة الاستاذ آربري ملاحظتان :

الملاحظة الاولى :

ان عبارة (ديوان العرض) الواردة في نص النفري تعني ـ كما أوضحنا في الفقرة السابقة ـ صحائف اعمال الانسان ، حسناته وسيئاته تعرض يوم القيامة .

اما الترجمة فقد جاءت بمعنى سجل الأحداث العارضة : « the register of accident » وهي كما ترى بعيدة كل البعد عن معنى النص .

الملاحظة الثانية :

ان العبارة الواردة في نص النفري (كثر مالك وكثر ما عليك) جاءت في ترجمة الاستاذ آربري على جهة الاخبار اي « قد كثر مالك وقد كثر ماعليك » ولكن الذي نراه ـ وكما يبدو من سياق نص النفري ـ ان هذه العبارة تعني : « مهما كثر مالك ، ومهما كثر ما عليك » اي ان صحائف اعمال الانسان تُحصي للانسان حسناته مهما كثرت ، وتُحصي عليه سيئاته مهما كثرت .

(٤)

ـ حركات الجوارح ـ

نص النفري[١١]

« لابد أن تتحرك عادةً ، فاذا تحركتَ عادة فمالك أدب » ـ

ترجمة آربري للنص[١٢]

« There is no help but that thou must be unstable in habit : and if thou art ustable in habit ; thou hast no manners » –

تفسير آربري لنص النفري[١٣]

« Man inevitably regards his harakat as the product of habit : but this is an error , for God is really the muharrik »

نقد تفسير آربري

١ ـ يفسر الاستاذ آربري نص النفري على النحو التالي : يحسب الانسان حتماً ان حركاته انما هي عادة تعودها ، وهذا ظن خاطيء منه ، ذلك أن حركات الانسان ، في الحقيقة ، انما هي من فعل المحرك لها وهو الله » .

٢ ـ والذي نراه ان هذا التفسير بعيد كل البعد عن المعنى الذي أراده النفري وقصد اليه . والامر يحتاج الى شيء من الشرح .

٣ ـ ما معنى عبارة النفري : « لابد أن تتحرك عادة » ؟ الذي نراه ان النفري يشير هنا الى (الصلاة) وهي تؤدي عادة بحركات الجوارح من قيام وركوع وسجود . والصلاة فرض واجب على كل مسلم ومسلمة ، ولابد من ادائها بالحركات كما تقضي الشريعة بادائها ، وهذا هو المعنى الذي اشار اليه النفري بقوله « لابد ان تتحرك عادةً » .

٤ ـ ما معنى عبارة النفري « فاذا تحركت عادةً فمالك أدب » ؟ الذي نراه ان النفري أراد ان يقول : اذا تعود المصلي أن تكون صلاته محض حركات فقد أساء الادب مع الله . ذلك ان الصلاة في حقيقتها ليست هي الحركات ، انما هي اتصال بين قلب العبد وربه .

٥ ـ ويؤكد النفري هذا المعنى بعد هذا النص مباشرةً : « صلاتك لما يوقفك او يُعجلك ، وقصدك لما يحادثك او تحادثه »[١٤] .

٦ ـ والصلاة ، كما ينبغي ان تكون الصلاة ، انما هي مناجاة وحضور مع الله .

يقول الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه « الفتوحات المكية » : « .. المراد من المصلي الحضور مع الله فلا يحتاج .. الا أن يعرف أنه بين يدي ربه يناجيه »[١٥] .

ويقول : « .. المصلي يناجي ربه »[١٦] ويقول : « .. فكل مصلٍ يتحدث في صلاته مع غير الله في قلبه فما هو المصلي الذي يناجي ربه »[١٧] .

(٥)

ـ عقوَد السر ـ

نص النفري[١٨]

« لاتكن بالعقود فيحل ما عقدت ، ولا تكن بالعهوَد فيخفر ما عاهدتَ » .

ترجمة آربري[١٩]

« Abide not with compacts , or that which thou hast Compacted will be loosened : abide not with treaties , or that for which thou hast made treaty will be violated .

استدراك وتعليق

نرى ان ترجمة الاستاذ أربري لنص النفري جاءت من وجهة النظر اللغوية صحيحة ورائعة الاسلوب ، غير أنها من وجهة النظر الصوفية لا تؤدي المعنى الذي أراده النفري وقصد اليه . والامر يحتاج الى بعض التوضيح .

١ ـ ان العقود (Compacts) والعهود (treaties) كما وردت في ترجمة الاستاذ أربري تعني الاتفاق بين طرفين او اكثر على القيام بعمل او الامتناع عن عمل ، وهو اتفاق ملزم لأطراف المتعاقدين والمتعاهدين جميعاً .

اما (العقود) و (العهود) التي وردت في نص النفري فهي عقود وعهود السر التي يعقدها العبد بقلبه او يتعهدها بلسانه بينه وبين ربه ان يفعل كذا او لا يفعل كذا .. وهي كما ترى عقود وعهود من جانب واحد ، صادرة منه وملزمة له ، وليست اتفاقاً بين جوانب متعددة كما يظهر معناها في ترجمة الاستاذ أربري .

٢ ـ ما معنى نص النفري ؟

الذي نراه ان النفري اراد أن يقول : اياك ايها الانسان ان تعقد في سرك عقدا او تعهد عهداً بينك وبين ربك ، حذر أن لاتستطيع الوفاء بعقدك فتنقض حينئذ عهدك مع الله من بعد ميثاقه فتكون من الخاسرين . ثم أنت ايها الانسان كيف قدّرت أنك ستفي بعهدك وقدرتك محدودة ، ومالك سوى الساعة التي أنت فيها ، كيف تجزأت فقدّرت ؟ ألا تخشى مكر الله ؟ ألا تخشى ان يحل ماعقدت العزم عليه ؟ وأن ينقض ما عاهدت عليه ؟

« قيل لحكيم : بم عرفت الله ؟ فقال :

بحل العقود وفسخ العزائم »[٢٠] .

٣ ـ ولعل أوضح تفسير لنص النفري ما قاله الشيخ الصوفي محمد بن يعقوب الفرجي :

«منذ ثلاثين سنة ما عقدت بيني وبين الله عز وجل عقداً مخافة أن يفسخ عليّ ذلك فيكذبني على لساني »[٢١] .

(٦)

ـ عقد القلب ـ

نص النفري[٢٢]

« كذب اللسان أن يقول مالم يَقُلْ ، وأن يقول ولا يفعل . وكذب القلب أن يعقد فلا يفعل »

ترجمة اربري[٢٣]

« The lie of the tonque consists in its sayiny what has never been said , and in saying and not doing : the lie of the heart consists in its believing and not doing .

استدراك وتعليق

١ ـ نلاحظ ان العبارة الواردة في نص النفري « وكذب القلب ان يعقد فلا يفعل » جاءت في ترجمة أربري بعيدة عن المعنى الذي اراده النفري وقصد اليه ، والأمر يحتاج الى شيء من الشرح .

٢ ـ ذهب الاستاذ اربري في ترجمته الى أن (عقد القلب) هنا يشير الى الاعتقاد او العقيدة بمعنى الايمان بشيء « believing » .

والذي نراه ان (عقد القلب) في اشارة النفري يعني : ان يتعهد الانسان سرا فيما بينه وبين ربه ، ان يلزم نفسه بعمل او ترك عمل ، فيما هو مباح له ، وغير ملزم له شرعا . فان فعل ما ألزم نفسه به كان صادق القلب ، وان لم يفعل كان كاذب القلب .

٣ ـ في (لسان العرب) لابن منظور ـ مادة (عقد) :

« والعقد : العهد ، والجمع عقود .. وعقد قلبه على الشيء : لزمه » .

وفي كتاب اللمع للسراج : « والعقد » عقد السر ، وهو ما يعتقد العبد بقلبه بينه وبين الله تعالى أن يفعل كذا او لا يفعل كذا .. »[٢٤] .

ويتحدث ابن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) عن علم الحروف وما للحروف من أثر يشبه الفعل بالهمة ويقرر أنه علم شريف في نفسه الا أن السلامة منه عزيزة فالاولى اذن تركه . يقول عن نفسه : « ولولا اني آليت عقدا ان لا يظهر مني أثر عن حرف لارينهم من ذلك عجبا »[٢٥] .

٤ ـ ويفرّق الصوفية بين الخواص والعوام فيقولون :

ان العامة من المؤمنين قد أوجب الله عليهم الوفاء اذا عهدوا بألسنتهم عهداً ، اما الخواص فقد أوجب الله عليهم الوفاء اذا عقدوا بقلوبهم عقداً »[٢٦] .

ويذهب الشيخ محيي الدين بن عربي في عقد القلب ، مذهبا بعيداً قد يبدو لنا غريبا بعيداً عن المعقول ، ولكنه في الحقيقة لا يخرج عن هذا المفهوم المعروف عند الصوفية .

في كتابه (الفتوحات المكية) يتحدث ابن عربي عن الخواطر الشيطانية وكيف أن الشيطان يستدرج العارف احياناً الى فعل امر من الطاعات ، فاذا نوى العارف ذلك وعزم عليه وعقد بقلبه عقداً مع الله ولم يبق الا الفعل ، اقام له دون علمه عبادة اخرى افضل منها شرعاً فينصرف العارف الى هذا الفعل الثاني ، ويترك الفعل الاول ، وهو لا يدري انه بتركه هذا قد نقض العهد الاول مع الله من بعد ميثاقه[٢٧] .

٥ ـ ومن الجدير بالملاحظة ان الاستاذ اربري ـ عند ترجمته لكتاب المخاطبات للنفري ـ قد فطن الى ان (عقد القلب) لا يعني العقيدة او الايمان وانما يعني : (النية والعزم)

« determines .. determination » على النحو المثبت في ترجمته للنصين التاليين :

النص الاول[٢٨] :

« يا عبد ! قلب انظر فيه لا يعقد على حسنة ولا يصر على سيئة » .

ترجمة آربري[٢٩] :

« A heart into which I look determines not upon any good , nor persists in any evil deed »

النص الثاني[٣٠] :

« يا عبد ! قل لقلبك ، عقدك قصد ، واصرارك قصد ، وأنت ابن الاختلاف » .

ترجمة آربري[٣١] :

« Say to thy heart : thy determination is an aim , and thy persistence is an aim , and thou art the son of contrariety »

(٧)

ـ القلب ينقلب ـ

نص النفري[٣٢]

« القلب ينقلب ، قلب القلب لا ينقلب » .

ترجمة آربري[٣٣]

« the heart is moved , but the heart of the heart is not moved »

استدراك وتعليق

١ ـ هذه الترجمة ـ كما نرى ـ لا تؤدي هنا المعنى الذي اراده النفري وقصد اليه ، فالترجمة تقول :

القلب متحرك ، اما قلب القلب فليس بمتحرك » ، وفرق ، أي مرق ، بين تقلب القلب من حال الى حال ـ كما في نص النفري ـ وبين حركة القلب الدائمة **المألوفة ، ـ كما يفهم من ترجمة آربري** .

٢ ـ سنرى لاحقاً كيف ان الاستاذ آربري قد فطن الى هذا المعنى فترجم ، في نص آخر للنفري ، (تقلب) القلب Changeability على وجه ملائم لمعنى النص (انظر الفقرة اللاحقة رقم ـ ٨ ـ) .

ما معنى نص النفري ؟

يفرق الشيخ النفري هنا بين (القلب) وبين (قلب القلب) اما القلب فيتقلب مع هواه ، يتحول أبدا من حال الى حال . واما قلب القلب فهو القلب المطمئن ، الثابت على الايمان .

ويذهب محيي الدين بن عربي في كتابه (الأسفار)[٣٤] الى ان للقلب قلباً هو الفؤاد ، وللقلب رؤية ، ولقلب القلب (الفؤاد) رؤية .

اما رؤية القلب فيدركها العمى . قال تعالى : « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »[٣٥] .

واما الفؤاد فلا يعمى . قال تعالى : « ما كذب **الفؤادُ** ما رأى »[٣٦] .

ويقول ابن عربي في (كتاب نقش الفصوص) : « القلب يتقلب في الخواطر ولذلك قال [تعالى] : (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ولم يقل عقل لأن العقل يتقيد بخلاف القلب »[٣٧] .

وفي خواطر القلوب ، يقول الشيخ الصوفي أبو تراب النخشبي : « ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب »[٣٨] وفي تقلب القلب يقول ابن عربي في (كتاب التجليات) : « .. والقلب لاثبات له على حال ، سريع التقلب ، ما سمي القلب الا من تقلبه »[٣٩] .

ويقول (سمنون المحب) في ضياع قلبه[٤٠] :

كان لي قلب أعيش به
ضاع مني في تقلبه

وفي كتاب (تفسير القرآن الكريم) المنسوب للشيخ محيي الدين بن عربي نقرأ مايلي :

« قال النبي عليه الصلاة والسلام : (اللهم ثبت قلبي على دينك) فقيل له : اما غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : وما يؤمنني ؟ ان مثل القلب كمثل ريشة في فلاة تقلبها الريح كيف شاءت »[٤١] .

وفي هذا المعنى يقول (ابن قيم الجوزيه) في كتابه « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » :

« وقد قال الله تعالى لأكرم الخلق عليه وأحبهم اليه . ـ (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً) ـ ولهذا كان من دعائه :

« يا مقلب القلوب ، ثبّت قلبي على دينك » وكانت أكثر يمينه : « لا ، ومقلب القلوب »[٤٢] .

(٨)

ـ تقلب القلب ـ

نص النفري[٤٣]

« إستغفرني من فعل قلبك أكفك تقلبه » .

ترجمة آربري[٤٤]

« Ask Forgiveness of me for the act of the heart , and I will rid thee of its changeability »

استدراك وتعليق

١ ـ يترجم الاستاذ اربري هنا (تقلب) القلب its Changeability ـ على وجه يتلاءم ومعنى النص . وقد رأينا في الفقرة السابقة رقم (٧) ، كيف ذهب في ترجمة تقلب القلب بمعنى (حركة القلب) .

٢ ـ ومن الجدير بالملاحظة هنا ان العبارة الواردة في نص النفري ـ (فعل قلبك) ـ جاءت في ترجمة اربري بمعنى : (**فعل القلب**) . The act of the heart ـ وهي ترجمة تفتقر الى الدقة ـ كما نرى ـ ويا حبذا لو جاءت على النحو التالي : (the act of thy heart) .

٣ ـ ان هذا النص ـ كما يقول لنا النفري ـ انما هو خطاب صادر من الحق ، موجه الى (واقف) اوقفه الحق في موقف (أنا منتهى اعزائي) فلابد اذن ان ينقل الخطاب كما هو دون اي زيادة او نقصان .

ما معنى نص النفري ؟

١ ـ (عمل القلب) يعني عند الصوفية ما يعتمل في القلب من الخواطر والنيات والمقاصد والعهود والهمم والعزائم .

٢ ـ ويفرّق الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه (انشاء الدوائر) بين (عمل القلب) وبين (حركة القلب) .

اما عمل القلب (القصد والارادة) فهو من عالم الغيب ، وأما حركة القلب فهو من عالم الشهادة[٤٥] .

٣ ـ ولعل أوضح تفسير لنص النفري قول الشيخ الصوفي (ابو تراب النخشبي) : « ليس من العبادات شيء أنفع من اصلاح خواطر القلوب »[٤٦] .

(٩)

ـ العبادة للآخرة ـ

نص النفري[٤٧]

« يا عبد ! عكوفك على الدنيا أحسن من عبادتك للآخرة » .

ترجمة آربري[٤٨]

« Thy attention to this world is nobler than thy enslavement to the next world »

استدراك وتعليق

١ ـ نلاحظ ان كلمة (أحسن) في نص النفري جاءت على ارادة التفضيل بمعنى (اولى او أفضل) .

أما الاستاذ اربري فقد ترجم كلمة (أحسن) بمعنى (أشرف او أنبل ـ nobler) ، ومن هنا فقد اعطى العكوف على الدنيا صفة التشريف وسمو المنزلة ، وهذا المفهوم غريب ، يتعارض مع الفكر الصوفي الذي يحط من قدر الدنيا ويقلل من شأنها ويدعو الى نبذها والزهادة فيها .

٢ ـ ويستقر في ضمائر الصوفية ويرسخ في أذهانهم ويتردد على ألسنتهم قول الله عز وجل :

« وما الحياة الدنيا الا لعبٌ ولهو »[٤٩] .

ولا يغيب عن بالهم قول الرسول الأمين محمد (ﷺ) :

« عُرضَت عليّ الدنيا فأبيتها »[٥٠] . وهم لايفتأون يرددون ما جاء في الحديث الشريف .

« الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ما أبتغي به وجه الله عَزّ وجل »[٥١] وقوله (ﷺ) « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »[٥٢] وقوله صلى الله عليه وسلم

« لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة ماء »[٥٣] .

اذا كان هذا حال الدنيا عند الصوفية فكيف يمكن اذن ان يكون العكوف عليها (اشرف) من العبادة للآخرة ـ كما في ترجمة آربري ـ ؟

٣ ـ ويقول الاستاذ آربري (في شرحه لهذا النص) إنه رائع ، يبدو ـ اول وهلة ـ متناقضاً ولكنه في حقيقته انما يؤكد دناءة منْ يفكر في طلب الاجر قبل ان يباشر عملاً يؤجر عليه .

وتقتضينا الأمانة ان نُثبت كلمات أربري كما هي بالأصل[٥٤] « A Splendid paradox, emphasising the baseness of considering the reward before entering upon an action »

ان هذا الشرح ـ كما نرى ـ بعيد عن مفهوم نص النفري ، وهو لا يفسر لنا كيف يكون الاستمتاع بالدنيا أحسن من العبادة طلباً للآخرة .

٤ ـ ما معنى نص النفري ؟

الذي نراه ان النفري أراد ان يقول ان هجران الانسان للدنيا وعكوفه على عبادة الآخرة ، طلباً للثواب ، لا ابتغاء وجه الله سبحانه ، انما يفضي به كل ذلك الى خسرانين : خسران الدنيا وخسران الآخرة .

أما اذا عكف الانسان على الاستمتاع بالدنيا دون ان يقدم عملاً لآخرته ، فقد حظي بالدنيا وحدها ، وخسر خسراناً واحداً ، هو خسران الآخرة .

خسران واحد إذن أحسن للإنسان من خسرانين ونلاحظ ان كلمة (أحسن) في نص النفري جاءت كناية عن الخسران على سبيل التهكم . وليس من شك ان النفري انما يتهكم هنا على منْ يتجشم عناء العبادة للآخرة وليس في همه الا طلب الاجر على عبادته ، لا ابتغاء وجه الله .

(١٠)

ـ التوبة والرضا ـ

نص النفري[٥٥]

١ ـ « يسوءك كل ما منك أغفره ، لا يسوءك كل ما مني ، أصرف السوء كله » ـ

٢ ـ إن التزمت ما ألزمتك بين هذين كنت ولياً » ـ

ترجمة آربري[٥٦]

1 – « That harms thee which proceeds from thyself , and I forgive it : but that which proceeds from me does not harm thee , for I turn aside harm altogether »

2 – « If thou clingest to that which I have attached to thee between these two , then thou wilt be a friend »

استدراك وتعليق

اولاً ـ هذا النص من الاشارات الصوفية البالغة الدقة في دلالتها ، تبدو لنا عبارة النص قلقةً مضطربةً ، غير أنها في الحقيقة تنطوي على اشارة ذات معنى عميق . ذلك ان الفقرة الاولى من هذا النص تشير الى شرطين ـ كما سنرى ـ اما عبارة النص فقد خلت من أداة الشرط .

ومن المعلوم ان للصوفية لغتهم الخاصة ، يتداولونها فيما بينهم ، فلهم رموزهم ومصطلحاتهم ، ولهم طرائقهم في التعبير ، يتصرفون في أصول اللغة أحياناً فيعمدون الى الحذف والإضافة والتحوير والتأويل .

ويصدق على نص النفري هذا قول الحلاج :

مَنْ لم يقف على إشاراتنا ، لم ترشده عباراتنا »[٥٧] » ـ

ثانياً : قبل الخوض في معنى النص نقول :

١ ـ ان عبارة النفري « يسوءك كل مامنك اغفره » ـ ينبغي أن تفهم على انها جملة شرطية وأن تقرأ على الوجه التالي : « إن يسؤك كل مامنك اغفره »

ـ (على تقدير لاداة شرط مضمرة هي (إن) الجازمة) ـ ولقد تعمد النفري حذف اداة الشرط من عبارته لان الجملة مفهومة للصوفية بدون هذه الاداة ، واكتفى باثبات فعل الشرط وجواب الشرط .

٢ ـ وكذلك عبارة النفري : « لايسوءك كل مامني ، أصرف السوء كله » ـ ينبغي أن تفهم على أنها جملة شرطية وأن تقرأ على النحو التالي :

« إن لم يسؤك كل مامني ، أصرف السوء كله » .

ـ (على تقدير لاداة الشرط (إن) المضمرة) ـ

ونلاحظ هنا كذلك ان النفري قد اكتفى بفعل الشرط وجواب الشرط ، أما اداة الشرط (إن) فقد تعمد حذفها لان الجملة مفهومة بدونها .

ثالثاً : مامعنى نص النفري ؟

يشير نص النفري ـ كما نرى ـ الى مقامي (التوبة والرضا) عند الصوفية . أما ترجمة الاستاذ آربري فقد فاتها هذا المعنى ، فجاءت بعيدةً عن أي مفهوم صوفي ، والامر يحتاج الى شيء من الشرح .

١ ـ عبارة النفري « يسوءك كل مامنك أغفره »

معناها : إن أذنبت فساءك ذنبك وأهمك وغمك فندمت على ما كان منك وتبت منه فان الله غفور رحيم . وهذا مقام التوبة ، وهو « أول مقام من مقامات المنقطعين الى الله تعالى » كما يقول الشيخ يوسف بن حمدان السوسي[٥٨] .

٢ ـ أما عبارة النفري : « لا يسوءك كل ما مني ، أصرف السوء كله » فمعناها :

إن قضى الله عليك بالبلاء ، فتقبلت قضاءه راضياً ، لم يسؤك ولم يُسخطك ، فسيتولاك الله برحمته فيصرف السوء كله عنك .

وهذا مقام (الرضا) وهو آخر المقامات عند الصوفية .

سُئل ذو النون عن الرضا فقال :

« سرور القلب بمُر القضاء »[٥٩]

رابعاً : وبين مقامي التوبة والرضا ثمة مقامات أُخر ، كالورع والزهد والفقر والصبر والتوكل . والى هذه المقامات أشار نص النفري :

« إن التزمت ما ألزمتُك بين هذين كنت ولياً » أو لعل النفري وهو يحوّم في فضاء الحقيقة ، قد قصد بقوله « ان التزمت ما الزمتك » الى الالتزام باحكام الشريعة . و « الحقيقة عين الشريعة » كما يقول الشيخ ابن عربي .

خامساً : ترجمة النص :

أما ترجمة الاستاذ آربري لنص النفري هذا فنلاحظ على الفقرة الأولى منها أنها بعيدة عن مفهوم النص حيث جاءت على النحو التالي :

« ما يصدر منك يسوءك ، واني اغفره لك . أما ما يصدر مني فلا يسوءك ، لاني أصرف السوء كله » ان هذه الترجمة ـ كما نرى ـ لا تدل على اي معنى صوفي ، وهي الى ذلك لاتتلاءم مع الفقرة الثانية من نص النفري : « إن التزمت ما الزمتك بين هذين كنتَ ولياً » ـ وإلا فاين هو مفهوم (الالتزام) في ترجمة آربري ؟ وباي شيء يلتزم المخاطب ؟ وأين معنى (هذين) ؟ وأين معنى (بين هذين) ؟

الحق ان هذه الترجمة لا تدلنا على مفهوم النص .

هوامش القسم السابع

● - راجع مجلة المورد (الاعداد - ١٩٨٦/٢ و ١٩٨٨/٣ ١٩٨٩/١ و ١٩٩٤/١ و ١٩٩٥/١)

١ - النفري (محمد بن عبدالجبار) - كتاب المخاطبات - ص ١٩٦ .
- تحقيق آرثر يوحنا اربري - دار الكتب المصرية بالقاهرة - ١٩٣٤ - اعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد .

٢ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أربري بالانكليزية - ص ١٦٧ - المخاطبة رقم (٤١) - الفقرة (٢) -

٣ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٧٠ .

٤ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أربري بالانكليزية - ص ١٤٩ (المخاطبة رقم (١٨) - الفقرة (٧) .

٥ - سورة الكهف (الآيات /٤٧ و٤٨ و٤٩) .

٦ - راجع (تفسير القرآن العظيم) - سهل بن عبدالله التستري - مطبعة السعادة - القاهرة / ١٩٠٨ - ص ١٩١ .

٧ - أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء - ج ٨ ص ٤٠ .

٨ - الشيخ عبدالقادر الجيلاني - الفتح الرباني والفيض الرحماني - دار المعرفة - بيروت - ١٩٧٩ - ص ١٥٥ .

٩ - النفري - كتاب المخاطبات - المخاطبة (١٨) - ص ١٧٠ .

١٠ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أربري بالانكليزية - ص ١٥٠ (المخاطبة) (١٨) - الفقرة (١٠) .

١١ - النفري - كتاب المواقف - الموقف (٥٠) - ص ٨٢ -

١٢ - النفري - كتاب المواقف - ترجمة أربري بالانكليزية ص ٨٦ - الموقف - (٥٠) الفقرة (٦) .

١٣ - راجع تعليقات اربري بالانكليزية على كتاب المواقف - ص ٢٣٣ (الموقف (٥٠) - الفقرة (٦) .

١٤ - النفري - كتاب المواقف - ص٨٢ .

١٥ - ابن عربي - الفتوحات المكية - ج ١ ص ٤٥١ (دار صادر - بيروت : دون تاريخ) .

١٦ - المصدر السابق - ج ١ - ص ٤١٠ .

١٧ - المصدر السابق - ج ٢ - ص ٤٦٨ .

١٨ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٧٢ .

١٩ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة اربري بالانكليزية - ص ١٥١ - الفقرة (٢١) .

٢٠ - السراج - اللمع - ص ٤٣٠ .

٢١ - المصدر السابق - ص ٤٣٠ .

٢٢ - النفري - كتاب المواقف - ص ٤٦ .

٢٣ - النفري - كتاب المواقف - ترجمة اربري بالانكليزية - ص ٦٠ - الفقرة (١١) .

٢٤ - السراج - اللمع - ص ٤٣٠ .

٢٥ - ابن عربي الفتوحات المكية - ج ١ - ص ١٩٠ .

٢٦ - السراج - اللمع - ص ٤٣١ .

٢٧ - ابن عربي - الفتوحات المكية - ج ١ - ص ٢٨٣ .

٢٨ - النفري - كتاب المخاطبات - ص١٨٠

٢٩ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أربري بالانكليزية - ص ١٥٦ - فقرة (٢١) .

٣٠ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٨٠ .

٣١ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أربري بالانكليزية - ص ١٥٦ - الفقرة (٢٢) .

٣٢ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٥٥ .

٣٣ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة أربري بالانكليزية - ص ١٣٩ - المخاطبة (٧) - الفقرة (١٦) .

٣٤ - ابن عربي - رسائل ابن العربي - كتاب الاسفار - ص ٢١ (تصوير دار احياء التراث العربي - بيروت - دون تاريخ) .

٣٥ - سورة الحج/٤٦ .

٣٦ - سورة النجم / ١١ .

٣٧ - ابن عربي - رسائل ابن العربي - كتاب نقش النصوص - ص ٧ .

٣٨ - السلمي - طبقات الصوفية - ص ١٤٩ .

٣٩ - ابن عربي - رسائل ابن العربي - كتاب التجليات - ص ٢٤ .

٤٠ - السلمي - طبقات الصوفية - ص ١٩٧ .

٤١ - محيي الدين بن عربي - تفسير القرآن الكريم - ج ١ . ص ٥٩٩ .

٤٢ - ابن قيم الجوزية - روضة المحبين ونزهة المشتاقين - دار الكتب العلمية - بيروت / ١٩٧٧ - ص ٤٥٩ .

٤٣ - النفري - كتاب المواقف - ص ٤٧ .

٤٤ - النفري - كتاب المواقف - ترجمة أربري بالانكليزية - ص ٦١ - الفقرة (٥) .

٤٥ - محيي الدين بن عربي - كتاب انشاء الدوائر - ص ١٧٠ - ١٧١ .

٤٦ - السلمي - طبقات الصوفية - ص ١٤٩ .

٤٧ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٨٦ .

٤٨ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة اربري بالانكليزية - ص ١٦٠ (المخاطبة (٣١) - الفقرة (١) .

٤٩ - سورةالانعام /٣٢ .

٥٠ - السراج - اللمع - ص ١٣٤ .

٥١ - السيوطي - الجامع الصغير - ج ١ . ص ١٧ (القاهرة - الطبعة الرابعة) -

٥٢ - المصدر السابق - ج ١ - ص ١٧ .

٥٣ - الجامع الصحيح - سنن الترمذي - تحقيق كمال يوسف الحوت - دار الكتب العلمية بيروت ج ٤ ص ٤٨٥ .

٥٤ - تعليقات آربري بالانكليزية على كتاب المخاطبات - ص ٢٥١ - المخاطبة (٣١) - الفقرة (١) .

٥٥ - النفري - كتاب المواقف - ص ٨١ .

٥٦ - النفري - كتاب المواقف - ترجمة أربري بالانكليزية - ص ٨٦ (الموقف (٤٩) - الفقرتان (١٣ ، ١٤) .

٥٧ - انظر كتاب (اخبار الحلاج) تحقيق ماسينيون وكراوس - باريس - ١٩٣٦ - ص ٧٥ .

٥٨ - السراج - اللمع - ص ٦٨ .

٥٩ - المصدر السابق - ص ٨٠ .

ملاحظات حول مقدمة محقق كتاب الثعالبي

لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء

الدكتور عدنان كريم الرجب

أ.د . محمود عبد الله الجادر
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

صدر عن الدار العربية للموسوعات ببيروت كتاب (لطائف الظ... من طبقات الفضلاء ـ للثعالبي) سنة ١٩٩٩ م بتحقيق الدكتور عدنان كريم الرجب ، وقد شغل الكتاب (١٩٨) صفحة من القطع المتوسط أفرد المحقق (٧١) صفحة من اول الكتاب اودعها مقدمة ودراسة ثم اودع النص المحقق في الصفحات المتبقية من الكتاب من الصفحة ٧٣ الى الصفحة ١٦١ وشغل الصفحات الاخيرة بثلاثة فهارس وقائمة المصادر وفهرست المحتويات .

ولست اشك في ان الباحث قد بذل جهداً في سبيل الفوز بمخطوطات الكتاب وموازنتها واختيار النسخة الام منها ثم بذل الجهد في سبيل تحقيق النص والخروج بصورة من الكتاب تطابق الصورة ألتي كتبها المؤلف او تقاربها في اقل تقدير ، كما انني لااشك في انه توخى افضل ما امكنه تقديمه في مقدمته التي ضمنها مقدمة عامة وثلاثة فصول ، بيد ان ذلك كله لا يعني ان عمله جاء بمستوى طموحه ، فمن خلال قراءتي مقدمته ودراسته والنص المحقق تجمعت لدي ملاحظات قد يخرج عرضها عن حدود البحث الواحد ، ولهذا رأيت أن افرد هذا البحث لعرض ما تجمع لدي من ملاحظات حول مقدمته ودراسته واترك لبحث اخر عرض ما تجمع لدي من ملاحظات حول تحقيق متن الكتاب .

اما مقدمة المحقق فإن اهم ما يلفت النظر فيها ان المحقق صاغ حديثه بطريقة توحي بان هذا الكتاب يحقق اول مرة اذ قال في أولها (وبعد ان عثرت على مخطوطة كتابه لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء سرني كثيراً موضوعها ، ويكون لي شرف المشاركة في احياء التراث العربي واضافة كتاب الى المكتبة العربية سيكون له اثر في الكشف عن جهوده الادبية ومؤلفاته التي زادت على مائة ونيف [كذا][1] ثم تمضي المقدمة من دون ان تتضمن اية اشارة الى جهد سبق الى تحقيق الكتاب مع ان الدكتور قاسم السامرائي كان قد نشر جزءاً من الكتاب بعنوان (لطائف كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام) في لايدن سنة ١٩٧٨ بتصوير المخطوطة وتذييلها بهوامش المحقق ، ثم نشره كاملاً بعنوان (لطائف الظرفاء) الدكتور عمر الاسعد في بيروت سنة ١٩٨٠ وهذه حقائق كان يمكن ان نجد العذر للمحقق فنرجح انه لم يطلع على الطبعتين ولم يسمع بهما - وليس ذلك بعذر - بيد ان المحقق نفسه وضع بين ايدينا ما يؤكد انه مطلع على هذه الحقائق تمام الاطلاع فهو قد رجع الى كتاب التوفيق للتلفيق للثعالبي بتحقيق الاستاذ هلال ناجي والدكتور زهير زاهد وادرجه في قائمة مصادره بل انه نقل اكثر معلوماته عن مؤلفات الثعالبي التي ادرجها في الفصل الاول من دراسته من مقدمة محققي التوفيق للتلفيق كما سنرى وقد ورد في قائمة مؤلفات الثعالبي التي ادرجها المحققان الفاضلان في مقدمتهما ما نصه (لطائف الظرفاء - لطائف الصحابة والتابعين ليدن ٤٥٢ - كتاب في الادب بلا عنوان باريس ٤٢٠١ اللطف واللطائف - دمشق ١١٠٠٥ نشره الدكتور عمر الاسعد في بيروت سنة ١٩٨٠ معتمداً مخطوطة واحدة في بونستون [كذا] وكان قد نشره بلايدن الدكتور قاسم السامرائي بطريقة تصوير مخطوطه ليدن سنة ١٩٧٨ م)[2] فلا يعقل ان المحقق لم يطلع على هذا الكلام ، اما اعراضه عن ذكره فلا وجه له الا ما سنذكره عند كلامنا على النص المحقق والا فان اعادة تحقيق الكتاب بعد صدوره مرة ومرتين مما لا يغض من قيمة العمل ان كان ثمة اضافة او فوائد او أن كانت نسخ التحقيق السابق مما عز وندر.

ولست اريد بعد ذلك أن اتابع ما ادرجه المحقق في الفقرة الثانية من مقدمته العامة وهو ذكره النسخ التي اعتمد عليها في التحقيق فذلك ما ساتابعه في دراسة مبحث (النسخ المخطوطة) الذي كتبه المحقق في الفصل الاول من فصول دراسته .

وقد وزع المحقق مادة الفصل الاول على مباحث افرد بعضها لسيرة الثعالبي ونشاته وشيوخه ومكانته في نظر الادباء ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ثم افرد المباحث الاخيرة لوصف النسخ المخطوطة من الكتاب الذي يحققه والرموز التي وضعها لكل منها ومنهجه في التحقيق ثم وزع الفصل الثاني الذي سماه (تسمية الكتاب واهميته النقدية) على مباحث تناول فيها دلالة عنوان الكتاب ثم تناول كل كلمة من كلمات العنوان بمبحث عدا كلمتي (من) و (الفضلاء) ثم جعل عنوان الفصل الثالث (اهمية الكتاب العلمية) وقسمه مباحث درس فيها ثقافة المؤلف في الكتاب والجوانب التاريخية والظواهر الاجتماعية واهمية الكتاب الادبية واهميته النقدية ومقدمة الكتاب .

ولسنا نريد ان نناقش مسالة قيمة الدراسة التي يصدر بها محقق كتاباً يحققه او نرسم لها حدوداً ولكن الذي يلفت النظر في دراسة محقق لطائف الظرفاء انه قسمها فصولاً وهذا امر غير معهود في دراسات المحققين وان تقسيم الفصول على مباحثها لم يكن دقيقاً فالفصل الاول الذي عنوانه (ابو منصور محمد بن اسماعيل الثعالبي سيرته واثاره) مما كان ينبغي له الا يضم المباحث الاخيرة التي تناولت وصف نسخ الكتاب والرموز المستعملة ومنهج التحقيق فذلك اليق بالفصل الثالث الذي كان ينبغي له ايضاً ان يدمج مع الفصل الثاني لان كليهما يتناولان الكتاب عنواناً ومادة .

فاذا تجاوزنا ذلك الى مادة الفصول نفسها فسنرى ان المحقق افرد المبحث الاول من الفصل الاول لدراسة سيرة الثعالبي ، وسيرة الثعالبي مما كان محققو كتبه يحاولون الافاضة فيها كما فعل ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي في مقدمتهما لكتاب لطائف المعارف للثعالبي بتحقيقهما وعبد الفتاح محمد الحلو في مقدمته لكتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبي بتحقيقه فضلاً عن تراجمه التي وردت في بعض المراجع الحديثة[3] وكانت اول دراسة اكاديمية تتناول سيرة الثعالبي وتتابع ادق تفاصيلها هي دراستي التي حصلت بها على درجة الماجستير ونشرتها بعنوان الثعالبي ناقداً واديباً ببغداد سنة ١٩٧٦ م وهي الدراسة التي لم يجد كبار المحققين امثال الاستاذ الجليل هلال ناجي والدكتورة ابتسام مرهون الصفار والدكتور قحطان التميمي وغيرهم لم يجدوا غضاضة في الرجوع اليها والاقتباس منها ومناقشة بعض تفاصيلها احياناً ولكن يبدو ان المحقق الفاضل راى ان يعرض عنها فان وجد من ناقش بعض تفاصيلها من وجهة نظر علمية خاصة به تلقف المناقشة مشيراً الى من ناقش غير مشير الى من نوقش وكان ذكر كتاب الثعالبي ناقداً واديباً يقلل من قيمة عمله ، والغريب انه تناول بعض تلك المناقشات بطريقة غريبة لا تدل على تدقيق ، فقد كتب في السطر الثاني متحدثاً عن لقب (الثعالبي) قوله (لقب بذلك لان واند كان فراء بجلد الثعالب) وتوج العبارة بهامش(٢) وفي الهامش (٢) في الحاشية قال : (فند محققا كتاب التوفيق للتلفيق للثعالبي الاستاذ هلال ناجي والدكتور زهير زاهدان لقب الثعالبي يعود لمهنة ابيه ونحن نميل مع هذا الراي العلمي ينظر التوفيق للتلفيق ص ٣) وهذا

كلام عجيب ، فإن كان الفاضلان اللذان ذكرهما قد فندا الحقيقة فمن قالها ؟ هذا اولاً ، وإن كان المحقق الفاضل معهما في تفنيدها فما معنى اثباتها في المتن ؟

واقع الامر انني كنت قد قلت في دراستي للثعالبي (فقد كان ابوه يشتغل بخياطة جلود الثعالب وعمل الفراء منها)[4] ثم قلت بعد ذلك مباشرة (اما ما ذهب اليه ابن خلكان من انه كان هو فراء فنيس الا وهماً) وذكرت في هامش قولي الاول ما ورد في كتاب نثر النظم من قول الثعالبي نفسه وهو ينثر نصاً شعرياً (فإن كنت من الاكابر فلي في عدنان الهروي اسوة وإن كنت من الاصاغر فلي بابن الثعالبي النيسابوري قدوة)[5] وذكرت في هامش قولي الثاني (وفيات الاعيان ٢ / ٣٥٢)[6] ولست ادري كيف ورد في مقدمة محققي (التوفيق للتلفيق) للثعالبي ما نصه (وقد وهم من ظن ان الثعالبي كان يحترف هذه المهنة والصواب انها مهنة ابيه)[7] وكيف ورد في هامش هذا الكلام (نثر النظم ص ١٦) فقد ذكرت ان ما ورد في نثر النظم تأكيد حقيقة كون ابيه هو الذي كان يحترف هذه المهنة وان الوهم كان في وفيات الاعيان فلعل اختصار الامر هو الذي يكمن وراء التناقض بين المتن والهامش ، اما ان يثبت محقق لطائف الظرفاء الحقيقة في المتن ثم يقول في الهامش فند محققا التوفيق للتلفيق ان اللقب يعود لمهنة ابيه فعجب من العجب .

وفي مبحث (نشأته وشيوخه) قال المحقق في حديثه عن الثعالبي (نرى له شعراً ليس بقليل)[8] وتوج العبارة بهامش قال فيه (جمعه ونشره عبد الفتاح الحلو ينظر مجلة المورد ـ شعر الثعالبي ـ العدد الاول المجلد السادس لسنة ١٩٧٧ م) وانا اشك في ان المحقق اطلع على هذا الشعر المجموع للثعالبي فهو يخرج كل ما رواه من شعر للثعالبي من مصادره الاصيلة والمعروف ان النص الشعري للشاعر الذي له ديوان لا ينقل الا من ديوانه فإذا تساهلنا وقلنا ان المحقق وثق بمصادره (لا سيما ان اكثرها كتب الثعالبي نفسه) اكثر من ثقته بالديوان فإن من حقنا ان نسأل عن سبب عدم اثباته عنوان (شعر الثعالبي) بين مصادره ثم نسأل لم لم يثبت المستدرك الذي نشرته على نشرة الحلو بعنوان (المستدرك على شعر الثعالبي) في مجلة المورد المجلد

٨ الجزء ٣) وهو العنوان الذي اثبته محققا التوفيق للتلفيق مع عنوان شعر الثعالبي صنعة عبد الفتاح الحلو ، وان كان محققا التوفيق للتلفيق قد ذكرا نشرة الحلو ومستدركي عليها فقط فهما صادقان دقيقان ولكن الذي حدث بعد صدور كتاب التوفيق للتلفيق انني نشرت ديوان الثعالبي نشرة مستقلة صدرت عن عالم الكتب ببيروت سنة ١٩٨٨ ثم نشرته منقحاً ومزيداً في دار الشؤون الثقافية ببغداد سنة ١٩٩٠ افما كان الاجدر بكتاب لطائف الظرفاء الذي صدر سنة ١٩٩٩ ان يرجع الى احدى النشرتين

اللتين تضمنت مقدمتاهما دراسة اثبتت فساد نشرة الحلو لاعتمادها منهجاً في الجمع لاوجه علمياً له ؟ ومما يؤكد ان المحقق الفاضل كان ينقل الاشعار احياناً من مراجع محققة للثعالبي روايته بيتين للثعالبي هما قوله :

اكـــرم بكـــرم اذا اسلفت مغـــرســـه ... المـــاء القراح قضـــاك الـــراح في العنب

وظـــل يثمـــر في ظـــل العـــريش لنـــا ... ام الســـرور وظـــرف اللهـــو واللعب

ولم يخرج البيتين[9] والبيتان مما لم يردا في نشرة الحلو ولا المستدرك ولكن مقدمة التوفيق للتلفيق تضمنتها وخرجتهما من مخطوطة روح الروح الورقة ١١٥[10] وهي مخطوطة في خزانة الاستاذ هلال ناجي فهي ملك شخصي يبدو ان المحقق لم يصل اليه ولم يجد وجهاً لذكره في تخريج النص .

يبقى الامر الذي سنقف عنده طويلاً وهو مبحث المحقق الذي سماه (المصنفات المطبوعة والمخطوطة) وسنبدأ باستعراض اسماء الكتب التي وردت في المبحثين بعد ان نشير الى بعض الحقائق التاريخية بشأن كتب الثعالبي .

لقد عني عدد من القدماء بتقديم قوائم بكتب الثعالبي وكانت اول قائمة مطولة هي قائمة الكلاعي في كتابه احكام صنعة الكلام ثم قائمة الصفدي في الوافي بالوفيات ثم قائمة ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين ثم اهتم عدد من المحدثين بتجميع قوائم القدماء وتقديم قوائم جديدة منها قائمة دائرة المعارف الاسلامية التي كتب بروكلمان مادة (ثعالبي) فيها ، وقائمة حاجي خليفة في كشف الظنون وقائمة البغدادي في هدية العارفين وقائمة جرجي زيدان في تاريخ اداب اللغة العربية وقائمة الزركلي في الاعلام ، ثم درج بعض محققي كتب الثعالبي على تقديم قوائم بكتبه ومنها قائمة احمد عبيد في مقدمة سحر البلاغة وقائمة ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي في مقدمة لطائف المعارف وقائمة عبد الفتاح الحلو في مقدمة التمثيل والمحاضرة[11] ومن مجموع هذه القوائم ومن خلال دراسة متأنية خرجت بقائمة اودعتها كتابي الثعالبي ناقداً واديباً ذكرت فيها خمسة وتسعين عنواناً فضلاً عن احد عشر عنواناً لكتب نسبت اليه وعرضت تحت اسم كل كتاب من المجموعتين الاولى والثانية حقائق تتعلق بكونه مطبوعاً او مخطوطاً او مفقوداً او منحولاً له ثم عرضت ملخصاً لفكرة الكتاب او مادته واسم من اهدي اليه فضلاً عن تصحيح اوهام كثيرة وقع فيها قدماء او محدثون بشأن عدد من كتبه[12] .

وبعد صدور قائمتي بست سنوات اصدر الاستاذ هلال ناجي تحقيقه لكتاب الانيس في غرر التجنيس للثعالبي سنة ١٩٨٢

وضمن مقدمته قائمة تضمنت اسماء مائة وتسعة كتب اوجز الحديث فيها عن كل كتاب من هذه الكتب وهي قائمة علمية دقيقة اشارت الى مصادرها بامانة عالية[١٣] ثم اصدر الاستاذ هلال ناجي والدكتور زهير زاهد كتاب التوفيق للتلفيق للثعالبي واعادا ادراج قائمة كتب الثعالبي في مقدمتهما فذكرا مائة واربعة كتب بعد ان تحققا من تداخل اسماء بعض الكتب واضافا اسماء جديدة لا سيما ما انفرد بامتلاكه المحقق الفاضل هلال ناجي[١٤] ثم اصدرت قائمتي الجديدة لكتب الثعالبي ونشرتها في كتابي دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث كنت قد نشرت صيغتها غير المنقحة في مجلة معهد البحوث والدراسات في بغداد سنة ١٩٨٣ م وضمت القائمة المنقحة مائة وستين عنواناً ذكرت ان ستة عنوانات منها ليست للثعالبي وانما لعلماء اخرين حققت اسماءهم وان ستة عنوانات اخرى ليست للثعالبي لم اهتد الى اسماء مؤلفيها وان ثلاثة وعشرين عنواناً هي عنوانات مكررة بصيغة اخرى لكتب هي للثعالبي ولكن بعنوان اخر وهكذا اخرجت من القائمة اربعين عنواناً مكرراً فكان مجموع ما اخرجته اثنين وخمسين عنواناً وبقي مما صح لدي انه للثعالبي مائة وثمانية كتب منها ثمانية وعشرون كتاباً مطبوعاً (حتى تاريخ صدور القائمة) واثنان وثلاثون كتاباً مخطوطاً وثمانية واربعون كتاباً مفقوداً[١٥] .

وبعد كل هذا التراث من قوائم كتب الثعالبي كان المتوقع من محقق كتاب للثعالبي يصدره سنة ١٩٩٩ امراً من امرين . اما ان يعرض عن تقديم قائمة جديدة ويكتفي بالاشارة الى القوائم القديمة واما ان يقدم قائمة يذكر فيها جديداً او يصحح وهماً او يزيل لبساً . بيد ان الذي حدث هو انه خبط خبط عشواء فيما نقله من القوائم لا سيما قائمة محققي كتاب التوفيق والتلفيق فوقع في اخطاء واوهام لا حصر لها وسأتابع اسماء الكتب بالتسلسل الذي اتبعه مشيراً الى المآخذ على بعض ما دونه تحت اسماء عدد من الكتب ثم اعرض النقص الذي اعتور قائمته والخص ملاحظاتي فيما بعد وسأبدأ باسماء الكتب التي لدي ملاحظات عنها من المصنفات المطبوعة والمخطوطة :

١ ـ يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر : قال المحقق (طبع في دمشق ومن ثم في مصر كما طبع في جزءين بمطبعة فردين في طهران تحقيق عباس اقبال) والمعروف ان اليتيمة طبعت في دمشق سنة ١٣٠٤ هـ وطبعت بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد في مصر عدة طبعات اما المطبوع بجزأين بمطبعة فردين في طهران بتحقيق عباس اقبال فهو (تتمة اليتيمة) وهو من الكتب التي لم يذكرها المحقق في قائمته ـ وتلك حقيقة متداولة معروفة لا ينبغي لها ان تخفى على من يتصدى لتحقيق كتاب للثعالبي .

٢ ـ فقه اللغة وسر العربية : قال المحقق (واول طبعة له كانت في بيروت ١٨٨٥ م واجود طبعاته بتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري مصر ١٩٢٨ م) ويبدو انه تصرف قليلاً ثم نقل ما ورد في مقدمة التوفيق للتلفيق نصاً وهو قول المحققين (فقه اللغة وسر العربية : اجود طبعاته بتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري بمصر سنة ١٩٣٨ م)[١٦] فاذا اعرضنا عن هذا النقل الحرفي فان الحقيقة هي ان كتاب فقه اللغة طبع عدة طبعات هي طبعة الكونت رشيد الدحداح بباريس سنة ١٨٦١ ، وطبعة حجرية بمصر سنة ١٢٨٤ هـ وطبعة مصرية اخرى غير محققة سنة ١٨٨٠ م وطبعة مصرية ثالثة سنة ١٣٣٨ هـ وباعتناء لويس شيخو ببيروت سنة ١٨٨٥ م وبتحقيق محمد بدر الدين النعساني بمصر سنة ١٩٠٧ م وطبعة مصرية غير محققة سنة ١٩٣٦ م وبتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري بمصر سنة ١٩٣٨ م[١٧] فضلاً عن ان عدداً من هذه الطبعات اعيد طبعها غير مرة .

٣ ـ الاعجاز والايجاز قال المحقق (عني بنشره اسكندر اصاف في مصر ١٨٩٧ م وأعيد طبعه في بيروت ودار البيان طبع نشرة اصاف [كذا] ويبدو ان تداخلاً حدث بين كلام المحقق وما نقله من التوفيق للتلفيق فقد ورد في التوفيق للتلفيق (طبع بعنوان الايجاز والاعجاز ضمن كتاب (خمس رسائل) المطبوع بالاستانة سنة ١٣٠١ هـ وطبعه اسكندر اصاف في مصر سنة ١٨٩٧ . واعادت دار صعب في بيروت ودار البيان طبع نشرة اصاف بالاوفسيت في بيروت دون ذكر السنة[١٨] فقد نقل المحقق الشطر الاخير فقط ومزجه بكلامه فجاءت العبارة المضطربة التي ذكرناها له .

٤ ـ خاص الخاص قال المحقق (طبع في مصر سنة ١٣٢٦ هـ مطبعة السعادة وطبعته دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦٦ م) . ويبدو انه اسقط مما نقله من التوفيق للتلفيق الطبعة التونسية الصادرة سنة ١٢٩٣ هـ[١٩] .

٥ ـ نثر النظم وحل العقد قال المحقق (طبع في مصر وطبع في بيروت دار الرائد العربي ١٤٠٣ هـ [كذا] / ١٩٨٣ م) واعترف انني لم اطلع على طبعة دار الرائد العربي ولكن المحقق لم يذكر تاريخ طبعة مصر ، وكان محققا التوفيق للتلفيق قد ذكرا انه طبع بدمشق وعلى هامشه الفرائد والقلائد سنة ١٣٠١ هـ وطبع بمصر سنة ١٣١٧ هـ[٢٠] وكنت قد ذكرت ان طبعة دمشق التي بهامشها الفرائد والقلائد صدرت سنة ١٣٠٠ هـ واعيدت سنة ١٣٠١ هـ[٢١] .

٦ ـ مكارم الاخلاق قال المحقق (طبع في بيروت ومنه نسخة مخطوطة في ليدن) وكان محققا التوفيق للتلفيق قد ادرجا اسم

هذا الكتاب ضمن مؤلفات الثعالبي المخطوطة وذكرا نسخة ليدن وذكرا ان الدكتور قاسم السامرائي وعد بنشرها محققة[٢٢] وكنت قلت في حديثي عن الكتاب (لم يرد هذا الاسم في اية من قوائم القدامى بيد ان الدكتور قاسم السامرائي اشار الى وجود مخطوطة بهذا العنوان في لايدن رقمها ٣٠٠ غير منسوبة استطاع ان يستقري مضمونها ليخرج باكثر من دليل على انها للثعالبي واشار الى انه بصدد تحقيقها ونشرها . وقد نشر الاب لويس شيخو كتاباً عنوانه (مكارم الاخلاق) ونسبه الى الثعالبي في مجلة المشرق البيروتية سنة ١٩٠٠ م معتمداً على نسخة مخطوطة في المكتبة الشرقية ببيروت فدرج المحدثون على الاشارة الى هذا الكتاب ، ونسبته الى الثعالبي وقد قمت بدراسة دقيقة فخرجت بنتيجة حاسمة وهي انه لا يخرج عن ان يكون منتخبات من كتاب الفرائد والقلائد[٢٣] وسنرى عند حديثنا عن كتاب الفرائد والقلائد انه ليس للثعالبي اصلًا وعلى هذا فان (مكارم الاخلاق) الذي طبعه لويس شيخو ليس للثعالبي وذلك ما كان ينبغي للمحقق ان يتنبه عليه فلا يدرج اسم الكتاب في قائمته او يكتفي بالاشارة الى مخطوطة لايدن كما فعل محققا التوفيق للتلفيق .

٧ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب قال المحقق (وهو من الكتب المطبوعة نشره محمد ابو الفضل ابراهيم في القاهرة ١٩٦٥ م) وكان محققا التوفيق للتلفيق قالا (نشره محمد ابو الفضل ابراهيم في القاهرة سنة ١٩٦٥ م وكان قد نشره اولًا ابو شادي بمطبعة الظاهر سنة ١٣٢٦ هـ)[٢٤] وكنت قلت في حديثي عن الكتاب (طبعت مقدمة الكتاب مع الفصل الرابع منه فقط في مجلة المشرق ببيروت العدد ١٢ سنة ١٩٠٠ م ثم طبع كاملًا بتحقيق محمد ابو شادي بمطبعة الظاهر سنة ١٣٢٦ هـ وطبع طبعة اخرى بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم بمصر سنة ١٩٦٥ م)[٢٥] .

٨ ـ شمس الادب في استعمال العرب : قال المحقق (جزءان الاول في اسرار اللغة والثاني في مجاري الفاضها [كذا] ورسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها ـ ويسمى ايضاً سر الادب) لم يذكر مخطوطة ولا طبعة للكتاب فكان الاحرى ان يضعه ـ والحال هذه ـ ضمن الكتب المفقودة والحقيقة ان محققي التوفيق للتلفيق لم يذكرا هذا الاسم في قائمتهما وكنت ذكرت الاسم في قائمتي وكتبت ما نصه (شمس الادب ـ مخطوط في المكتبة الخديوية مخطوطة رقمها ٤١٩٢ بهذا العنوان هي القسم الثاني من كتاب « فقه اللغة » وقد ذكر بروكلمان عدة مخطوطات بهذا العنوان منسوبة الى الثعالبي في مكتبات العالم)[٢٦]

٩ ـ الكناية والتعريض قال المحقق (طبع بمصر بمطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ) ثم عاد فذكر في قائمته كتاباً اخر عنوانه (النهاية في الكناية) وكأنه كتاب اخر قال عنه (وقد طبعت منتخبات منه في الاستانة اعادت دار صعب ودار البيان نشرها) والحقيقة ان الاسمين هما لكتاب واحد ولهذا فإن محققي التوفيق للتلفيق جمعاهما فقالا (الكناية والتعريض ـ النهاية في الكناية ، طبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ مع كتاب المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء للجرجاني وهي طبعة اعادت دار صعب ودار البيان نشرها بالاوفسيت ضمن كتاب (رسائل الثعالبي)[٢٧] وكنت قلت عن الكتاب (وقد طبع بعنوان « الكناية والتعريض » بمصر سنة ١٣٢٦ هـ واعيد نشر هذه الطبعة بالاوفسيت ضمن مجموع « رسائل الثعالبي » ببغداد سنة ١٩٧١ م وطبع بعنوان (النهاية في الكناية) بمكة سنة ١٣٠١ هـ وطبعت منتخبات منه بالعنوان نفسه بالقسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ ضمن مجموعة (اربع رسائل)[٢٨] ويبدو ان الامر اختلط على محقق لطائف الظرفاء حين ذكر ان طبعة الاوفسيت هي عن طبعة منتخبات (اربع رسائل) مع انها طبعة مصر ١٣٢٦ هـ .

١٠ ـ اجناس التجنيس قال المحقق (نشره د . ابراهيم السامرائي بعنوان المتشابه في مجلة كلية الاداب العدد العاشر نيسان ١٩٦٧) ثم عاد وذكر في موضع اخر اسم (المتشابه) تحت رقم اخر في قائمته وقال عنه (تحقيق د . ابراهيم السامرائي مجلة الاداب العدد العاشر ١٩٦٧ م) وهذا عجب من العجب فان كان الكتاب منشوراً باسم (المتشابه) فما معنى ذكره مرتين واعادة اسم المحقق واسم المجلة والسنة نفسها ؟ الم يكن الصواب ان يضع تحت اسم (المتشابه) معلومته عن المحقق واسم المجلة والسنة ثم يشير الى ان له اسماً اخر هو (اجناس التجنيس) ثم يشير الى من سماه هذا الاسم ومن سماه ذاك الاسم ؟ لقد احسن محققا التوفيق للتلفيق حين كتبا ما نصه (اجناس التجنيس ـ المتشابه لفظاً وخطاً نشره ببغداد الدكتور ابراهيم السامرائي بعنوان المتشابه في العدد العاشر من مجلة كلية الاداب سنة ١٩٦٧ م)[٢٩] وكنت قد ذكرت في حديثي عن الكتاب ان عدداً من مخطوطاته جاءت تحت عنوان (اجناس التجنيس) وان عدداً اخر منها جاء تحت عنوان (المتشابه) وان الاسمين وردا في قوائم عدد من القدماء والمحدثين على انهما لكتابين مختلفين وان الدكتور ابراهيم السامرائي نشر الكتاب في مجلة كلية الاداب سنة ١٩٦٧ م[٣٠] على انني اعدت نشر الكتاب بعنوان (اجناس التجنيس) موضحاً في مقدمته اسباب اعتماد التسمية ومكملًا نشرة الدكتور السامرائي التي اتضح انها استقيت من مخطوطة ناقصة نقصاً شديداً عن الاصل وطبع الكتاب في بيروت ـ عالم الكتب ـ سنة ١٩٩٧ م ثم طبع طبعة اخرى في بغداد ـ دار الشؤون الثقافية ـ سنة ١٩٩٨ م وكان حرياً بمحقق لطائف الظرفاء ان يلم بهاتين الطبعتين قبل اصدار الكتاب سنة ١٩٩٩ م .

١١ ـ سحر البلاغة قال المحقق (طبعت منه منتخبات في اربع رسائل وطبع بتحقيق احمد عبيد طبعة غير مؤرخة) وهي عبارة غلب عليها سوء النقل فحققا التوفيق للتلفيق لم يذكرا الا طبعة احمد عبيد الدمشقية وكنت قلت في حديثي عن الكتاب (طبعت منتخبات من الكتاب بعنوان (سحر البلاغة) في القسطنطينية ضمن مجموعة (اربع رسائل) سنة ١٣٠٢ هـ وطبع الكتاب كاملاً بعنوان (سحر البلاغة وسر البراعة) بتحقيق احمد عبيد بدمشق طبعة غير مؤرخة)[٣١] ويبدو ان محقق لطائف الظرفاء لم يدقق في النقل او ان الطباعة اساءت الى ما كتبه .

١٢ ـ غرر البلاغة وطرف البراعة قال المحقق (مخطوطة في مكتبة برلين) ولم يزد على ذلك شيئاً وكان محققا التوفيق للتلفيق ذكرا الاسم وذكرا قبله مباشرة كتاباً بعنوان (غرر البلاغة ودرر الفصاحة)الذي اشارا الى مخطوطة منه في مكتبة بشير اغا ايوب رقمها ١٥٠ اما هذا العنوان فقد اشارا الى مخطوطاته في برلين ٨٣٤١ وكوبريللي ١٢٩٠ والمتحف البريطاني ٧٧٥٨ وبطرسبورغ ٦٩٩ وفيض الله ١٦٧٦ والفاتح ٥٤٣٢ ـ ٣[٣٢] وكنت ذكرت الاسمين معاً فاشرت الى ان من الاول مخطوطة في مكتبة بشير اغا ايوب وان الدكتور قاسم السامرائي ذكر مخطوطة اخرى منه نقلاً عن بروكلمان اما العنوان الاخر فقد اشرت الى المخطوطات التي اشار اليها محققا التوفيق التلفيق نفسها ثم ذكرت ان في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد نسخة مخطوطة بهذا العنوان درسها الدكتور رزوق فرج رزوق واثبت انها كتاب الايجاز والاعجاز نفسه[٣٣] فاين هذا كله مما ذكره محقق لطائف الظرفاء ؟

١٣ ـ اللطف واللطائف قال المحقق (منه نسخة في دار الكتب المصرية وطبع سنة ١٢٧٥ هـ وطبع في بغداد ١٢٨٣ هـ) والذي اظنه ان الامر اختلط عليه فالكتاب الذي طبع بمصر سنة ١٢٧٥ هـ وفي بغداد سنة ١٢٨٣ هـ هو الطرائف واللطائف فضلاً عن طبعات اخرى كما ذكر محققا التوفيق للتلفيق وكما ذكرت في قائمتي[٣٤] اما كتاب اللطف واللطائف فقد ذكره محققا التوفيق للتلفيق على انه كتاب مخطوط وذكرا مخطوطاته وذكرته انا ايضاً على انه كتاب مخطوط في قائمتي في كتاب الثعالبي ناقداً واديباً[٣٥] ولكنني اشرت في قائمتي اللاحقة انني حققته ودفعته للنشر وكانت تلك اولى طبعاته فقد طبع في الكويت في دار العروبة سنة ١٩٨٤ م ثم اعيد طبعه في بيروت في عالم الكتب سنة ١٩٩٧ م وهما طبعتان سابقتان على صدور كتاب لطائف الظرفاء سنة ١٩٩٩ م ولكن المحقق لم يتنبه على هذا كله .

١٤ ـ من غاب عنه المطرب قال المحقق (وهو من الكتب المطبوعة ببيروت ١٣٠٩ هـ طبعه محمد بن سليم اللبابيدي) وكان محققا التوفيق للتلفيق ذكرا هذه الطبعة ولكنهما ذكرا معها طبعة القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ ضمن مجموعة التحفة البهية وكنت قد اشرت الى الطبعتين ايضاً[٣٦] وقد طبع الكتاب بتحقيق د . النبوي شعلان ١٩٨٤ م في مصر ثم طبع في بيروت بتحقيق الدكتور يونس السامرائي ١٩٨٧ م اي قبل صدور كتاب لطائف الظرفاء باكثر من عشر سنوات ولكن المحقق لم يعن بمتابعة هذه الحقائق واكتفى بنقل نصف ما ثبته محققا التوفيق للتلفيق .

١٥ ـ تحفة الوزراء وفاكهة اللطفاء،قال المحقق (نسخة في مكتبة غوطا وعارف حكمت ١٥٤) وقد ذكر محققا التوفيق للتلفيق مخطوطة مكتبة عارف حكمت ١٥٤ وذكرتها انا ايضاً[٣٧] ولكننا ذكرناها لكتاب اسمه (تحفة الظرفاء وفاكهة اللطفاء) وليس تحفة الوزراء اما تحفة الوزراء فقد نشرته الدكتورة ابتسام الصفار وحبيب الراوي ببغداد سنة ١٩٧٧ م وهي نشرة ذكر الاستاذ هلال ناجي ان اضافات كثيرة متاخرة لحقت المخطوط منها وذكرت انا ان المحققين اعتمدا على اربع نسخ خطية وفاتهم الاطلاع على نسخة بمكتبة الجامعة المركزية رقمها (أ.ج ١٤٢) مصورة عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس المرقمة (٤٨٢)[٣٨] بقي ان اشير الى ان محقق لطائف الظرفاء لم يذكر في قائمته كتاب (تحفة الوزراء) فكان وهمه في ذكر اسم (تحفة الظرفاء) باسم (تحفة الوزراء) اغناه عن ذكر (تحفة الوزراء) الحقيقي .

١٦ ـ كنز الكتاب،قال المحقق (نسخة منه في المكتبة بمصر وفيينا والاستانة) والحقيقة ان احداً من القدماء لم يذكر عنوان هذا الكتاب ولم يشر احد الى مخطوطة منه من المحدثين عدا الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو الذي ذكر في قائمته في مقدمة تحقيقه كتاب التمثيل والمحاضرة ما نصه (كنز الكتاب ، مخطوط بدار الكتب)[٣٩] لم يذكر رقم المخطوط ولهذا فانني لم اذكره ضمن كتب الثعالبي في كتابي (الثعالبي ناقداً واديباً) ولا في كتابي دراسات توثيقية وتحقيقية وقد ذكره الاستاذ هلال ناجي في مقدمة تحقيقه لكتاب الانيس في غرر التجنيس ضمن مآخذه على قائمة محمد عبد الفتاح الحلو فقال (كتاب كنز الكتاب هو نفسه كتاب المنتحل المطبوع فليس صواباً افراد عنوانين له[٤٠] ثم ذكره ضمن مآخذه على مقدمة كتاب تحفة الوزراء مشيراً الى الوهم نفسه[٤١] .

ولكن محقق لطائف الظرفاء تجاوز هذا كله واصر على ذكر اسم الكتاب وسرد مواضع مخطوطاته من دون ذكر ارقام وهي مخطوطات لم يذكرها احد فلعل الامر قائم على وهم خفي .

١٧ ـ احسن ما سمع،قال المحقق (نسخة منه بالاستانة وكوبرلي طبعه محمد صادق عنبر في مصر ١٣٢٤ هـ) والحقيقة ان عنوان (احسن ما سمع) لم يرد الا في قائمة جرجي زيدان الذي ورد في قائمته اسم كتاب (احسن ما سمعت) على انه كتاب اخر ، والحقيقة ان اسم الكتاب هو (احسن ما سمعت)

وهو الاسم الذي تداوله القدماء والمحدثون وبهذا العنوان طبعه محمد صادق عنبر في مصر سنة ١٣٢٤ هـ وليس باسم احسن ما سمع .

١٨ - المبهج قال المحقق (طبع بمطبعة النجاح بمصر ١٩٠٤ م) وهذا نص ما ورد في التلفيق للتلفيق وكنت ذكرت عند حديثي عن الكتاب ان منتخبات منه طبعت في القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ ضمن (اربع رسائل)[٤٢] .

١٩ - احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء قال المحقق (طبع بعضه في ليدن) والحقيقة ان الذين نسبوا هذا الكتاب للثعالبي هم جرجي زيدان ومحققا لطائف المعارف ومحقق شاهنامة ثعالبي[٤٣] وكنت قد درست نسبة الكتاب وقلت (وقد اختصر الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ كتاب الايجاز والاعجاز وسمى المختصر (احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام .... وقد طبع مختصر الرازي هذا في لندن سنة ١٨٤٤ م مع ترجمة لاتينية للمسيو فالتون)[٤٤] .

٢٠ - كتاب الشكوى والعتاب قال المحقق (نسخة خطية في دار الكتب المصرية) ولم يزد على ذلك شيئاً والحقيقة ان اول من نسب كتاباً بهذا العنوان الى الثعالبي هو جرجي زيدان الذي اشار الى نسخة دار الكتب المصرية من دون ان يذكر رقمها ، وذكره الاستاذ هلال ناجي في مقدمة تحقيقه الانيس في غرر التجنيس وذكر مخطوطة القاهرة ثان ٣ / ١٣٦[٤٤] وكنت تناولت الكتاب الذي اطلعت على مخطوطته التي صورتها من دار الكتب المصرية عن المخطوطة (١٦٧٣ ادب) فرجحت انه ليس للثعالبي بأدلة داخلية موثقة[٤٥] .

٢١ - ما جرى بين المتنبي وسيف الدولة،لم يزد المحقق على قوله (مطبوع) كلمة واحدة . ولم يذكر احد من القدماء والمحدثين هذا الاسم سوى انني ذكرته في قائمتي فقلت (ذكر ادورد فنديك انه طبع فيليبسك سنة ١٨٤٧ م[٤٦]وكان بوسع محقق لطائف الظرفاء ان يذكر ذلك مشيراً الى مصدره ولكن يبدو انه ظل يتجنب الاشارة الى (الثعالبي ناقداً واديباً) لعلة عجزت عن ادراكها .

٢٢ - الفرائد والقلائد، قال المحقق (طبع بمصر ١٣٢٨) والحقيقة ان عدداً من القدماء نسبوا كتاباً بهذا الاسم الى الثعالبي ذكرتهم في كتابي الثعالبي ناقداً واديباً ثم ذكرت اماكن وجود مخطوطات الكتاب ثم قلت (وقد طبع الكتاب بعنوان (الفرائد والقلائد) منسوباً الى الثعالبي على هامش نثر النظم في القاهرة سنة ١٣٠١ هـ وطبع منفرداً بعنوان (الامثال) منسوباً الى الثعالبي في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ وطبع بعنوان (احاسن المحاسن) منسوباً الى علي بن الحسين بن الحسن الرخجي في مجموعة (خمس رسائل) بالقسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ) ثم تابعت مادة الكتاب بالتدقيق والمقارنة وعرضت ثلاثة وعشرين قولًا وردت في الفرائد والقلائد في طبعاته المختلفة التي ذكرتها وجدتها باعيانها مما رواه الثعالبي في سحر البلاغة بعد قوله (ما اخرج من كلام ابي الحسين محمد بن الحسين الاهوازي في كتابه الفرائد والقلائد) فكان ذلك دليلًا قاطعاً على ان كل الطبعات المذكورة هي ليست للثعالبي[٤٧] وعلى هذا الذي خرجت به بنى الاستاذ هلال ناجي رفضه نسبة الكتاب للثعالبي في مقدمة الانيس في غرر التجنيس ومقدمة التوفيق للتلفيق ، وقال أن المطبوع للاهوازي وان القدماء ذكروا كتاباً بهذا الاسم للثعالبي ولكنه غير هذا المطبوع[٤٨] .

٢٣ - المؤنس الوحيد هكذا سماه المحقق وكتب بازائه (طبع منه مختارات وكمبرج الثالث ١٢٨٧) وكنت تناولت الكتاب بالدراسة في قائمتي في الثعالبي ناقداً واديباً فذكرت ان ابن خلكان وطاش كبري زادة وحاجي خليفة ذكروا كتاباً بهذا الاسم للثعالبي وان كتاباً طبع بهذا العنوان (مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد) في فيينا سنة ١٨٢٩ م بتحقيق غوستاف فليغل وان محرر مادة ثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية اشار الى ان هذا المطبوع ما هو الاقطعة من محاضرات الراغب الاصبهاني ثم ذكرت انني قارنت بين مؤنس الوحيد فوجدت ان مادته هي المادة المودعة في محاضرات الراغب في (باب القضاء) تبدأ بالحد الثاني وتنتهي بالحد الخامس[٤٩] وبهذا اكتفى الاستاذ هلال ناجي بذكر مخطوطة كمبرج الثالث ١٢٨٧ في مقدمة الانيس في غرر التجنيس وذكرها في مقدمة التوفيق للتلفيق مشيراً بعدها الى ان طبعة غوستاف فلوغل قطعة من محاضرات الادباء للراغب الاصبهاني[٥٠] .

٢٤ - لباب الادب قال المحقق (برلين OCT واسعد افندي ٢٨٧٩ ونسخة في مكتبة الاثار العامة بغداد وجامعة استانبول ١٩٠٠ م) وهذا كلام منقول نصاً من التوفيق للتلفيق عدا عن ان الرقم الاخير لمخطوطة جامعة استانبول كان في التوفيق للتلفيق (٦٩٠٠)[٥١] فجعله محقق لطائف الظرفاء تاريخاً ميلادياً .

وكنت ذكرت في قائمتي عنوان (لباب الاداب) واشرت الى ان في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب بجامعة بغداد مخطوطة بهذا العنوان تأكدت بعد دراستها انها منتخبات من كتاب سحر البلاغة وان الدكتور قاسم السامرائي اشار الى مخطوطة بهذا العنوان نقلًا عن بروكلمان ثم ذكرت عنواناً اخر هو (لباب الادب) ذكرت مخطوطته في مكتبة السليمانية المرقمة (٢٨٧٩) واعربت عن شكي في ان تكون هي نفسها (لباب الاداب) لتقارب العنوانين[٥٢] ولكن محقق لطائف الظرفاء اعرض عن هذا كله ونقل ما ورد في التوفيق للتلفيق نصاً .

٢٥ - الظرائف واللطائف قال المحقق (دمج ابو نصر المقدسي

هذا الكتاب مع كتاب اليواقيت والمواقيت وسمي المجموع اللطائف والظرائف وبالعنوان الاخير طبع بمصر سنة ١٣٠٧ وطبع ببغداد ١٢٨٢ هـ) وهذا كلام منقول نصاً عن التوفيق للتلفيق عدا عن ان محققي التوفيق للتلفيق ذكرا طبعتين مصريتين اخريين هما طبعة سنة ١٢٩٦ هـ و ١٣٠٧ هـ[٥٣] وكنت قد ذكرت هذه الطبعات كلها وبتسلسلها التاريخي في حديثي عن الكتاب[٥٤] .

٢٦ ـ الاداب ، اداب الملوك ، الامثال والنظائر ، الافعال ، الانوار في ايات النبي ، ترجمة الكاتب في ادب الصاحب ، خصائص البلدان ، زاد سفر الملوك ، سجع المنثور ، سر البلاغة ، ملح البراعة ، سحر البيان ، نقل المحقق اسماء هذه الكتب بهذا التسلسل وكتب بازاء كل منها مواضع وجود مخطوطاتها وارقامها ناقلاً ذلك كله بتسلسله نقلاً حرفياً من التوفيق للتلفيق[٥٥] عدا انه اسقط اسم (التوفيق للتلفيق) من التسلسل وقدم واخر في الاسماء الثلاثة الاخيرة .

٢٧ ـ العشرة المختارة ، قراضة الذهب ومدن الادب ، محاسن الادب ، معرفة الرتب فيما ورد من كلام العرب ، مواسم العمر ، نتائج المذاكرة ، نزهة الالباب وعمدة الكتاب ، تفضيل الشعر . نقل المحقق اسماء هذه الكتب والمعلومات المتعلقة بمخطوطاتها نقلاً حرفياً من التوفيق للتلفيق ولكنه اختارها من مجموعة متسلسلة اخذ منها وترك فبين هذه الاسماء يرد في التوفيق للتلفيق (غرر البلاغة ودرر الفصاحة ـ الغلمان ـ لباب الاداب اللطف واللطائف ـ مكارم الاخلاق ـ المهذب من اختيار ديوان أبي الطيب ـ مؤنس الوحيد)[٥٦] وواضح ان هذه الاسماء كلها مما ذكره محقق لطائف الظرفاء في مواضع سابقة ونقل معلوماته من التوفيق التلفيق حرفياً عدا كتاب (المهذب من اختيار ديوان ابي الطيب) وبهذا تأكد لي انه لم يزد على نقل اسماء الكتب المطبوعة والمخطوطة من قائمة محققي التوفيق للتلفيق بتسلسلها حيناً وبتقديم وتقديم حيناً اخر .

اما الكتب المفقودة للثعالبي فقد نقل محقق لطائف الظرفاء قائمة محققي التوفيق للتلفيق كما هي ونقل ما دوناه بازاء اسم كل كتاب نقلاً حرفياً ولم يسقط الا اسم كتاب (الفرائد والقلائد) الذي كان قد ذكره ضمن الكتب المطبوعة وعده محققا التوفيق للتلفيق مفقوداً وذكرا بازائه ان المطبوع بهذا العنوان ليس للثعالبي[٥٧] اما اسماء سائر الكتب المفقودة والمعلومات المدونة بازائها فهي نقل حرفي لا يسلم من ذلك حتى الخطأ الطباعي .

والذي لابد من تسجيله بعد هذه الجولة في قائمة محقق لطائف الظرفاء ان هذه القائمة منقولة نقلاً شبه حرفي من قائمة محققي التوفيق للتلفيق وبهذا فانها خلت من الاحالات والهوامش فضلاً عن انها خلت من اية معلومات عن الكتب التي ذكرتها تشير الى مادتها او منهجها لا سيما الكتب المطبوعة والمخطوطة (وذلك ما حفلت به قوائم المحدثين) فضلاً عن ان قائمة محقق لطائف الظرفاء ذكرت بعض طبعات عدد من الكتب واغفلت ذكر طبعات اخرى وانها ربما ذكرت عنواناً مستقلاً هو اسم اخر لكتاب ورد ذكره انفاً كذكرها (شمس الادب) وهو اسم اخر لكتاب فقه اللغة وذكرها (النهاية في الكناية) وهو اسم اخر للكناية والتعريض وذكرها (المتشابه) وهو اسم اخر لاجناس التجنيس ، ووقوعها في خطأ ذكر معلومات عن كتاب هي معلومات عن كتاب اخر كالخلط الذي حدث في المعلومات عن كتابي اللطف واللطائف والظرائف واللطائف وتحريفها اسماء بعض الكتب كذكر احسن ماسمع وصوابه احسن ما سمعت وذكرها المؤنس الوحيد وصوابه مؤنس الوحيد ونسبتها كتباً للثعالبي اثبتت دراسات سابقة انها ليست له مثل كتاب (احاسن كلام النبي) .

ما قيمة قائمة لطائف الظرفاء بعد هذا العدد من القوائم التي اجهد اصحابهـا انفسهم وتابعـوا المطبوع والمخطـوط في مظانـه وتـابعـوا اسمـاء المفقـود في المصـادر حتى خرجوا بقوائمهم لا سيما الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو في مقدمة تحقيقه لكتاب التمثيل والمحاضرة والاستاذان ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي في مقدمة تحقيقهما لكتاب لطائف المعارف ، ثم تبقى القائمة التي ادرجتها في كتابي الثعالبي ناقداً واديباً التي قال عنها الاستاذ هلال ناجي (وتعد قائمة الدكتور محمود عبد الله الجادر التي اثبتها في كتابه (الثعالبي ناقداً واديباً) وتضم خمسة وتسعين كتاباً أوفى القوائم واشملها وأدقها واكملها وقد امتازت على غيرها بدراسة عدد ضخم من مصنفات الثعالبي او المنسوبة له ـ مخطوطة ومطبوعة ـ قصد التوصل الى صحة نسبتها هذا بالاضافة لعملية مسح واسع لفهارس المخطوطات العربية من دور الكتب عبر العالم وليس هنا مجال حصر النتائج الرائعة التي توصل اليها الباحث من خلال دراسته الرائدة لاثار الثعالبي)[٥٨] وتلك هي القائمة التي انتفع بها الاستاذ هلال ناجي في مقدمته لكتابي الانيس في غرر التجنيس والتوفيق للتلفيق بعد ان عدل بعض معلوماتها واضاف اليها ما وقع اليه من اسماء ومعلومات فكانت القائمتان منطلقاً لي لتقديم قائمتي الجديدة في كتابي دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث وهي قائمة قامت اصلاً على قائمة كتابي (الثعالبي ناقداً واديباً) وانتفعت كثيراً بقائمتي الاستاذ هلال ناجي ولم تصدر بعدها الا قائمة محقق لطائف الظرفاء الذي اعتمد على النقل المجرد من قائمة التوفيق للتلفيق معرضاً عما استجد بعدها وعما كان قبلها وكان نقله مضطرباً اساء الى قائمة التوفيق للتلفيق نفسها . والسؤال الذي نرى ان نساله اخيراً هو ما قيمة اصدار قائمة جديدة للثعالبي ان لم تتضمن جديداً يضاف او تعديلاً لوهم او تحقيقاً لما وقع فيه شك ؟ ان قائمة محقق لطائف الظرفاء لا قيمة علمية لها مطلقاً بل انها قد تسيء الى صاحبها لكثرة ما وقع فيها من اوهام واخطاء ولو انه اكتفى بالاشارة الى قائمة التوفيق للتلفيق او اية قائمة اخرى لا غنى

نفسه عن مطاعن ذكرناها ومطاعن لم نذكرها ولاحتفظ بهذه الصفحات العشر التي سودها بكلام لا قيمة له .

بقي ان نتناول المبحث الاخر من الفصل الاول وعنوانه (وصف النسخ المخطوطة) .

قال المحقق في بداية حديثه عن النسخ واصفاً كتاب لطائف الظرفاء (هذا الكتاب الذي لم ينشر بصورة علمية دقيقة) وهذا كلام موهم يحتمل ان يكون الكتاب مما لم ينشر قط ويحتمل ان يكون الكتاب قد نشر ولكن بصورة غير علمية . فان رجحنا الاحتمال الاول فالمحقق على وهم لان الكتاب قد نشر كما سبقت الاشارة الى ذلك نشرتين . وان رجحنا الاحتمال الثاني فالمحقق مقصر لانه لم يذكر النشرات غير العلمية ولم يوضح لم لم تكن (علمية) . اما المخطوطات فقد ذكر المحقق ثلاث مخطوطات اولاها مخطوطة مكتبة لايدن ذات الرقم ١٠٤٢ وهي المخطوطة التي صور جزءاً منها الدكتور قاسم السامرائي وقد وصفها المحقق وصفاً دقيقاً ينبىء عن اطلاعه عليها ، ولكنه قال في حديثه عنها (وهناك ثلاثة عناوين لهذه المخطوطة الاول هو (لطائف الصحابة والتابعين) وهذا العنوان لا نقره لانه يحمل عنوان الباب الاول في ثبت المحتويات وفي مطلع موضوع الكتاب وهذا الوهم تاثر به جرجي زيدان في كتابه تاريخ اداب اللغة العربية حين اشار الى طبع هذا الكتاب وفق عنوان الباب الاول من الكتاب)[٥٩] ويؤخذ على هذا الكلام العجيب امور هي :

١ - لم يذكر المحقق العنوانات الثلاثة المدونة على غلاف المخطوطة التي ادرج صورة غلافها في الصفحة ٧٠ من كتابه وفي الصورة تظهر العنوانات الثلاثة (كتاب لطائف الصحابة لابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري وفيه احاسن كلام النبي ﷺ والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء والعلماء وفيه الاجوبة المسكتة تاليف ابي اسحق ابراهيم بن ابي عون الكاتب) فالغالب على الظن ان المخطوطة هي مجموع خطي فيه ثلاثة كتب هي التي تحمل العنوانات المذكورة .

٢ - ان جرجي زيدان لم يذكر اسم (لطائف الصحابة والتابعين ...) ولكنه ذكر (احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين ...) وهو الكتاب الذي سبقت الاشارة الى انه مختصر الايجاز والاعجاز للامام فخر الدين الرازي .

٣ - ان تشابه عنوان فصل من الكتاب مع اسم كتاب اخر امر متوقع في كتب الثعالبي حتى ان عنوان (لطائف الظرفاء) نفسه هو عنوان الباب الرابع من كتاب (خاص الخاص) فلا قيمة لما ذكره محقق لطائف الظرفاء من تطابق عنوان الباب الاول من الكتاب مع عنوان كتاب اخر .

والمخطوطة الثانية التي ذكرها المحقق هي مصورة عن مخطوطة باريس المرقمة ٤٢٠١ وهي مخطوطة لم يصفها ولم يذكر عدد اوراقها ولكنه قال انها تطابق نسخة ليدن ثم لم يذكر شيئاً اخر سوى انها لا تحمل عنواناً وتبقى مخطوطة معهد شعوب اسيا التي وصفها ولم يذكر رقمها ولكنه ذكر انها المخطوطة الوحيدة التي تحمل عنوان (لطائف الظرفاء) والحقيقة انني لم اطلع على المخطوطة ولم اكن اطلعت عليها حين كتبت كتابي (الثعالبي ناقداً واديباً) ولكني كنت قد قرأت عنها ما كتب في فهرس المخطوطات العربية بمعهد شعوب اسيا وقرأت في الفهرس ملاحظة واضعه التي قال فيها ان لطائف الظرفاء هو نفسه اللطف واللطائف ومن هذا الخلط رجحت الظن بان (لطائف الظرفاء) الموجود في المعهد قد يكون فعلاً منتزعاً من خاص الخاص . وقد ثبت لي خطأ هذا الظن عندما حققت كتاب اللطف واللطائف واطلعت على تحقيق د . قاسم السامرائي ود . عمر الاسعد لكتاب لطائف الظرفاء ولكن محقق لطائف الظرفاء امسك بعبارتي في الثعالبي ناقداً واديباً وقال عنها في معرض ذكره لعبارات من مقدمة لطائف الظرفاء (وهذا يفند الظن والوهم الذي وقع فيه مؤلف كتاب الثعالبي ناقداً واديباً)[٦٠] وانا اعترف هنا ان ما سجلته في الثعالبي ناقداً واديباً كان ظناً خاطئاً نبهني عليه تحقيقي لكتاب اللطف واللطائف وتحقيق د . قاسم السامرائي قسماً من لطائف الظرفاء فلست ارد قول محقق لطائف الظرفاء ولكنني اتخذ عبارته هذه دليلاً على اطلاعه على قائمتي لكتب الثعالبي التي وصفها الاستاذ هلال ناجي بما سبق ان ذكرته فلم لم يجد فيها محقق لطائف الظرفاء ما يعدل به هذه الاخطاء الغريبة التي وقع فيها في قائمته المنقولة نقلاً وانما وجد فيها ما يرد به عليها فقط ؟

بقي أن اتحدث عن الفصل الثاني العجيب من فصول مقدمة محقق لطائف الظرفاء والذي جعل عنوانه (تسمية الكتاب واهميته النقدية) . ففي هذا الفصل تناول المحقق كلمات العنوان كلمة كلمة فكتب عن كلمة (لطائف) دلالتها المعجمية معتمداً على اللسان والتعريفات ومحيط المحيط وهذا امر لا باس به ثم تناول كلمة (الظرفاء) فصال وجال فتناول دلالتها المعجمية ثم راح يكتب بحوثاً عن الظرفاء واوصافهم فكتب صفحة واربعة اسطر عن صفاتهم العامة ثم نصف صفحة بعنوان (ومن صفاتهم في الاماكن العامة) ثم نصف صفحة في (ادابهم في الحمام) ثم نصف صفحة في ادابهم في الطريق) ثم ثلث صفحة في (مكملات مظهرهم) وهذا شان عجيب فما علاقة هذا كله بمن ذكرهم الثعالبي من (الظرفاء) في كتابه من اعلام السلف كابي بكر الصديق وعمر وعثمان والحسين والحسن ابني علي رضوان الله عليهم جميعاً فضلاً عمن سواهم من الصحابة والتابعين والملوك والوزراء ممن اورد لهم الثعالبي نصوصاً في كتابه ؟ ثم من اين اتى المحقق بهذه الصفات وهو لم يشر الى مصدر واحد في هوامش مباحثه الغريبة هذه ؟

وتبقى كلمتا (طبقات) و (الفضلاء) اللتان لم تسلما من هذا النهج في التفسير الاستطرادي الذي لا علاقة له بمادة الكتاب .

اما الفصل الثالث فقد جعل المحقق عنوانه (اهمية الكتاب العلمية) وجعل المبحث الاول فيه بعنوان (ثقافته في الكتاب) وكان ينبغي ان يكون (ثقافة المؤلف - او الثعالبي - في الكتاب) اما مادة المبحث فهي خليط غريب من الحديث عن اطلاع الثعالبي على كتب التراجم وقدرته على الاختيار ثم الحديث عن ثقافة المجتمع العربي الاسلامي ثم سرد احداث من سيرة الثعالبي ورحلاته ثم انتقال مفاجيء الى موقف الاسلام من مسالة طلب العلم والثقافة ثم سرد لاهم الكتب الادبية التي تعزى لكبار الكتاب ضمن كتب الادب رتبت اسماؤها ترتيباً عشوائياً سقط فيه التسلسل التاريخي او الموضوعي او اي تسلسل منطقي ثم حديث مضطرب متداخل ساغلب حسن الظن فاقول ان اضطرابه قد يكون من نتائج اضطراب الطباعة .

والذي اقف عنده هنا هو السؤال الاتي : ما القيمة الثقافية التي تسنح للثعالبي من تاليفه كتاباً في اختيار نصوص يسندها الى اصحابها ويوزعها على فصول بحسب مواضع اصحابها السياسية او الاجتماعية او المهنية مع ان هذه النصوص مما يدور باعيانه في عشرات من كتبه الاخرى التي استقى مادتها اصلاً من كتابه يتيمة الدهر؟ ان القيمة كل القيمة في المنهج الذي يتخذه الثعالبي في كل كتاب فيعيد ذكر النصوص لينتفع بها في هذا الكتاب بوجه وفي ذلك الكتاب بوجه اخر اما هذا الحديث الطويل عن ثقافة المجتمع العربي وحث الاسلام على العلم والثقافة فمما لا علاقة له بالكتاب ولا مادة الكتاب ولا صاحب الكتاب .

اما مبحث الجوانب التاريخية فيقوم على امر غريب وهو ملاحظة محقق لطائف الظرفاء ان الثعالبي روى اقوال الصحابة رضوان الله عليهم والملوك والوزراء ... الخ بتسلسلهم التاريخي وكان المنطقي ان يشير المحقق الى ان نهج الثعالبي في عرض مختاراته قائم على التسلسل التاريخي ولكنه شاء ان يفيض في الحديث عن العلاقة بين النصوص والواقع التاريخي وما يتضمنه من تطور حضاري وثقافي واجتماعي واثر ذلك كله في النصوص المختارة مع ان المطلع على النص المحقق سيبقى عاجزاً عن الفوز باية علاقة بين النصوص والواقع التاريخي فالثعالبي لم يكن في كتابه هذا ولا في كتبه الادبية الاخرى التي من هذا النمط معنياً بالربط بين النص وخلفيته التاريخية بقدر ما كان معنياً بالربط بين النص وموقع قائله السياسي او الاجتماعي او الثقافي واثر ذلك الموقع في نصه الذي يختاره له متعمداً ان يكون نصاً متضمناً ذلك الاثر اما التسلسل التاريخي لاصحاب النصوص فهو امر كان شائعاً وما يزال في تناول مثل هذا العرض للنصوص سواء عني المؤلف بالخلفية التاريخية ام لم يعن بها والثعالبي ممن لم يعنوا بذلك فكتابه هذا وسائر كتبه التي من نمطه لم تربط قط بين النص وخلفيته التاريخية ولو بعبارة واحدة ، كل ما في الامر ان تسلسل اسماء اصحاب النصوص قائم على ازمانهم وتسلسلهم في الذكر قائم على تسلسلهم في الزمان فهو منطلق تأليفي وليس منطلقاً منهجياً كما حاول المحقق ان يصوره .

وماقلته في مبحث الجوانب التاريخية يمكن ان يقال في مبحث الظواهر الاجتماعية الذي حاول المحقق فيه ان يمنح الثعالبي تصوراً اجتماعياً يرفد النص الادبي فالثعالبي لم يعلل ولم يحلل وانما وزع ابواب كتابه على طبقات اجتماعية اختار فيها نصوصاً تعكس الانتماء الاجتماعي للقائل وذلك منهج تاليفي جرى عليه الثعالبي في عدد من كتبه منها اللطف واللطائف الذي قسمه ايضاً على الطبقات الاجتماعية والذي يبدو صنواً لهذا الكتاب في اطاره التاليفي .

ولا اريد ان استطرد فاعيد الكلام ولكنني حين اقف عند مبحث (اهميته الادبية) و (اهميته النقدية) واحاول ان اجمع يدي على حصيلة ما اجدني اطالع كلاماً مهوماً لا يقوم على استقراء واستنباط فليس لهذا الكتاب الذي هو محض جمع لاقوال ادبية او اقوال طريفة (لا علاقة لها ولا لاصحابها بالادب) وتنسيقها وتوزيعها على ابواب بحسب انتماء اصحابها ، ليس له اي عمق ادبي او نقدي فمن الناحية الادبية تبقى قيمته محصورة في رواية اشعار شعراء القرن الرابع اما اقوال من سبقهم واشعارهم فقد وثقتها مصادر نقل منها الثعالبي واما من الناحية النقدية فان لفظة (طبقات) التي جعلها المحقق محور نظرته النقدية الثعالبي فانها لا تمثل دلالة نقدية في هذا الكتاب لانها جاءت بمعنى (الشرائح) وليس بمعنى الطبقة الفنية من الشعراء او الكتاب (فالطبقات) التي وزع عليها الثعالبي مادة كتابه هي طبقات (الصحابة والتابعين - والملوك المتقدمين - ملوك الاسلام - الوزراء والكبراء - البلغاء والادباء - القضاة والعلماء - الاطباء والفلاسفة - الجواري والنساء الحسان - المغنين والمطربين - الظرفاء من كل طبقة وفن - الشعراء) وهذه شرائح لا يقع تقسيمها تحت اي معيار نقدي من معايير التوزيع الطبقي وان وردت كلمة (طبقات) في عنوان الكتاب .

يبقى اخيراً حديث المحقق عن مقدمة الكتاب التي اقتبس منها الكثير وتحدث عن صياغتها شكلاً ومضموناً تلك هي اهم ملامح دراسة محقق لطائف الظرفاء وهي دراسة كان بوسعه ان يستغني عن اكثرها فقد افسد ما كتبه غيره عندما جارى غيره وافسد على نفسه ما انفرد به عندما منح الكتاب افكاراً لو بعث الثعالبي من قبره لاستغرب ان تقال فيه ، ثم اما ما الذي كتبه عن الاخراج الطباعي والاخطاء اللغوية والنحوية والاملائية التي لا تنبيء عن تدقيق ولا عناية اما النص المحقق فسأترك الحديث عنه لبحث اخر ان شاء الله .

الهوامش والمصادر

(١) المقدمة ٩ .
(٢) التوفيق للتلفيق تحقيق هلال ناجي والدكتور زهير زاهد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٥ م ص ٢٨ .
(٣) ينظر مثلاً دائرة معارف البستاني مطبعة المعارف بيروت ١٨٨٢ م ، تاريخ اداب اللغة العربية ، جرجي زيدان مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٧ م كنوز الاجداد ، محمد كرد علي ، مطبعة الترقي دمشق ١٩٥٠ م .
(٤) الثعالبي ناقداً واديباً ٢٢ .
(٥) نثر النظم للثعالبي دمشق ١٣٠١ م ١٦ .
(٦) وفيات الاعيان تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة النهضة مصر ١٩٤٨ م .
(٧) التوفيق للتلفيق للثعالبي تحقيق هلال ناجي والدكتور زهير زاهد بغداد ١٩٨٥ م ص ٣ .
(٨) مقدمة المحقق ١٥ .
(٩) مقدمة المحقق ١٦ .
(١٠) التوفيق للتلفيق ١٠ .
(١١) ينظر عرض هذه القوائم ومواضعها من الطبعات التي رجعت اليها في كتابي الثعالبي ناقداً واديباً ٦٦ - ٧٠ .
(١٢) الثعالبي ناقداً واديباً ٧٠ - ١٦٨ .
(١٣) الانيس في غرر التجنيس للثعالبي تحقيق هلال ناجي .. مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ مج ٣٢ ، ١٩٨٢ م ، ٣٨٥ - ٣٩٤ .
(١٤) التوفيق للتلفيق ٢٧ - ٣٥ .
(١٥) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث - مطابع دار الحكمة - الموصل ١٩٩٠ م .
(١٦) التوفيق للتلفيق ٢٨ .
(١٧) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث ٤٢٣ .
(١٨) التوفيق للتلفيق ٢٧ .
(١٩) ينظر التوفيق للتلفيق ٢٨ .
(٢٠) التوفيق للتلفيق ٢٩ .
(٢١) دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٢٩ .
(٢٢) ينظر التوفيق للتلفيق ٣١ .
(٢٣) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث ٤٣٤ .
(٢٤) التوفيق للتلفيق ٢٧ - ٢٨ .
(٢٥) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث ٤٠٧ .
(٢٦) م . ن ٤١٥ .
(٢٧) التوفيق للتلفيق ٢٨ .
(٢٨) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث ٤٢٥ .
(٢٩) التوفيق للتلفيق ٢٧ .
(٣٠) دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث ٣٩١ - ٣٩٢ .
(٣١) ينظر التوفيق للتلفيق ٢٨ ودراسات توثيقية وتحقيقية ٤١٢ .
(٣٢) التوفيق للتلفيق ٣١ .
(٣٣) دراسات توثيقية وتحقيقية ٤١٩ - ٤٢٠ .
(٣٤) ينظر التوفيق للتلفيق ٢٨ ودراسات توثيقية وتحقيقية ٤٢٧ .
(٣٥) الثعالبي ناقداً واديباً ١٢٧ .
(٣٦) التوفيق للتلفيق ٢٩ وينظر دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٢٨ .
(٣٧) ينظر التوفيق للتلفيق ٣٠ ودراسات توثيقية وتحقيقية ٤٠٣ .
(٣٨) ينظر التوفيق للتلفيق ٣٥ ودراسات توثيقية وتحقيقية ٤٠٣ .
(٣٩) التمثيل والمحاضرة للثعالبي عبد الفتاح محمد الحلو مصر ١٩٦٥ م ، ١٤ .
(٤٠) الانيس في غرر التجنيس ٣٧٦ .
(٤١) التوفيق للتلفيق ٢٩ .
(٤٢) دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٣٠ .
(٤٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ / ٥٩٨ لطائف المعارف ٢٠ شاهنامة ثعالبي أ .
(٤٤) الثعالبي ناقداً واديباً ١٢٣ وينظر دراسات توثيقية وتحقيقية ٣٩٢ .
(٤٤أ) تاريخ اداب اللغة العربية ٢ / ٥٩٨ والانيس في غرر التجنيس ٣٩٠ .
(٤٥) ينظر الثعالبي ناقداً واديباً ١٦١ - ١٦٢ ودراسات توثيقية وتحقيقية ٤١٥ .
(٤٦) ينظر الثعالبي ناقداً واديباً ١٤٦ ودراسات توثيقية وتحقيقية ٤٣٠ .
(٤٧) ينظر الثعالبي ناقداً واديباً ١٦٤ وينظر ايضاً دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٢٠ .
(٤٨) الانيس في غرر التجنيس ٣٧٦ التوفيق للتلفيق ٣٤ .
(٤٩) الثعالبي ناقداً واديباً ١٦٢ - ١٦٣ وينظر دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٣٩ .
(٥٠) ينظر الانيس في غرر التجنيس ٣٩١ والتوفيق للتلفيق ٣٢ .
(٥١) ينظر التوفيق للتلفيق ٣١ .
(٥٢) ينظر دراسات توثيقية وتحقيقية ٤٢٦ .
(٥٣) ينظر التوفيق للتلفيق ٢٨ .
(٥٤) ينظر الثعالبي ناقداً واديباً ١٠١ - ١٠٢ .
(٥٥) ينظر التوفيق للتلفيق ٣٠ - ٣١ .
(٥٦) ينظر التوفيق للتلفيق ٣١ - ٣٢ .
(٥٧) تنظر القائمة في التوفيق للتلفيق ٣٢ - ٣٥ .
(٥٨) الانيس في غرر التجنيس ٢٨١ .
(٥٩) لطائف الظرفاء ٣٠ . (٦٠) لطائف الظرفاء ٣١ .

الببغاء : حياته ديوانه رسائله ، قصصه

جمع وتحقيق
الاستاذ هلال ناجي

عرض وتقديم
سعد الحداد

عن دار عالم الكتب للطباعة والنشر في بيروت صدر كتاب (الببغاء عبد الواحد بن نصر المخزومي ت ٣٩٨ هـ) بتحقيق الاستاذ هلال ناجي (١٩٩٨ م) في (١٩٤) صفحة والكتاب الذي بين أيدينا ، أول كتاب متكامل عن الشاعر العربي (الببغاء) . إذ إستطاع محققه أن يلمّ شتات ما تناثر من تراث الشاعر من (شعر ورسائل وقصص) .

فقد نشر في عام ١٩٨٣ م في المجلد الرابع والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العراقي فصلين احتويا (حياة الببغاء وشعره) ، ثم استدرك المحقق على نفسه في الجزء الأول من كتاب (المستدرك على صناع الدواوين) الصادر ببغداد عام ١٩٩٣ م بإضافة (١٩) قطعة شعرية ضمّت (٥٣) بيتاً ، ثم أتم استدراكه في محاولة جديدة شملت جميع آثار الشاعر ، ليس الشعر حسب ، بل استدرك مجموع شعره المنشور سلفاً بـ (٧٥) بيتاً .

وشاعرنا هو الببغاء أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد ابن عبد الله بن عمر بن الحارث بن عبد الله ابن عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم الحُنْطبي المخزومي النصيبي (نسبة الى نصيبين) التي وصفها المحقق وصفاً رائعاً وجميلاً في الصفحة السابعة من الكتاب .

والشاعر عربي صلبية ، أما سبب تلقيبه بالببغاء ، فقيل للثغة فيه ، وقيل لفصاحته ، وقيل لفصاحته ولثغة في لسانه . أما مولده فلم تحفظ المصادر تاريخاً له ، إلا أنّ المحقق افترض أن مولده بين عامي (٣١٣ - ٣١٥ هـ) إعتماداً على قصة أوردها الثعالبي في يتيمة الدهر ١ / ٢٥٢ مفادها « تأخر الببغاء بدمشق عن سيف الدولة مكرهاً ، وقد صار عنها في بعض وقائعه ، ثم ما كان من أمر شاعرنا في دير المران إشارة الى أنّ سنّه آنذاك عشرون سنة » ، وافتراضه أنّ ذلك كان في السنوات الأولى من حكم سيف الدولة (٣٣٣ - ٣٣٥ هـ) . وبهذا يكون المحقق أول من حدّد تقريباً عام ولادة الشاعر ، أما وفاته فقد كانت في شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة للهجرة .

تأتي اهمية دراسة الشاعر في (حياته وآثاره) لما لها من صور ناطقة صورت وأرخت لحقبة مهمة من تاريخ الامة في أوج تألقها ، أيام حكم سيف الدولة الحمداني ، الذي كانت مواقفه وأخلاقه وفروسيته مدعاة لانضمام عدد من أهل الأدب واللغة وعدد من شعراء الامة البارزين الى بلاطه في حلب ، أمثال ابن جني وابن خالويه والمتنبي والناشئ والسري الرفاء والزاهي والناشئ الأصغر وغيرهم ، وكان الببغاء الذي التحق بخدمة سيف الدولة وهو دون سن العشرين حريصاً على دوام الصلة بينهما بتسجيل وقائع سيف الدولة ومآثره ومنطولاته وأيا[illegible] حتى وفاة سيف الدولة (٣٥٦ هـ) . الذي كان يجزل العطاء له « فاقتنى فاخر الثياب والرياش وملك العبيد والغلمان » . وظل الشاعر وفياً لتلك الصلة فرثاه وتفجع عليه أصدق التفجع .

وكانت صلاته بين أقرانه من الأدباء والشعراء صلات تحفّها المودة والسلام وقد جعلته في منأى عن المكائد ، وشعره حافل يعكس صدق تلك الصلات ، خاصة مع الناشئ وأبي فراس والخالديين والصابي ، فتتوّج صلته بالمتنبي حيث يقول الببغاء « كان أبو الطيب يأنس بي ، ويشكو من سيف الدولة ويأمنني على غيبته له ، وكانت الحال بيني وبينه عامرة دون باقي الشعراء » ، إلا انّ الامور آلت الى عدم الاستقرار ، مما جعلت الشاعر يلوذ بأمير الموصل (عدة الدولة أبي تغلب بن ناصر الدولة ت ٣٦٩ هـ) وكان شاعراً أيضاً ، فأكرمه وأقام بحضرته مدة .

إنّ إنهيار دولة الحمدانيين في الموصل جعل الشاعر يستقر ببغداد نهائياً عاقداً صلات مودة مع أركان الحركة الأدبية كأبي أسحاق الصابي ويحيى بن محمد الأزدي الموصلي والمحسن بن علي التنوخي وسواهم ، بيْدَ أن المحنة التي تعرضت لها بغداد على يد العيارين عام (٣٩٢ هـ) قد كوت الببغاء بنارها ، فقد عبيده ، وأودت نشبه ، ونهبت عروضه ، وبات يشكو العسر ويعاني محنة اقتصادية خانقة ، حتى استقات بعميد الجيوش . ثم لا يظفر بخبر عنه حتى وفاته عام (٣٩٨ هـ) .

لقد أسبغ كثير من الكتّاب القدامى والمحدثين نعوتاً على أبي الفرج المخزومي ، فقد وصفه الثعالبي في اليتيمة ١ / ٢٥٢ بقوله « نجم الآفاق ، وشامة الشام والعراق وظرف الظرف وينبوع

المطلق واحد أفراد الدّهر في النظم والنثر، له كلام بل مدام بل نظام من الياقوت بل حَبّ الغمام، فنثره مستوف أقسام العذوبة وشروط الحلاوة والسهولة، ونظمه كأنه روضة منوّرة تجمع طيباً ومنظراً حسناً ..». ووصفه الخطيب البغدادي في تاريخه ١١ / ١١ بأنه «كان شاعراً مجوّداً، وكاتباً مترسلاً، مليح الألفاظ، جيد المعاني، حسن القول في المديح والغزل والتشبيه والأوصاف وغير ذلك». ومما وصفه به ابن الجوزي في المنتظم ٧ / ٢٤١ قوله «كان أديباً فاضلًا وكاتباً مترسلًا وشاعراً مجيداً لطيفاً». ويتفق مع هذا الوصف، وصف ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٤ / ٢١٩ بقوله «كان شاعراً مجيداً وكاتباً مترسلاً جيد المعاني من القول في المدائح».

ولا يعدو وصف المحدثين أمثال الدكتور عمر فرّوخ في (تاريخ الأدب العربي ٢ / ٦١٣) أو الدكتور زكي مبارك في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع ٢ / ٢٧٥) ان يكون وصفاً مكرراً لما أجمله الأقدمون في أقوالهم المتقدمة وغيرها.

أما تحقيق الاستاذ هلال ناجي، فيبدأ بمقدمة وصفية بمولة للمدينة العربية (نصيبين) مهد الشاعر ومسرح طفولته، ثم متابعة لمسيرة حياة الشاعر من المهد الى اللحد، تليها آثاره التي أجملها الاستاذ المحقق بـ :- (ديوان شعره وكتاب رسائله وكتاب في القصص).

١ - ديوان شعره: وهو ديوان مفقود، ذكره ابن النديم في (الفهرست) بقوله «شعره ثلاثمائة ورقة». ومحاولة الأستاذ المحقق في جمع ونشر شعره هي الأولى في هذا العصر، وكما يقول «وهي محاولة تحنّ الى من يستدرك عليها فيثريها».

وبنظرة سريعة الى أغراض شعره نجد أن الغرض الأوفر نصيباً في ديوانه هو (الوصف)، فقد غلب على سائر أغراضه الأخرى، وهذا «مايتصل بمذهبه في النثر أشد اتصال». وإذا ماعلمنا ان شعر الببغاء مما كان يُغنّى به أزلنا غبار الاستفهام عن صفاء شعره وسلاسته، فشعره وجداني غير متكلف، متين التراكيب، وصوره جميلة، حيّة، ناطقة في بعضها.

٢ - كتاب رسائله: وقد أشار إليها ابن النديم بدون أن يحدد عدد أوراقها، إلا ان الثعالبي حفظ عدداً منها في اليتيمة، ولعل القلقشندي في (صبح الاعشى) أثرى المظان التي احتجنت عدداً كبيراً من رسائله، وقد تمكن الاستاذ المحقق من جمع (٧٥) رسالة، كانت تخريجاتها على الآتي: من (يتيمة الدهر) (١٠) رسائل ومن (صبح الاعشى) (٦٣) رسالة ومن (الفرج بعد الشدة) (١) رسالة واحدة ومثلها من (نشوار المحاضرة).

أستغرقت الرسائل الصفحات من (٩١ - ١٣٢) سبقتها صفحتان أوجز فيهما المحقق المميزات الفنية لها، حيث تصنّف رسائل الببغاء الى صنفين (اخوانية وديوانية)، فالديوانية كالرسالة التي حررها عن أبي تغلب بن ناصر الدولة الحمداني جواباً الكتاب الوارد عليه من الخليفة الطائع أو المطيع، وغيرها. أما رسائله الاخوانية، فمن حيث الموضوعات كانت تمثّل الببغاء في نوازعه الوجدانية، وتعكس صورة من توقه وتفاصيل حياته وصلاته. وهي عنده أشبه بقصيدة غزل.

وقد طغى الوصف على رسائله، أما أبرز مميزات رسائله فيمكن اجمالها بـ :-

أ - إنه كان شاعراً، ولذلك وشّح ورصّع رسائله بشعره.

ب - إنه التزم السجع الذي أوجد لوناً من الايقاع النغمي والموسيقي، ولتوفير هذا الايقاع النغمي، كان يلجأ الى المحسنات البديعية.

جـ - إنه في رسائله كان يتجنب الالفاظ الحوشية المستغربة مجسداً روح عصره.

د - إنه كان يعمد في رسائله الى تفريع المعاني وتكرار المعنى الواحد بصيغ متعددة إبرازاً للفكرة وجلاءً لها.

هـ - ان رسائله الاخوانية امتازت بصدق العواطف والأحاسيس والبراعة في التصوير والتخييل فهي أشبه بالقصيدة المنثورة.

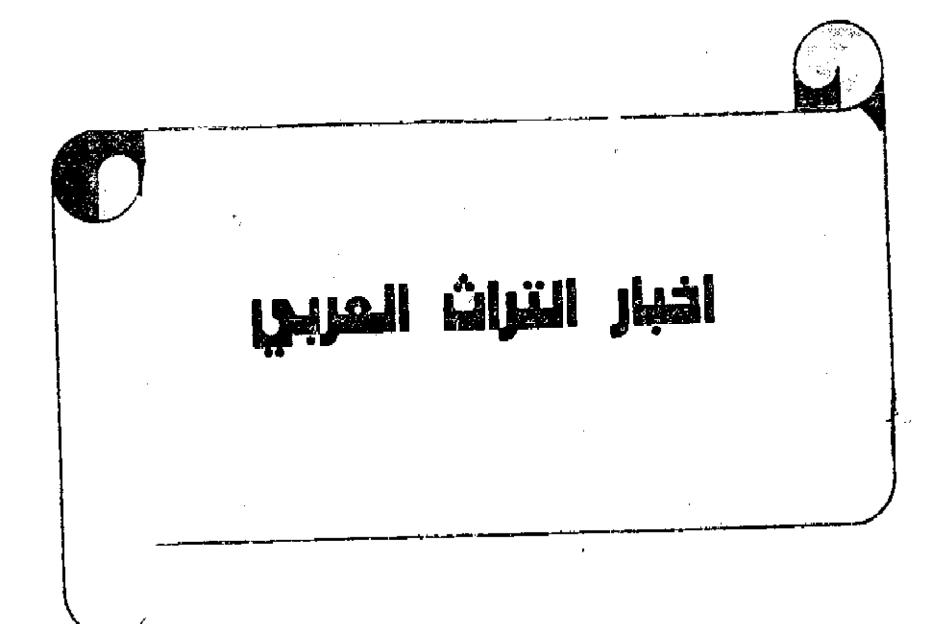
و - إتسمت بعض رسائله بقدرته على تحسين القبيح كالتهنئة في عزل أو تهنئة من ولدت له أنثى أو من زوّجت أمّه.

٣ - كتاب في القصص: وهو كتاب مفقود الا أنّ الاستاذ المحقق تمكن من جمع (١٢) قصة، كانت في (الفرج بعد الشدة) (٩) قصص وفي (نشوار المحاضرة) (قصتان) وفي (يتيمة الدهر) (قصة واحدة). وهي منقولة عن كتاب الببغاء المفقود. وقد أحتل كتاب القصص الصفحات من (١٣٣ - ١٦٥) من الكتاب.

لقد كانت محاولة الجمع والتحقيق للشعر في الكتاب كما أسلفنا بعد استدراكين خلاصتها شملت (١٤٢) مقطوعة شعرية مرقمة، بلغت أبياتها (٧٤٠) بيتاً، عمد فيها المحقق الى التخريج العلمي وبيان اختلاف الروايات الواردة فيها، وتفسير المفردات والاصطلاحات التي تحتاج الى إيضاح أو تعليق وذلك بالاعتماد على المصادر والمراجع العلمية التي قاربت من (٧٠) كتاباً ويضمنها عدد من المخطوطات النادرة التي تحتويها خزانته، وقد رتّبها وفق الحروف الهجائية ومن أهم المخطوطات (مباهج الفكر ومناهج العبر) للوطواط الكتبي و (السحر والشعر) للسان الدين بن الخطيب و (روح الروح) لمؤلف مجهول و (المناقب والمثالب) للخوارزمي، وكلّها مخطوطات مصوّرة في خزانة الاستاذ هلال ناجي.

وخُتم الكتاب بفهارس فنية صنعها الأخ المفهرس حسن عريبي الخالدي بلغت تسعة فهارس شملت (الاعلام، الاماكن والمواضع، الحيوانات، الأزهار والثمار والأشجار، الأحجار والمعادن، الامم والقبائل والجماعات، الانواء، المصطلحات الحربية، الاشعار).

وقد طبعت هذه الفهارس عدا فهرس الاشعار على عمودين في الصفحة الواحدة. ولابد من القول إن هذا العمل يستحق الثناء والتقدير لما فيه من كشف كبير متكامل عن آثار لم يسبق لأحد من قبل جمعها أو نشرها كاملة في كتاب مستقل. كذلك يعدّ هذا المنجز المصدر الاول عن الشاعر العربي الببغاء.



اعداد : حسن عريبي الخالدي

أ ـ الكتب والرسائل الجامعية :

* كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم ـ للزجاج ابي اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل (ت ٣١١ هـ) تح : محمد السيد علي بلاسي ، ط ١ ، الزقازيق ، المحقق ، ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ ، ١٣٧ ص .

* الابل والخيل في التراث ـ عبد السلام بدر الدين محمد ، ط ١ ، بلبيس « الشرقية » مطابع الطاووس الذهبي ، ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ ، ٢٦٧ ص .

* ابن قدامة المقدسي ومنهجه في نقد الفرق ـ سليمان الخطيب ، الميناء جامعة الميناء كلية الدراسات العربية ، ١٤١٨ ـ ١٩٩٨ ، ٥٨ ص .

* اتحاف الاعزة في تاريخ غزة ـ للشيخ عثمان الطباع الغزي (١٨٨٢ ـ ١٩٥٠) انتهى من تحقيقه عبد اللطيف زكي ابو هاشم ويتناول الكتاب تاريخ غزة منذ ما قبل التاريخ حتى اواخر العصر العثماني وبداية الانتداب البريطاني .

* الاحرف النافية العاملة عمل ليس دراسة نحوية قرآنية ـ محمود محمد عبد المولى خميس ط ١ ، القاهرة ، مطبعة الامانة ، ١٤١٧ ـ ١٩٩٧ ، ١٩١ ص .

* احوال الفاء ومعانيها في كلام العرب ـ السيد عبد العظيم السعيد نصر ، ط ١ ، القاهرة ، المؤلف ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ ، ١٦٩ ص .

* ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ـ للشوكاني ابي عبد الله محمد بن علي بن محمد الخولاني الصنعاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠ / ١٧٦٠ ـ ١٨٣٤ م) تحقيق وتعليق شعبان محمد اسماعيل ، ط ١ القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ١٤١٨ ـ ١٩٩٨ ، مج ٢ .

* الاستشراق في العلوم الانسانية والاجتماعية ندوة اقامتها كلية العلوم الانسانية والاجتماعية في جامعة الامارات العربية المتحدة على مدى يومي ١٩ ـ ٢٠ اكتوبر ١٤١٨ ـ ١٩٩٨ والقيت فيها بحوث عدة .

* استشهاد ابن هشام بالحديث الشريف في المغني : دراسة وتحقيق ـ تأليف : حسن عبد العزيز حسن ابو العينين ، ط ١ ، كفر الشيخ ... ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ ، ٢٢٥ ص .

* اسرار التعبير بالمظهر في موضع المضموني القرآن الكريم ـ احمد ابراهيم حسن محمد ط ١ ، الزقازيق ، المكتبة العلمية ، ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ ، ١٨٨ ص .

* اسماء الافعال في القرآن الكريم : دراسة نحوية قرآنية ـ جاد مخلوف جاد ، ط ١ المؤلف ، ١٤١٩ ـ ١٩٩٩ ، ٥٥ ص .

* اصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي ـ بكري

عبد الكريم ، ط ١ القاهرة ، دار الكتاب الحديث ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٩٩ ص .

* الاعلام الممنوعة من الصرف في القرآن الكريم : دراسة لغوية نحوية وصرفية - البسيوني عطية عبد الكريم ، اسيوط ، مطبعة الهلال ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٨٠ ص .

* الفاظ حضارية - وضع لجنة اللغة العربية (في المجمع العلمي العراقي) تحرير : وداد محمد فاضل مراجعة د . احمد مطلوب ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ٣٥ ص .

* ان المصدرية الناصبة للمضارع بين الاظهار والاضمار في ضوء القرآن الكريم - ابراهيم السيد ابراهيم بدوي ، ط ١ ، الزقازيق ، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٣٠٧ ص .

* انساب الاشراف - للبلاذري احمد بن يحيى بن جابر البغدادي المؤرخ (... - ٢٧٩ / ... - ٢٨٩٢) تواصل جمعية المستشرقين الالمان نشره في سلسلة (النشرات الاسلامية) وسيتم نشره في سبعة اقسام مؤلفة من عشرة اجزاء ، وقد اناطت الجمعية بصفوة من خيرة المحققين الافاضل اخراجه .

* الانموذج في علم العربية - للزمخشري محمد بن عمر (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ / ١٠٧٥ - ١١٤٤) دراسة وتحقيق السعيد عبد العظيم السعيد نصر ، المؤلف ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ١٦٨ ص .

* أوائل المطبوعات العربية في الامريكتين ١٨٨٦ - ١٩٢٠ - لفوزي تادرس الامين الاول للمجموعة العربية والاسلامية في مكتبة الكونكرس ط ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات العربية المتحدة) المجمع الثقافي . مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٣٠٠ ص واشتمل على ثلاثة اقسام الكتب والجرائد والمجلات .

* اوراق من كتاب نقد النثر والمنزلة الثالثة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة - لقدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب (..... - ٣٣٧ هـ / ..... - ٩٤٨ م) تح : حسن عباس ، ط ١ طنطا ، دار الحضارة للطباعة والنشر ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٩٩ ص .

* « اي » واستعمالاتها في القرآن الكريم دراسة نحوية تطبيقية - اعداد : بشيري عبد المعطي امين ، ط ١ ، اسيوط ، مطبعة دار الهلال ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ .

* بغداد الجنة العامرة - معرب من اوليا جلبي (١٠٥٨ - ١٠٦٥) « سيا حتنامةسي » وقاموس الاعلام لشمس الدين سامي (١٢٦٦ - ١٣٢٢ هـ) ترجمة وتعليق : محمد جميل الروزبياني ، ط ١ ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ١٣٠ ص ويقع النص الاول ص ١ - ١١٤ من الكتاب ويقع النص الثاني ص ١١٥ - ١٢٥ منه .

* بغداد في العشرينات - عباس بغدادي ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ، ٣٣٤ ص .

* البناء الفني للمشويات - عثمان عبد الحميد جلعوط بخيت الراوي رسالة ماجستير باشراف الاستاذ الدكتور مصعب حسون الراوي كلية التربية ، جامعة الانبار ، ص ١٧٩ .

* البيان في الفقه الشافعي - للعمداني اليمني ابي الخير يحيى بن سالم بن سعيد بن عبد الله (ت ٥٥٨ هـ) دراسة وتحقيق كتاب الضمان الى اخر كتاب الوكالة منه - دراسة وتحقيق جمال مهدي محمود الاكشة رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر باشراف محمد حلمي عيسى ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م .

* تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام - للذهبي شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ / ١٢٤٧ - ١٢٤٨ م) انجز د . عمر عبد السلام تدمري تحقيقه بتمامه وهو يبدأ من السنة الاولى للهجرة النبوية المطهرة وينتهي بحوادث ووفيات ٧٠٠ هـ ووقع الكتاب في ١ - ٥٢ مج صدر منها حتى الان ١ - ٥٠ مج عن دار الكتاب العربي في بيروت وسيصدر المجلدان الاخيران وهما ٥١ - ٥٢ مج عن الدار نفسها فالمجلد ٥١ قيد الطباعة والمجلد ٥٢ في مرحلة الفهرسة عام ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

* التأويل عند غلاة الفرق - سليمان الخطيب ، المنيا (مصر) المؤلف ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٠٤ ص .

* التراث والنهضة محاضرات الموسم الثقافي لدائرة التراث العربي الاسلامي لفرع التاريخ والحضارة في المجمع العلمي العراقي ١٩٩٧ - ١٩٩٨ ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٥٤ ص .

* التشبيه دراسة في تطور المصطلح - ابراهيم عبد الحميد السيد طلب ، ط ١ ، القاهرة ، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٣٤ ص .

* التشبيه المحذوف الاداة والوجه وموقف البلاغيين منه - محمد عبد المنعم علي متولي ط ١ ، القاهرة المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ ٣١ ص .

* التعريض تحقيق معناه - علاقته بكل من الحقيقة والمجاز - محمد عبد المنعم علي متولي - ط ١ ، القاهرة ، المؤلف ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٣٠ ص .

* تفسير سورة سبأ - ليحيى بن سلام بن ابي ثعلبة البصري المفسر (١٢٤ - ٢٠٠ هـ / ٧٤٢ - ٨١٥ م) تحقيق وتعليق محمد محمد السيد عوض ، القاهرة ، نم ، دن ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٠٧ ص .

* تكريم ذكرى المحقق الثبت المرحوم د . محمد الطناحي : اقام معهد المخطوطات العربية في القاهرة يوم ٢٥ مايو ١٩٩٩ ندوة

علمية تكريماً له بعنوان (الطناحي عاشق التراث) شارك فيها اعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة واساتذة الجامعات المصرية وصفوة من المثقفين فضلاً عن اسرة الفقيد وطائفة من تلامذته ومحبيه وعارفي فضله .

* تلطيف المزاج من شعر ابي الحجاج لابي عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن جعفر النيلي الحلي البغدادي (ت ٣٩١ هـ) وهي مجموعة ابن نباتة (ت ٧٦٨ هـ) وتحقيق د . نجم عبد الله مصطفى (المانيا) والاصل المخطوط للكتاب مما لم يحقق ولم ينشر من قبل واشتمل على ٥٢٥ ص احتجن النص الشعري منه ١٢٥ صفحة والباقي للشروح اللغوية والادبية والتاريخية والفهارس الفنية للنص الشعري .

* تنوير المقالة في حل الفاظ الرسالة – للامام التتائي شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابراهيم المصري المالكي (... – ٩٢٧ هـ / ... – ١٤٣٤ م) دراسة وتحقيق من اول باب صلاة السفر الى اول باب الجهاد رسالة ماجستير محسن طه عبد العزيز باشراف د . عبد العزيز محمد عزام ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ١٤٢٠ – ١٩٩٩ .

* تهذيب الاحكام – لابن الفراء البغوي ابي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الشافعي الفقيه (... – ٥١٦ هـ / ... – ١١٢٢) تحقيق ودراسة كتاب الاقرار والعارية والغصب والشفعة رسالة ماجستير عبد الرحمن احمد الرفاعي باشراف د . سعد الدين سعد هلالي كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ، ١٤٢٠ – ١٩٩٩ .

* تهذيب الاحكام – لابن الفراء البغوي تحقيق ودراسة من اول باب النكاح الى اخر نكاح حرائر اهل الكتاب واماء المسلمين رسالة ماجستير في الفقه المقارن باشراف د . محمد العكازي ، كلية الشريعة والقانون جامعة الازهر ، ١٤٢٠ – ١٩٩٩ .

* الثقافة السريانية وعلاقاتها بالعربية ندوة هيئة اللغة السريانية في المجمع العلمي العراقي للسنتين ١٩٩٧ – ١٩٩٨ . ط ١ ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ – ١٩٩٩ ، ٣٢٦ ص واشتمل الكتاب على طائفة من البحوث الرصينة باقلام الاساتذة منصور المخلصي وعلي الجابري ويوسف قوزي وبشير متي وبنيامين حداد وخالد اسماعيل علي ويوسف حبي .

* ثورات العلويين في العصر العباسي الاول – مصطفى السيد عبد العال رزق ، القاهرة المؤلف ، ١٤٢٠ – ١٩٩٩ ، ٧٦ ص .

* جمع الجمع في اللغة العربية : دلالته وانواعه – عبد الباسط محمد الطاهر محمد ، القاهرة ، المؤلف ، ١٤٢٠ – ١٩٩٩ ، ٣٥ ص .

* جملة الشرط عند النحاة والاصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي تاليف : مازن الوعر ، ط ١ ، القاهرة ، الشركة المصرية للنشر ، لونجمان ١٤٢٠ – ١٩٩٩ ، ٩٨ ص .

* الجملة العربية تاليفها واقسامها . د . فاضل صالح السامرائي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ – ١٩٩٩ ، ٢٥٩ ص .

* ديوان ابن شكيل الاندلسي – ابي العباس احمد بن شكيل (٥٧٨ – ٦٠٨ هـ) تقديم وتحقيق : حياة قارة ، ط ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات العربية المتحدة) المجمع الثقافي ، ١٤١٩ – ١٩٩٩ ، ١٠٢ ص ، السلسلة الاندلسية[1] .

* الذخيرة البرهانية – لابن مازة برهان الدين محمد بن احمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازة البخاري (٥٥١ – ٦١٦ هـ / ١١٥٦ – ١٢١٩ م) دراسة وتحقيق كتاب منه رسالة ماجستير عبد العزيز عبد الرحيم باشراف د . يس شاذلي شاذلي كلية الشريعة والقانون جامعة الازهر واشتملت الرسالة على قسمين (الدراسة والنص) ١٤٢٠ – ١٩٩٩ .

* رُبَّ المشددة استعمالاتها واحكامها النحوية – عبد المنعم محمد علي عبد الحافظ ، ط ١ ، القاهرة المؤلف ١٤١٧ – ١٩٩٧ ، ٦٧ ص .

* رثاء غير الانسان في الشعر العباسي – تاليف د . عبد الله عبد الرحيم السوداني ، ط ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات العربية) ، المجمع الثقافي ، ١٤٢٠ – ١٩٩٩ ، ٣٧٧ ص .

* الرسالة الذيرة في الالفاظ المكفرة – لبدر الرشيد ، تحقيق ودراسة : هالة ابراهيم عبد الرحمن رسالة ماجستير قدمت الى كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات ، جامعة الازهر باشراف د . عبد السلام محمد عبدة ، ١٤٢٠ – ١٩٩٩ .

* سعد الدين التفتازاني وجهوده اللغوية والنحوية – فايق جليل خليل رسالة ماجستير باشراف الاستاذ الدكتور نعمة رحيم العزاوي كلية التربية جامعة بغداد ١٩٩٩ .

* سوق الجديد محلة مضيئة من الجانب الغربي ببغداد – تاليف انور عبد الحميد الناصري ط ١ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠ ، ج ١ – ق ٢ ، ٣١١ ص .

وقد صدر القسم الثاني من الجزء الاول عن دار الشؤون الثقافية العامة (ناق عزيبة) ايضاً عام ١٤١٧ – ١٩٩٧ ووقع في ٢٣٧ ص .

كما صدر القسم الاول من الجزء الاول عام ١٤١١ – ١٩٩٠ بتقديم الشيخ جلال الحنفي ومن منشورات مكتبة التحرير في بغداد وطبع مطبعة الراية ووقع في ٤٦٥ ص .

* سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية : ٥٧٥ – ٦٢٢ هـ / ١١٧٩ – ١٢٢٥ م) تاليف د . احلام حسن مصطفى النقيب . ط ١ ، بغداد ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام ، ١٤١٩ – ١٩٩٩ ، ١٣٢ ص (سلسلة رسائل جامعية) . اصل الكتاب رسالة ماجستير في

التاريخ الاسلامي باشراف الاستاذ الفاضل د. حمدان عبد المجيد الكبيسي قدمت الى كلية الاداب (جامعة بغداد) عام ١٤٠٨ - ١٩٨٨ .

* السيف المسلول على من سب الرسول (ﷺ) للسبكي تقي الدين ابي الحسن علي بن عبد الكافي بن علي المصري (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ / ١٢٨٤ - ١٣٥٥ م) بعمل اياد احمد الفرج (من الاردن) في تحقيقه معتمداً على خمس نسخ .. وسيصدر قريباً عن دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع في عمان (الاردن) .

* شرح الشريف الجرجاني على المواقف للايجي عضد الدين عبد الرحمن بن احمد بن عبد الغفار (٧٠٨ - ٧٥٦ هـ / ١٣٠٨ - ١٣٥٥ م) تحقيق ودراسة المرصدين الخامس والسادس عن الموقف الاول من الكتاب رسالة ماجستير لسيام محمد نصر مغازي كلية الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الازهر .

* الشعر العربي في ظل الامارة المزيدية ٤٠٣ - ٥٤٥ هـ للاستاذ عبد الله عبد الرحيم السوداني رسالة دكتوراه باشراف د. رزوق فرج رزوق نوقشت في تاريخ ٧ / ٢ / ٢٠٠٠ ومنح عنها الشهادة بتقدير امتياز من كلية التربية الجامعة المستنصرية .

* الصوفي البغدادي وآراءه البلاغية والنقدية - امينة سليم ، ط ١ ، القاهرة ، مكتبة وهبة ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٤٠ ص اصل الكتاب رسالة دكتوراه بمرتبة الشرف الاولى .

* ظاهرة الالصاق الصرفي دراسة في الاسناد والتوكيد بالنون - محمد عبد الرحمن محمد ط ١ ، الميناء (مصر) شركة الامانة للطباعة والنشر ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢١٦ ص .

* عالم الاسلام وقائع الموسمين الثقافيين لدائرة التراث العربي والاسلامي في المجمع العلمي العراقي ١٤١٩ - ١٤٢٠ / ١٩٩٨ - ١٩٩٩ ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٦١ ص .

* كتاب العروض - لابي الحسن علي بن عيسى الربعي (٣٢٨ - ٤٢٠ / ٩٤٠ - ١٠٢٩ م) تح : محمد ابو الفضل بدران ، ط ١ ، جامعة بون ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٨٣ ص ، اعتمد المحقق على نسخة وحيدة محفوظة في جامعة توبنجن (المانيا) .

* العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك - للملك الاشرف الغساني عماد الدين ابي العباس اسماعيل بن العباس بن علي الرسولي (٧٦١ - ٨٠٣ هـ / ١٢٥٩ - ١٤٠٠ م) الحقبة ٣٣٤ - ٥٧٥ هـ / ٩٤٥ - ١١٨٠ م (من خلافة المطيع الى خلافة المستضيء) دراسة وتحقيق كاظم عامر زغير السوداني رسالة ماجستير قدمت الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الوثائق والمخطوطات باشراف الاستاذة الفاضلة نبيلة عبد المنعم داود ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م . ٤٥٥ ص .

* الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة في الاسلوب - منير سلطان ، ط ٢ ، الاسكندرية منشأة المعارف ، ١٤١٧ - ١٩٩٧ . ٢٢٤ ص .

* فصول في الشعر - تاليف د . احمد مطلوب ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٧٢ ص .

* فضائل مصر واخبارها وخواصها - لابن زولاق ابي محمد الحسن بن ابراهيم بن الحسين الليثي المصري (٣٠٦ - ٣٨٧ هـ / ٩١٩ - ٩٩٧ م) ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٤٥ ص .

* فضل العرب والتنبيه على علومها - لابن قتيبة ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ / ٨٢٨ - ٨٨٩ م) تح د . وليد محمد خالص ، ط ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات العربية المتحدة ، المجمع الثقافي ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٦٨ ص وينشر لاول مرة وقد اعتمد المحقق على نسخة وحيدة في دار الكتب المصرية .

* فن فهرسة المخطوطات مدخل وقضايا - تنسيق وتحرير د . فيصل الحفيان ، ط ١ ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ٢٣٠ ص ، وقد اشتمل على بحوث الندوة التي اقامها معهد المخطوطات على مدى يومي ٢٧ - ٢٨ سبتمر ١٩٩٨ وقد شارك فيها حشد كبير من الخبراء والاساتذة والمتخصصين بقضايا التراث العربي بعامة والمخطوطات العربية بخاصة .

* الفهارس المفصلة للاشباه والنظائر - للسيوطي صنعة عبد الاله احمد نبهان ، ط ١ ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ٧١٨ ص سلسلة (كشافات تراثية - ٢) وشملت فهرس مسائل العربية النحو والصرف واللغة والمصطلحات والادوات . فهرس تحليلي لكل جزء منفرداً ، الايات القرآنية الكريمة ، الاحاديث النبوية الشريفة الامثال الشعر وغير ذلك من الفهارس .

* الفهرس المختصر للمخطوطات العربية الاسلامية في دار الكتب الوطنية - اعداد بسام محمد بارود ، ط ١ ، ابو ظبي (دولة الامارات العربية المتحدة) قسم المخطوطات ومصوراتها بدار الكتب الوطنية ، ١ - ٢ ج ، ٤٦٦ ص + ٥٤٥ ص راجع الجزء الاول د . عبد الحميد الرفاعي .

* فهرس مخطوطات بلدية الاسكندرية - اعداد وتقديم د . يوسف زيدان ، ط ١ ، القاهرة الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، مج ٣ (التاريخ وملحقاته) .

* فهرس المخطوطات المصورة (اللغة) ، اعده : عصام محمد

الشنطي ، ط ۱ ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، القسم الثاني ، ٢٩٠ ص وقد تضمن وصفاً لنحو ٢٠٠ مخطوطة .

* القول المرتضا في احكام القضا على مذهب الامام مالك بن انس - لبدر الدين بن عبد الرحمن البدلسي المالكي (... - ١٠١٠ هـ حياً / ... ١٦٠١ م) دراسة وتحقيق صديق عبد الفتاح صديق محمد رسالة ماجستير في السياسة الشرعية ، كلية الشريعة ، جامعة الازهر ، باشراف : د . سعد محمد حسن ابو عبدة ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

* كاد واخواتها في القرآن الكريم : دراسة نحوية وتصريفية - تاليف : جمال احمد ابو زيد حسانين ، ط ١ ، اسيوط ، مطبعة دار الهلال ، ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ٩٧ ص .

* كاشف معاني البديع وبيان مشكله المنيع - للسراج الغزنوي الهندي سراج الدين ابي حفص عمر بن اسحاق بن احمد الحنفي (٧١٤ - ٧٧٣ هـ / ١٣١٤ - ١٣٧٢ م) الادلة المتفق عليها الكتاب ، السنة ، الاجماع ، القياس منه دراسة وتحقيق : محمد بكر اسماعيل رسالة دكتوراه في اصول الفقه باشراف د . محمد محمد عبد اللطيف جمال الدين ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

* الكافي في الافصاح عن مسائل كتاب الايضاح - لابن ابي الربيع السبتي الاندلسي الاشبيلي ابي الحسين عبيد الله بن احمد بن عبيد الله العثماني الاموي (٥٩٩ - ٦٨٨ هـ / ١٢٠٣ - ١٢٨٩ م) دراسة وتحقيق فيصل الحفيان رسالة دكتوراه بمرتبة الشرف الاولى من كلية اللغة العربية جامعة الازهر وجاءت الرسالة في قسمين الاول للدراسة والثاني للنص المحقق ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

* كفاية النبيه شرح التنبيه - لابن الرفعة : نجم الدين ابي العباس احمد بن محمد بن مرتفع الانصاري المصري (٦٤٥ - ٧١٠ هـ / ١٢٤٧ - ١٣١٠ م) دراسة وتحقيق (زكاة الفطر وقسم الصدقات وصدقة التطوع منه) من قبل السيد احمد عبد الله رسالة ماجستير كلية الشريعة والقانون ، جامعة الازهر باشراف : د . علي حسين كراد ، جاءت الرسالة في ٥٨٥ ص احتجنت الدراسة منها ٢٨ صفحة ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .

* كلا في اللغة العربية ودراساتها في القران الكريم عرض وتحليل ومناقشة محمد احمد عبد الوهاب محمد المليجي ، ط ١ ، القاهرة ، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١١٥ ص .

* لغة الضاد ، ط ١ ، بغداد ، دائرة علوم اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ج ٢ ، ٢٢٧ ص .

* كتاب الماء - لابي محمد عبد الله بن محمد الازدي (ت ٤٥٦ هـ) تح د . هادي حسن حمودي ط ١ ، سلطنة مسقط وعمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ١ - ٣ مج والكتاب معجم يجمع بين الطب والعربية ويضم الامراض والعلل والادواء وما يجب ان يتاتى لها من العلاجات والادوية وقد رتبت فيه المواد أبتثيا بدأ بالهمزة فالباء فالتاء ويعد اول معجم طبي لغوي في التاريخ .

* مادة البقاء في اصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الاوباء - لمحمد احمد التميمي المقدسي (القرن الرابع الهجري) دراسة وتحقيق المهندس يحيى شعار وهو كتاب فريد في بابه اذ يكشف عن اهتمام العلماء العرب المسلمين بموضوع تلوث البيئة . وقد فاز محققه بجائزة معهد المخطوطات العربية في دورته الثانية ١٩٩٧ - ١٩٩٨ .

* المجتمع الاندلسي في حوض نهر الابرد في العهد الاسلامي من ٩٥ - ٥١٢ هـ / ٧١٤ - ١١١٨) تاليف : محمد رضا عبد العال محمد ، ط ١ ، الجيزة ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٥٠ ص .

* المجتمع في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى العصر الفاطمي - هويدا عبد العظيم رمضان تقديم عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٣٥٥ ص .

* مرآة الزمان في تاريخ الاعيان - الحقبة (٢١٨ - ٢٥٣ هـ / ٨٣٣ - ٨٦٧ م) لسبط ابن الجوزي شمس الدين ابي المظفر يوسف بن عبد الرحمن قزاوغلي بن عبد الله البغدادي المؤرخ (٥٨١ - ٦٥٤ هـ / ١١٨٥ - ١٢٥٦) دراسة وتحقيق علي جبار مجيد الجنابي رسالة تقدم بها الى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ العربي الاسلامي باشراف : د . جنان عبد الجليل الهموندي ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ١٨٥ ص + ١ ص (ملخص الرسالة) بالانكليزية .

* مسائل الابدال والاعلال بين القياس والسماع من خلال الصحاح للجوهري دراسة تحليلية محققة - تاليف يس ابراهيم عفيفي ابو زيد ، القاهرة ، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٥٣٧ ص .

* مصطلحات علمية في الانتاج الحيواني انكليزي العربي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٥١ ص .

* مصطلحات علمية في الانواء الجوية انكليزي - عربي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ١٨ ص .

* مصطلحات علمية في الدواجن انكليزي - عربي ، ط ١ ، بغداد منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٤٠ ص .

* مصطلحات علمية في الفيزياء والفلك انكليزي - عربي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ،

٣٨ ص .
* مصطلحات علمية في الكيمياء العضوية انكليزي - عربي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٤ ص .
* مصطلحات علمية منتوجات الالبان ، ط ١ - بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٥٩ ص .
* معجزات النبي (ﷺ) كتاب الدلائل - لابن كثير عماد الدين ابي النداء اسماعيل بن عمر بن كثير (٧٠٠ - ٧٧٤ هـ / ١٣٠١ - ١٣٧٣ م) دراسة وتحقيق محمد عبد العزيز الهلاوي طبعة جديدة منقحة ، القاهرة ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٣٢٠ ص .
* الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ط ١ ، عمان ، منشورات مجمع اللغة العربية الاردني ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٠٣ ص ، اشتمل الكتاب على بحوث باقلام باحثين افاضل منهم د . محمود فهمي حجازي و د . عبد الجليل عبد المهدي و د . محمود السيد و د . احمد مطلوب وخصت تقويم خطط اقسام اللغة العربية في الجامعات المصرية والاردنية والعراقية والسورية اكاديميا وعمليا بالدراسة والبحث .
* المعرب في القران الكريم دراسة تاصيلية لغوية تحليلية في ضوء الساميات - رجب عثمان محمد ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٢٣٢ ص .
* النحو البصري في معاني القرآن للفراء - عاطف محمد عبد المجيد ابو سعيد ، ط ١ ، القاهرة ، المؤلف ١٤١٩ - ١٩٩٩ .
* ندوة الاصل المشترك للغات العراقية القديمة دائرة التراث العربي والاسلامي فرع اللغات القديمة في المجمع العلمي العراقي ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ١٦١ ص .
* ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى نهاية القرن التاسع عشر . ويشتمل الكتاب على بحوث الندوة التي اقامها مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي (دولة الامارات العربية المتحدة) في اكتوبر ١٤١٥ - ١٩٩٥ وقد خصت البحوث الطباعة في اورية وتركية وبلاد الشام وشبه القارة الهندية والامريكتين والمغرب وايران وشبه الجزيرة العربية ... ومصر ، وقد نشرت بحوث الندوة عام ١٤٢٠ - ١٩٩٩ في جملة منشورات مركز جمعة الماجد .
* نهاية الوصول في دراسة الاصول - للصفي الهندي صفي الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الارموي الشافعي (٦٤٤ - ٧١٥ هـ / ١٢٤٦ - ١٣١٥ م) تحقيق ودراسة الباب الرابع عشر والباب الخامس عشر (القياس والاعتراضات) رسالة دكتوراه نسرين محمود محمد المرسي باشراف د . محمد رشاد مهنا ، كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات جامعة الازهر . ١٤٢٠ - ١٩٩٩ .
* نيل الامل في ذيل الدول (دول الاسلام للذهبي) لعبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري (ت ٩٢٠ هـ تقريباً) انجز د . عمر عبد السلام تدمري تحقيق الجزأين الاول والثاني منه وهما قيد الطباعة وقد جرى تصحيحهما ويعمل الان في تحقيق الجزء الثالث سيدفع به الى المطبعة قريباً ليبدأ في تحقيق الجزء الثالث وسيتم الكتاب في ١ - ٦ ج وسيصدر عن المكتبة العصرية في صيدا ويتناول الكتاب حوادث ووفيات ٧٤٤ - ٨٩٦ هـ وهو ذيل على دول الاسلام للذهبي الذي ينتهي بحوادث ووفيات ٧٤٤ هـ .

٢ - مجلات :

(١) وقائع ندوة العمارة العربية الاسلامية سمات الماضي وتطبيقات الحاضر دائرة التراث العربي والاسلامي في المجمع العلمي العراقي ، ط ١ ، بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٩ - ١٩٩٩ ، ٢٧٧ ص .
(٢) وقائع ندوة كتب الانساب مصدراً لكتابة التاريخ التي اقامتها دائرة التراث العربي والاسلامي في جامعة الموصل ١٤١٩ - ١٩٩٨ ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ ، ٢٣١ ص . وقد اشتمل الكتاب على بحوث لصفوة من الباحثين العراقيين منهم د . هاشم يحيى الملاح و د . نجمان ياسين و د . عبد الواحد ذنون طه ورياض هاشم النعيمي وغيرهم .
(٣) وقائع ندوة النخيل التي عقدتها دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية في المجمع العلمي العراقي ١٤١٨ - ١٩٩٧ ، ط ١ ، بغداد ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ٧٨ ص .

٣ - ندوات :

* افاق الثقافة والتراث مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث العربي ، (دبي) ع ٢٤ ، س ٦ (١٤١٩ - ١٩٩٩) ٣٤ - ٥٤ ابن الهيثم وكتابه شكوك كتاب اقليدس في الاصول وشرح معانيه - د . عمار الطالبي ٥٥ - ٦٥ التقاليد الجامعية في التراث الاسلامي - د . محمد مجيد السعيد ٦٦ - ٧٧ والفكر المقاصدي عند فقهاء القيروان الى منتصف القرن الخامس الهجري - عز الدين زغيبة ٨٩ - ٩٩ كتاب الاشباه والنظائر - للسيوطي دراسة في منهجه التنظيمي والقاء الضوء على مصادره النحوية - د . عبد الاله نبهان ١٣٣ - ١٣٨ الكنز في قراءات العشرة - للواسطي تاج الدين ابي محمد عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي (٦٧١ - ٧٤٠ هـ) د . حاتم صالح الضامن ١٣٩ - ١٥١ ، كتاب التنبيه على الاوهام الواقعة في المسندين الصحيحين لابي علي الحسين بن محمد بن احمد الغساني الجياني (ت ٤٩٨ هـ) د . محمد ابو الفضل .

■ المورد :

■ بحوث ودراسات

■ ملف العدد

■ نصوص محققة

■ نقد وتعقيب

■ الجديد في المكتبة التراثية